

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الجامعة الإسلامية - بغزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

**الإعجاز البياني في الفاصلة القرآنية
دراسة تطبيقية على سورة النساء**

اعداد الطالب

موسى مسلم سلام الكشاش

إشراف


الدكتور: عصام العبد زهد


قدم هذا البحث استكمالاً للحصول على درجة الماجستير في التفسير و علوم القرآن

1428 هـ - 2007 م


إهداء

أهدي بحثي هذا . . .

... إلى الجامعة الإسلامية، هذا الصرح الشامخ، رمز العطاء والتضحية . 

... إلى معلمينا في كلية أصول الدين وقسم التفسير وعلوم القرآن على وجه الخصوص الذين لا يدخرون جهداً في تبليغنا العلم . 

... إلى طلاب العلم الذين يحملون ميراث النبوة . 

... إلى الدعاة العاملين في كل مكان . 

وأسأل الله أن ينفع به الجميع إنه نعم المولى ونعم النصير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُتَكَلِّمًا

إن الحمد لله ، نحمده تعالى ، ونستغفره ، ونستهديه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - وبعد :

إن القرآن الكريم كنز لا يفنى ، ولا تنقضي عجائبه ، وهو معجزة الله الخالدة ، وهو نبع فياض ، كلما وقف العلماء ، منه على جانب تفتحت لهم جوانب كثيرة ، وكلما اعتقد العلماء أنهم بلغوا نهايته تبين لهم أنهم يقفون على شاطئه ، لذلك ففي كل يوم يكتشف العلماء وجوهاً جديدة من وجوه إعجاز القرآن الكريم ، ومع ذلك فإن أعظم الوجوه وأتمها هو الإعجاز البياني ؛ لأننا نجد في كلمة من كلمات القرآن ، وفي كل آية من آياته ، بل في كل سورة من سورته .

وكان اللافت للانتباه في هذا النوع من الإعجاز الفاصلة القرآنية وعلاقتها بموضوع الآية ، ولقد تحدث أغلب العلماء ممن كتبوا في إعجاز القرآن الكريم عن أهمية الفاصلة، وما لها من دور في إبراز الإعجاز البياني ، فكان هذا دافعاً لي لكتابة هذا البحث وهو بعنوان ، " الإعجاز البياني في الفاصلة القرآنية - دراسة تطبيقية على سورة النساء - "

أسباب اختياري لهذا البحث :

1. بيان الإعجاز البياني للقرآن الكريم من خلال الفاصلة القرآنية .
2. قلة من تناول هذا الموضوع بدراسة تحليلية مستقلة.
3. خدمة كتاب الله تعالى ابتغاء الأجر والثواب في الدنيا والآخرة .
4. إضافة دراسة جديدة للمكتبة الإسلامية تبحث في علوم القرآن الكريم ويستفيد منها طلاب العلم .

أهداف البحث :

1. الوقوف على آراء العلماء قديماً وحديثاً في موضوع الفاصلة القرآنية وعلاقتها بموضوع الآية .
2. إثبات الإعجاز البياني للقرآن الكريم من خلال مناسبة الفاصلة القرآنية لموضوع الآية .
3. فتح آفاق جديدة للدارسين تتناول جوانب أخرى في إعجاز القرآن.
4. دراسة وجه الإعجاز البياني في الفاصلة القرآنية في سورة النساء دراسة منهجية تحليلية تطبيقية .
5. توظيف هذا الوجه من الإعجاز البياني في الدعوة لدين الله تعالى .
6. بيان أن الإعجاز البياني للقرآن هو في كلماته بحيث تجيء كل كلمة في مكانها المناسب لاتسد مسدها غيرها .
7. التفريق بين الفاصلة في القرآن الكريم وفن السجع المستخدم في النثر.

أهمية البحث:

1. إبراز موضوع الفاصلة القرآنية في سورة النساء كوجه من وجوه الإعجاز البياني .
2. خدمة كتاب الله تعالى حيث إنه كتاب هداية وإرشاد وأنه معجز بكلماته وجمله وفواصله.
3. بيان أن هذا الموضوع لم يبحث بصورة كتابية مستقلة من قبل وإنما جاء في ثنايا الحديث عن الإعجاز البياني.
4. تتبع أهمية هذه الدراسة من أهمية موضوعها حيث إنها تتناول موضوعاً لم يكتب فيه العلماء رسالة علمية محكمة من قبل .
5. رغبتني في إبراز القيمة العلمية للإعجاز البياني من خلال بيان مدى تلاؤم الفاصلة القرآنية لآياتها.

منهج الدراسة :

- 1- جمع المعلومات المتعلقة بالإعجاز البياني من خلال الكتب القديمة والحديثة والتحليل والاستنباط لكل ما هو مفيد .
- 2- الدقة و الأمانة في عرض تفسير العلماء للفواصل القرآنية في سور النساء .
- 3- الرجوع إلى المصادر الرئيسية وأمّهات الكتب الأساسية بالإضافة إلى الكتب الحديثة المتعلقة بموضوع الفاصلة القرآنية .

- 4- توثيق الآيات القرآنية بعزوها إلى سورها مع ذكر رقم الآية .
- 5- تخريج الأحاديث التي وردت في البحث من مصادرها الأصلية .
- 6- الترجمة لبعض الأعلام القديمة والحديثة .
- 7- توثيق المعلومات المتعلقة بالبحث من مصادرها الأصلية.
- 8- تناول سورة النساء وإجالة النظر فيها والوقوف على أقوال العلماء في تفسيرها مع إبراز وجه الإعجاز البياني من خلال مدى تلاؤم الفاصلة القرآنية لموضوع الآية .

الدراسات السابقة :

لا شك أن كتب القدماء والمحدثين تناولت الفاصلة القرآنية وتحدثت عنها ، ولكن بخلاف المنهجية التي اعتمدها في هذا البحث.

وفي حدود علمي لم أطلع على دراسة تحدثت عن الإعجاز البياني للفاصلة القرآنية وذلك من خلال تطبيق ذلك على سورة النساء.

مع العلم أنني قد قمت بمراسلة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالمملكة العربية السعودية ، وقد كان الرد بأن هذا الموضوع لم يكتب فيه من قبل .

خطة البحث : وتشتمل هذه الخطة على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول و خاتمة

تبدأ بالمقدمة :وفيها تعريف عام بعنوان البحث، وأسباب اختياره ، وأهدافه، وأهميته، والدراسات السابقة، والمنهج الذي اتبعته في هذه الدراسة.

بين يدي الرسالة

مدخل إلى الإعجاز القرآني

- ويشتمل على ثلاثة مباحث :
- المبحث الأول :** تعريف المعجزة .
- المبحث الثاني :** شروط المعجزة والفرق بين معجزة النبي صلى الله عليه وسلم - وبين معجزات الأنبياء السابقين .
- المبحث الثالث :** أقوال العلماء في أهم وجوه الإعجاز

الفصل الأول

علم المناسبة وعلاقته بالإعجاز البياني

ويشتمل على النقاط التالية :

بين يدي الفصل : خصائص الأسلوب القرآني

المبحث الأول : الإعجاز البياني تعريفه وأهميته وأقوال العلماء فيه ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الإعجاز البياني لغة واصطلاحاً .

المطلب الثاني : أهمية الإعجاز البياني .

المطلب الثالث : أقوال العلماء في الإعجاز البياني .

المبحث الثاني : علم المناسبة وأشهر القائلين به ، وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : تعريف علم المناسبة لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني : أهمية علم المناسبات

المطلب الثالث : أشهر من تكلم في علم المناسبات

المطلب الرابع : أنواع المناسبات

المبحث الثالث : المناسبة في ترتيب سور القرآن الكريم ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : ترتيب السور في القرآن الكريم واختلاف العلماء فيه .

المطلب الثاني : علم المناسبة بين القبول والرد .

المبحث الرابع : دور المناسبة في الإعجاز البياني ، وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : مناسبة الآيات واضحة الارتباط وغير واضحة الارتباط

المطلب الثاني : مناسبة الألفاظ في التعريف والتذكير

المطلب الثالث : مناسبة الألفاظ في التقديم والتأخير .

المطلب الرابع : مناسبة الألفاظ في الإفراد والجمع .

المبحث الخامس : الكلمة القرآنية وخصائصها والقيم التي تعطيها ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الكلمة القرآنية وخصائصها

المطلب الثاني : القيم التي تعطيها الكلمة القرآنية.

الفصل الثاني

الفاصلة في القرآن الكريم

ويشتمل على النقاط التالية : :

بين يدي الفصل : ترتيب الآيات والسور في القرآن الكريم

المبحث الأول : الفاصلة القرآنية وأنوعها وأسرارها ، وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الفاصلة القرآنية لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني : أنواع الفواصل في القرآن الكريم

المطلب الثالث : علاقة الفاصلة بسياقها أنواع

المطلب الرابع : الفاصلة القرآنية وعلم المناسبة

المطلب الخامس: من أسرار المغايرة في نسق الفاصلة القرآنية

المبحث الثاني : طرق معرفة الفواصل القرآنية وفوائد العلم بها ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : طرق معرفة الفواصل القرآنية

المطلب الثاني : فوائد معرفة علم الفواصل

المبحث الثالث : دعوى السجع والترادف والتكرار في الفاصلة القرآنية ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول :دعوى السجع في الفاصلة القرآنية

المطلب الثاني : دعوى الترادف في الفاصلة القرآنية

المطلب الثالث :دعوى التكرار في الفاصلة القرآنية

المبحث الرابع : أشهر من كتب حول الفاصلة القرآنية وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الفاصلة القرآنية عند العلماء القدامى

المطلب الثاني : الفاصلة القرآنية عند العلماء المحدثين

الفصل الثالث

الظواهر البلاغية في فواصل سورة النساء

ويشتمل على أربعة مباحث :

المبحث الأول : مقدمات حول سورة النساء ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : سورة النساء ومحورها والجو الذي نزلت فيه

المطلب الثاني : اختيار الفواصل القرآنية في سورة النساء

المبحث الثاني : مناسبة فواصل الآيات لموضوع الآية ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الآيات التي تشتمل فواصلها على أسماء الله الحسنى وعلاقتها بموضوع الآية .

المطلب الثاني : الآيات التي لا تشتمل فواصلها على أسماء الله الحسنى وعلاقتها بموضوع الآية .

المبحث الثالث : الظواهر البلاغية في فواصل الآيات ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : بناء الفاصلة القرآنية

المطلب الثاني : التقديم والتأخير في الفاصلة القرآنية .

المطلب الثالث : التكرار في فواصل الآيات .

المبحث الرابع : خروج الكلام عن مقتضى الظاهر ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر في فواصل الآيات

المطلب الثاني : الإظهار في مواضع الإضمار

المطلب الثالث : الأغراض البلاغية للخبر والأمر والاستفهام في فواصل الآيات

وقد بذلت جهدي في إعداد هذا البحث بفضل الله وتوفيقه ، فما كان من صواب فبتوفيق من الله وحده ، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان ، وأسأل الله تعالى أن يأجرني ووالدي وكل من له فضل علي ، وكل من ساهم في هذا البحث منذ أن كان فكرة إلى أن رأى النور ، وأخص بالذكر أستاذي الدكتور عصام العبد زهد ، الذي لم يدخر جهداً في نصحي وتوجيهي وإرشادي طوال سنة كاملة ، والأخ تيسير المليحي ، الذي ساعدني في طباعة هذا البحث ، والأستاذ سليم الحشاش، الذي ساعدني في التدقيق والمقابلة .

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بين يدي الرسالة مدخل إلى الإعجاز القرآني

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريف المعجزة .

المبحث الثاني : شروط المعجزة والفرق بين معجزة النبي - صلى الله عليه وسلم -

وبين معجزات الأنبياء السابقين .

المبحث الثالث : أقوال العلماء في أهم وجوه الإعجاز

بين يدي الرسالة
مدخل إلى الإعجاز القرآني
المبحث الأول
تعريف المعجزة

أولاً : تعريف المعجزة لغة والإعجاز لغةً واصطلاحاً :

1- المعجزة في اللغة : مشتقة من الفعل الثلاثي عجز ، ومصدره العجز ، وهو ضد القدرة وجاء في المعجم الوسيط عدة معاني لكلمة العجز وكلها تدور في محور واحد وهي كالاتي:

(1) العجز يعني نقيض القدرة والحزم ، فيقال عجز عن الشيء أي بمعنى أنه غير قادر على فعله .

(2) العجز : تعني الضعف ، عجزت عن كذا أي ضعفت .

(3) العجز : يأتي بمعنى التثييط ، تقول عجز الرجل غيره ، وأعجز الرجل غيره أي صار الخصم ضعيف عاجزا عن متابعته⁽¹⁾ .

2- وأما الإعجاز لغة : من الفعل أعجز وهو بمعنى الفوت والسبق ، يقال أعجزني فلان أي فاتني ، وقال الليث : أعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه⁽²⁾ . وقال الراغب الأصفهاني⁽³⁾ : والعجز أصله التأخر عن الشيء وحصوله عند عجز الأمر ، أي مؤخره ، وأعجزت فلان وعجزته وعاجزته جعلته عاجزاً ، والعجوز سميت لعجزها في كثير من الأمور⁽⁴⁾ .

(1) انظر : المعجم الوسيط للدكتور إبراهيم أنيس وآخرين ، جزء 1 ص (42 - 43) ، الطبعة الثانية ، وانظر لسان العرب ، للإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور ، مجلد 10 ص 585 ، دار صادر- بيروت .

(2) انظر : المعجم الوسيط للدكتور إبراهيم أنيس وآخرين ، جزء 1 ص 42 .

(3) هو الحسين بن محمد بن الفضل المعروف بالراغب الأصفهاني ، أبو القاسم ، أديب ، لغوي ، حكيم ، مفسر ، سكن بغداد ، له كتاب المفردات في غريب القرآن ، ومحاضرات الأدباء ، توفي سنة 502 هـ .

(4) الأعلام ، الزركلي ، مجلد 2 ، ص 255 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثامنة 1989 م .
(4) انظر : المفردات في غريب القرآن ، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، ص 323 ، تحقيق : سيد كيلاني ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .

وذكر ابن فارس : أن العين والجيم والزاي تدل على أصلين : أحدهما الضعف :
والآخر مؤخر الشيء (1) .

وقد وردت مشتقات لفظ (عجز) في ستة وعشرين موضعاً في كتاب الله ، وذلك كما
ذكرها محمد فؤاد عبد الباقي في معجمه ، سأكتفي منها بذكر ما له علاقة ببحثنا هذا ،
وهي (2) : -

- أَعْجَزْتُ: ﴿... قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ...﴾ { المائدة : 31 }
نُعْجِزُ: ﴿وَأَنَا ظَنْنَا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا﴾ { الجن : 12 } .
نُعْجِزُهُ: ﴿... وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا﴾ { الجن : 12 }
لِيُعْجِزَهُ: ﴿...وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ {فاطر: 44}
يُعْجِزُونَ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ { الأنفال : 59 }
مُعْجِزِينَ: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ { الحج : 51 }
﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ﴾ {سبأ : 5 }
﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ {سبأ : 35 }
بِمُعْجِزٍ : ﴿.. وَمَنْ لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ..﴾ {الأحقاف : 32 }
مُعْجِزِي: ﴿.. وَعَلِّمُوا أَنْكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي ..﴾ {التوبة: 2 }
﴿.. وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فاعَلِّمُوا أَنْكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ..﴾ {التوبة: 3 }
بِمُعْجِزِينَ: ﴿إِنَّ مَا تُوَعَّدُونَ لِآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ {الأنعام: 134 }
﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلُّ إِي رَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ {يونس: 53 }
﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ..﴾ {هود: 20 }
﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ {هود: 33 }
﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ {النحل : 46 }
﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ...﴾ {النور: 57 }
﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ...﴾ {العنكبوت : 57 }
﴿... سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ {الزمر : 51 }
﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ...﴾ {الشورى : 31 }

(1) معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق عبد السلام هارون ، مجلد 4 ص232 ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة الثانية ، 1969 م .

(2) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، ص567 ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ، الطبعة الثالثة 1992م .

ويلاحظ من هذا العرض لعجز ومشتقاتها كما جاءت في القرآن الكريم أن لفظه (المعجزة والإعجاز) لم ترد مطلقاً في كتاب الله ، ويشير إلى هذا المعنى الأستاذ نعيم الحمصي حيث يقول : " لم يرد في القرآن لفظ (معجزة) أو (إعجاز) ، إنما جاء فيه ألفاظ (آية وبرهان وسلطان) ، وهذه الكلمات لا ترادف كلمة معجزة ، ولا تشمل معنى الإعجاز والمفهوم منها ، وإما تدل على جزء من معناها الذي يشمل أكثر من معنى جزئي واحد ، وهذا الجزء يقابل كلمة الدليل أو الحجة ، بمعنى أن حادثة من الحوادث هي دليل نبوة أحد الأنبياء أو دليل الألوهية ، ولا يدل على أكثر من ذلك ، وأما كلمة معجزة فتدل على أمر خارق للعادة يكون دليلاً على نبوة أحد الأنبياء دون غيره ، ويعجز غيره من الخلق على الإتيان بمثله ، ومن الصعب جداً أن تحدد الزمان أو المكان أو الأثر الذي استعملت فيه كلمة معجزة أو إعجاز أول مرة بهذا المعنى الاصطلاحي (1).

3- المعجزة اصطلاحاً :

اختلفت تعريفات العلماء في المعجزة في الاصطلاح وإليك بعض النماذج :

- 1) عرفها السيوطي بقوله : " اعلم أن المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة " (2) ..
- 2) عرفها عبد القاهر البغدادي بقوله : " وحقيقة المعجزة عند المتكلمين : ظهور أمر خلاف العادة في دار التكليف لإظهار صدق ذي نبوة من الأنبياء أو ذي كرامة من الأولياء مع نكول من يتحدى به عن المعارضة " (3).
- 3) وعرفها عبد الرحمن الميداني بقوله : أمر ممكن عقلا ، خارق للعادة ، يجريه الله على يد من أراد أن يؤيده، ليثبت بذلك صدق نبوته ، وصحة رسالته (4).

(1) فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر ، نعيم الحمصي ، ص7 ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، 1980م.

(2) الإتيان في علوم القرآن ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، جزء 4 ، ص 303 ، تحقيق: أحمد بن علي ، دار الحديث ، 2004م.

(3) أصول الدين ، عبد القاهر البغدادي ، ص 170 ، مطبعة الدولة ، إستانبول، 1928م.

(4) العقيدة الإسلامية وأسسها ، عبد الرحمن الميداني ، ص 338 ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الثانية 1979 م

4) عرفها الدكتور عبد السلام اللوح بقوله : " إن المعجزة هي أمر خارق للعادة يظهره الله على يد مدعي النبوة على وفق مراده تصديقا له في دعواه مقرونا بالتحدي مع عدم معارضته ، وذلك كله في زمن التكليف "(1).

وبالنظر في التعاريف السابقة نقف على ما يلي :

أ- تعريف السيوطي للمعجزة غير مكتمل الشروط ، لأنه لم يبين من هو المختص بالمعجزة ، ولا وقت ظهورها ، ولا موافقتها لدعواه ، حتى يظهر صدق المدعي للنبوة أو كذبه .

ب- وتعريف الميداني يؤخذ عليه أنه لم يحدد ذلك بزمن التكليف ، لأن زمن التكليف في الحياة الدنيا ، وما يجري يوم القيامة من أمور خارجة عن المؤلف والعادة لا تعتبر معجزات .

ج- وأما تعريف البغدادي يؤخذ عليه أنه لم يفرق بين المعجزة والكرامة .

د- إذن فالتعريف الأدق والذي يشتمل على شروط المعجزة جميعها هو تعريف الدكتور عبد السلام اللوح ، لأن التعريف بين من يختص بالمعجزة ، ووقتها ، وموافقتها لدعوى النبي وحدد ذلك بزمن التكليف .

4- إعجاز القرآن اصطلاحا :

1) عرفه الرافعي بقوله : " وإنما الإعجاز شئان ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة ، ومزاولته على شدة الإنسان واتصال عنايته ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه ، فكأن العالم كله في العجز إنسان واحد ، ليس له غير مدته المحدودة بالغة ما بلغت " (2).

2) وقد عرفه الدكتور مناع القطان بقوله : " إظهار صدق النبي ﷺ في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة - وهي القرآن - وعجز الأجيال بعده (3).

(1) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، رسالة ماجستير ، الدكتور عبد السلام حمدان اللوح ، ص 6 ، آفاق للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ، 2002م .

(2) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي ، ص 139 ، منشورات دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة التاسعة ، 1973م .

(3) مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان ، ص 265 ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة السابعة ، 1990م .

المبحث الثاني

شروط المعجزة والفرق بين معجزة النبي صلى الله عليه وسلم - وبين معجزات الأنبياء السابقين .

أولاً : شروط المعجزة :

1- أن تكون المعجزة من فعل الله سبحانه وتعالى ، وليس للنبي أو الرسول فيها يد ، وإن جرت على يديه وإنما دور النبي الدعاء إلى الله بالتأييد والتثبيت في طريق الدعوة .

ومعلوم لدينا أن الذي يخرق النواميس الكونية ليس البشر ، وإنما الله سبحانه وتعالى فهو الخالق لكل هذه المظاهر الكونية فهو وحده القادر على إحداث التغيير فيها كما يشاء ، قال تعالى: ﴿ فَعَالٌ لَّمَّا يُرِيدُ ﴾ { البروج : 16 } ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ { الحج: 14 } .

والدليل على هذا الشرط موقف عيسى عليه السلام كما يصوره القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ { آل عمران : 49 }

والمعجزة : هي بأمر الله سبحانه والنبي أو الرسول ليس له إلا التوجه والتضرع والدعاء إلى الله لكي يؤيده بهذا الأمر المعجز ليكون برهاناً على صدقه ، والأمر المعجز يشمل واحدة من ثلاثة :-

أ- القرآن الكريم : وهو المعجزة الخالدة الباقية إلى يوم القيامة للدلالة على نبوة محمد ﷺ .

ب- الفعل : وهو يعني حدوث أمر خارق للعادة والمألوف كإطعام الخلق الكثير من الطعام القليل ، أو كنبع الماء من بين أصابعه ﷺ - أو كانشقاق القمر ... إلخ

ج- الترك : كأن تترك بعض المواد الخاصة الملازمة لها وتتصف بخواص مغايرة تماماً غير مألوفة ومعهودة عند الناس ، كمثل عدم إحراق النار لإبراهيم عليه السلام قال تعالى : ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ { الأنبياء : 69 } ، لقد

فقدت خاصيتها وهي الاحتراق وأصبحت سلاماً على أبي الأنبياء بأمر الله سبحانه ،
أو أن يصبح البحر طريقاً يبساً ، كما حدث لموسى عليه السلام ، قال تعالى :
﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لَّا تَخَافُ
دَرْكاً وَلَا تَخْشَى ﴾ { طه : 77 } (1) .

2- أن تكون المعجزة ناقضة للعادة والمألوف، أو خرقاً لسنن يراها الناس ويلمسونها
وبمفهوم المخالفة يتضح أن غير الخارق لا يسمى معجزة كأن يقول رجل إن آية
صدقي الناقضة للعادة والمألوف أن أمشي على اليابسة فهذه ليست معجزة لأنه في
مقدور الإنسان فعل ذلك ، أما المعجزة فتتمثل في أن تقلب العصا إلى ثعبان أو
يشق الحجر ويخرج من وسطه ناقة أو ينبع الماء من بين أصابع النبي ﷺ -

ليبرهن على أن الله معه ، والأمثلة كثيرة على ذلك منها أن تصبح النار برداً
وسلاماً على إبراهيم ، قال تعالى : ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
فَاعِلِينَ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ { الأنبياء : 68 ، 69 } (2)

3- أن يتعذر على المتحدي بها الإتيان بمثلاً : بمعنى أنه لا يستطيع أحد أن يأتي بمثلاً
، فالمعجزة تكون عندما يعجز الناس جميعاً عن المجيء بمثلاً وبهذا الشرط يخرج
(3) :-

أ- السحر : فهو تخييل وليس معجزة لأنه في مقدور البشر تعلمه ومعرفته بالممارسة ،
قال تعالى : ﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴾ {65} قَالَ بَلْ
أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴾ { طه : 65 ، 66 } ،
فهي حقيقة لا تسعى وإنما هو تخييل من قبيل السحر .

ب- الشعوذة : وهي تعني خفة اليد في فعل أمر ما ، وهي نوع من الخداع والاحتيال
البعيد عن الحقيقة .

الكهانة : هي أن ينتبأ الكاهن بأمر غيبي قائم على الظن والتخمين ، العرافة : هي أن
ينتبأ العراف بالأخبار المستقبلية على نحو الكهانة .

4- أن تكون المعجزة مطابقة لمن ظهرت على يديه : بمعنى أن تكون مؤيدة ومصدقة
له ، كأن يقول آية نبوتي ، و دليل حجتي أن تنطق الصخرة أو الدابة ، فنطقت

(1) انظر : الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، عبد السلام اللوح ، ص 11 بتصرف

(2) الجامع لأحكام القرآن الكريم ، لأبي عبد الله محمد الأنصاري القرطبي ، مجلد 1 ، ص 70 ..

(3) انظر : الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، عبد السلام اللوح ، ص (13 ، 14)

بكذبه ، فالنطق هنا أمر خارق للعادة ، ولكنه مخالف له في دعواه ، فمثل هذا ليس بمعجزة⁽¹⁾ .

5- أن تكون المعجزة في زمان التكليف : أي في الحياة الدنيا وقبل ظهور العلامات الكبرى ليوم القيامة ، وذلك ليتم التحدي بها والعجز عن معارضتها ، وأما بالنسبة لما يجري يوم القيامة من أمور خارجة عن المؤلف والعادة لا يعتبر معجزات ، أي أنها ليست للتحدي مثل طلوع الشمس من مغربها وانفطار السماء ونسف الجبال وتسجير البحار ... إلخ⁽²⁾ .

ثانياً : الفرق بين معجزة النبي - ﷺ - ومعجزات الأنبياء السابقين : -

وأما وجه الافتراق بين معجزة محمد - ﷺ - ومعجزات الأنبياء السابقين فيتمثل في عدة نقاط هي :

1- إن معجزات الأنبياء السابقين كانت شيئاً آخر غير رسالاتهم التي يدعون إليها ، فطب عيسى غير إنجيله ، وعصا موسى غير توراته ، وهذا بخلاف معجزة محمد - ﷺ - فقد جعلها الله شيئاً لا ينفصل عن جوهر الرسالة ، فحقائق الرسالة ودلائل صحتها كتاب واحد . فالقرآن إذن هو منهج الشريعة ودليل النبوة والرسالة ، وذلك لتستمر هذه المعجزة باستمرار الرسالة إلى أن يرث الله الأرض من عليها⁽³⁾ .

2- إن معجزات الأنبياء السابقين الدالة على صدق نبوتهم هي وقائع تقع ثم تنقضي ولا تبقى بعد موت الأنبياء ، فيراها الذين عاصروها وحدهم ، وأما من يأتي بعدها فتنتقل إليهم أخبارها فيضعف تأثيرها عليهم ؛ لذلك جعل الله تعالى المعجزة الكبرى لمحمد - ﷺ - من نوع آخر ، جعلها قائمة تخاطب الأجيال ، يراها ويقرؤها الناس في كل عصر إلى قيام الساعة ، ألا وهي هذا القرآن المعجز للخلق بما فيه من أنواع الإعجاز⁽⁴⁾ .

(1) الجامع لأحكام القرآن الكريم ، لأبي عبد الله محمد الأنصاري القرطبي ، مجلد 1 ، ص 71 .

(2) انظر : الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، عبد السلام اللوح ، ص : 14

(3) انظر : عقيدة المسلم ، محمد الغزالي ، ص 243 ، دار البيان ، الكويت ، 1970 م

(4) انظر : تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ، محمد رشيد رضا ، مجلد 1 ، ص 217 ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية .

3- كانت معجزات الأنبياء السابقين حسية مادية ، فكانت معجزة نبي الله صالح - عليه السلام - ناقةً أخرجها لهم من صخرة ، وكانت معجزة موسى - عليه السلام - من باب قلب الحقائق ، فانقلبت العصا له حية ، وكانت معجزة عيسى - عليه السلام - شفاء المرضى والمعوقين وإحياء الموتى . ولكن لما بلغت الإنسانية الرشد بفكرها ونضج عقلها ، جعل الله معجزة خاتم الأنبياء علمية عقلية هداية للعقل ، وتقديراً لمكانته ، فأيده الله بهذا القرآن العظيم الذي لا يدرك إلا بالتأمل والتدبير (1) .

(1) انظر : العقائد الإسلامية ، سيد سابق ، ص 215، دار الكتاب العربي ، بيروت

المبحث الثالث

آراء العلماء في أهم وجوه الإعجاز

إن قضية الإعجاز القرآني من أشد الأمور حساسية وأكثرها دقة خاصة وأنه وثيق الصلة بكتاب الله تعالى من حيث كونه كتاب هداية وإعجاز معا لذلك نالت هذه القضية جهودا مكثفة على مر العصور حتى يومنا هذا .

ولقد تحدث العلماء عن أوجه هذا الإعجاز فأحسنوا، وعددوا فأكثروا وفصلوا فبينوا ، وذلك بما فتح الله عليهم من كنوز كتابه التي لا آخر لها فهو نبع فياض بخيره ، كريم بعبائه ، لا يبخل على من قصده ، يفتح بابه لمن طرقه ، يجيب كل من سأله ، يعطي كلاً بما هو أهله ، فمنهم من أوصل وجوه الإعجاز إلى خمسة وثلاثين وجها كما فعل الحافظ جلال الدين السيوطي .

والذي يهمنا في هذا المبحث أن نقف على أهم آراء بعض العلماء الذين كان لهم مواقف بارزة في القول بالإعجاز وإليك آراءهم :

1 - رأي الخطابي⁽¹⁾ :

لقد صنف الخطابي رسالة في الإعجاز أسماها (بيان إعجاز القرآن) (2) وقد أكد الخطابي في رسالته على أن الإعجاز يقع في وجهين : أحدهما : وجه البلاغة ، والثاني : تأثيره في النفوس .

أولاً : وجه البلاغة : فقد اعتبره الخطابي وجهاً من وجوه الإعجاز لأن القرآن قد اشتمل على ثلاثة أنواع من الكلام البليغ المحمود وهي كالاتي :

- 1) البليغ الرصين الجزل ، وهو أعلى طبقات الكلام .
- 2) الفصيح القريب السهل ، وهو أوسط طبقات الكلام .
- 3) الجائز الطلق الرسل ، وهو أدنى طبقات الكلام .

وقد اعتبر أن عجز البشر عن الإتيان بمثل هذا القرآن راجع لأمر ثلاثة وإليكها:

(1) هو أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي ، من بلاد كابل ، فقيه محدث ، ولد سنة 319 هـ ، وتوفي سنة 388 هـ ، انظر الأعلام للزركلي ، مجلد 1 ص 304 .

(2) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق وتعليق ، محمد خلف الله ، والدكتور محمد زغول سلام ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف .

أ) إن علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية وبألفاظها التي هي ظروف تحتمل لمعاني كثيرة أحياناً .

ب) لا تدرك أفهامهم جميع معاني الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ سواء كانت على سبيل الحقيقة أو المجاز .

ج) لا تكمل معرفته لاستيفاء جميع وجوه النظم التي بها يكون انتلافها وذلك حيث يقول : " وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة : لفظ حامل ، ومعنى به قائم ، رباط لهما ناظم ، وإذا تأملت القرآن ، وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه ، ولا ترى نظاماً أحسن تأليفاً وأشد تلوئماً وتشاكلاً من نظمه ، وأما المعاني فلا خفاء على ذي عقل إنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها ، والترقي إلى أعلى درجات الفضل من نعوته وصفاتها ، فتفهم الآن واعلم أن القرآن إنما سار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً أصح المعاني " (1) .

ثانياً: وهو الوجه الثاني الذي ذهب إليه الخطابي ويعتبر أول من لفت الأنظار إليه كوجه من أوجه الإعجاز ، هو ذلك التأثير الذي يتركه القرآن في القلوب والنفوس ، وذلك حيث يقول : " قلت وفي إعجاز القرآن وجه آخر ذهب عنه الناس ، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم ، وذلك صنيعة بالقلوب تأثيره في النفوس فأنت لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منثوراً إذا قرع السمع خلص له القلب من اللذة والحلاوة في حال ، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه ، تستبشر منه النفوس ، وتشرح له الصدور ، حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها من الوجيب والقلق ، وتعشاها الخوف والفرق تقشعر منه الجلود وتزعج له القلوب ، يحول بين النفس وبين مضمراتها وعقائدها الراسخة فيها " (2)

(1) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، الخطابي ، ص 24.

(2) المرجع السابق ، ص 64.

2- رأي الرماني (1):

لقد صنف الرماني رسالةً في الإعجاز أسماها (النكت في إعجاز القرآن) وهي مطبوعة مع رسالة الخطابي وعبد القاهر الجرجاني .

وقد أكد الرماني في رسالته على أن إعجاز القرآن يظهر في سبعة وجوه ، وذلك حيث يقول " وجوه إعجاز القرآن تظهر في سبع جهات : (ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة ، والتحدي للكافة ، والصُرْفَة ، والبلاغة ، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية ، ونقض العادة ، وقياسه بكل معجزة " (2) .

وفصل الرماني القول وأطال في بيان وجه إعجاز القرآن من جهة البلاغة وقد عرفها بقوله " إنما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ " . وقد قسمها إلى عشرة أقسام هي : (الإيجاز ، والتشبيه ، والاستعارة ، والتلاؤم والفواصل ، والتجانس ، والتصريف ، والتضمين ، والمبالغة ، وحسن البيان) . وقد شرح كل قسم من هذه الأقسام على حدة .

ثم عاد للوجوه الأخرى يبينها بإيجاز شديد ، وذلك حيث يقول : "أما توفر الدواعي : فتوجب الفعل مع الإمكان لا محالة في واحد كان أو في جماعة وأما التحدي للكافة : فهو أظهر في أنهم لا يجوز أن يتركوا المعارضة مع توفر الدواعي إلا العجز عنها . أما الصرفة فهي صرف الهمم عن العارضة . وأما الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية فإنه لما كان لا يجوز أن تقع على الاتفاق دل على أنها من عند علام الغيوب . وأما نقض العادة : فإن العادة كانت جاريةً بضروب من أنواع

الكلام معروفة : منها الشعر والسجع ومنها الخطب ومنها الرسائل ، ومنها المنثور الذي يدور بين الناس في الحديث ، فأتى القرآن بطريقة مفردة خارجة عن العادة لها منزلة في الحسن تفوق به على كل طريقة . وأما قياسه بكل معجزة : فإنه يظهر إعجازه من جهة ، إذ كان سبيل فلق البحر وقلب العصا حية وما جرى هذا المجرى في ذلك سبيلاً واحداً في الإعجاز ، إذ خرج عن العادة ، قعد الخلق فيه عن المعارضة" (3) .

(1) هو أبو الحسن علي بن عيسى الرماني ، أديب : نحوي ، لغوي ، متكلم ، فقيه ، أصولي ، مفسر ، ولد سنة 296هـ ، وتوفي 384هـ ، انظر معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة ، مجلد 7 ص 862.

(2) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، الخطابي ، ص 69.

(3) المرجع السابق ، ص (101 - 103).

3- رأي الباقلاني⁽¹⁾ :

لقد صنف الباقلاني كتاباً مشهوراً في الإعجاز أسماء (إعجاز القرآن) ويرى الباقلاني في كتابه أن وجوه الإعجاز القرآني متمثلة في ثلاثة وجوه هي :
أ- ما يتضمنه القرآن من الأخبار عن الغيوب ، وذلك مما لا يقدر عليه البشر ولا سبيل لهم إليه ، وضرب على ذلك مثلاً بما وعد الله تعالى نبيه عليه السلام ، أنه سيظهر دينه على الأديان ، بقوله عز وجل ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : 33 ، الصف : 9] ففعل ذلك .

ب- إنه كان معلوماً من حال النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان أمياً لا يكتب ولا يحسن القراءة .

وكذلك كان معروفاً من حاله أنه لم يعرف شيئاً من كتب المتقدمين وأقاصيصهم وأنبيائهم وسيرهم ، ثم أتى بمجمل ما وقع وحدث من عظيماات الأمور ومهمات السير ، من حين خلق الله آدم عليه السلام إلى حين مبعثه . ولذلك قال عز وجل ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُونَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ { العنكبوت : 48 } .

ج- إنه بديع النظم ، عجيب التأليف ، متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه .

وقد فصل من هذا الوجه وفرع منه عشرة وجوه كلها تعود إلى بديع نظمه وعجيب تأليفه ، وتناهيه في البلاغة⁽²⁾ .

حيث تحدث في الوجه العاشر عن الإعجاز التأثيري فقال : " فالقرآن أعلى منازل البيان وأعلى مراتبه ما جمع وجوه الحسن وأسبابه وطرقه وأبوابه من تعديل النظم وسلامته وحسنه وبهجته ، وحسن موقعه في السمع على اللسان ووقوعه في النفس موقع القبول ، وإذا علا الكلام في نفسه ، كان له من الواقع في القلوب والتمكن في النفوس ما يذهل

(1) هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر القاسم البصري ، متكلم على مذهب الأشعري ، ولد بالبصرة عام 338هـ وتوفي عام 403هـ ، انظر معجم المؤلفين مجلد 5 جزء 10 ص 111 .

(2) انظر : إعجاز القرآن ، أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني ، تحقيق السيد أحمد صقر ، ص 48 - 71 ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف - مصر .

ويبهج ويقلق ، ويطمع ويؤنس ، ويضحك ويبكي ويحزن ويفرح ويسكن ويزعج ، ويشجي ويطرب ويهز الأعطاف ويستميل نحوه الأسماع ويورث الأريحية والعزة⁽¹⁾ .

4- رأي الجرجاني⁽²⁾ :

لقد صنف الجرجاني رسالةً في الإعجاز ، وهي (الشافية) وقد طبعت مع رسالة الخطابي والرماني .

ولم يكن هم الجرجاني في هذه الرسالة إلا إثبات الإعجاز فقط ، ولم يدخلها شيء عن أوجه هذا الإعجاز ، وإنما جعل حديثه عن أوجه الإعجاز في كتاب له بعنوان (دلائل الإعجاز) .

وقد ركز في كتابه هذا على النظم ، وجعله وجه الإعجاز في القرآن ومما يوضح رأيه يجلبه جوابه لمن سأل عن وجه الإعجاز في القرآن حيث أجاب بقوله: " أعجزهم مزايا ظهرت لهم في نظمه ، وخصائص صادفوها في سياق لفظه ، وبدائع راعتهم من مبادئ آية ومقاطعها ، ومجاري ألفاظها ومواقعها ، وفي مضرب كل مثل ، ومساق كل خير ، وصورة كل عظة وتبويه وإعلام ، تذكير وترهيب ، ومع كل حجة وبرهان ، وصفة وتبيان ، وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة ، وعشراً عشراً ، وآية آية ، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها، لفظة ينكر شأنها ، أو يرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه أو أحرى وأخلق ، بل وجدوا اتساقاً بهر العقول وأعجز الجمهور نظاماً والتثاماً ، إتقاناً وإحكاماً "⁽³⁾.

5 - رأي السيوطي⁽⁴⁾ :

تحدث السيوطي رحمه الله عن وجوه الإعجاز القرآني المتعددة في كتابه (معترك الأقران) وذكر وجوهاً عدة منها :

(1) إعجاز القرآن للباقلاني - ص 192 .

(2) هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني كان شافعيًا عالمًا بالعربية ، له العديد من المؤلفات أهمها كتاب دلائل الإعجاز ، توفي سنة 471هـ ، انظر: سير أعلام النبلاء ، محمد الذهبي ، مجلد 18 ص (422 ، 423) .

(3) دلائل الإعجاز في المعاني ، أبو بكر عبد القادر بن عبد الرحمن الجرجاني، صحح أصله الإمام الشيخ محمد عبده ، والأستاذ الشيخ محمد محمود الشنقيطي ، ص 28 ، منشورات مكتبة القاهرة ، 1961م .

(4) هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضير السيوطي ، جلال الدين : إمام حافظ ، مؤرخ أديب ، له نحو ستمائة مصنف ، منها الكتاب الكبير والرسالة الصغيرة ، نشأ في القاهرة يتيمًا ، ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس ، خلا بنفسه في روضة المقياس ، ولد سنة 849 هـ ، توفي سنة 911 هـ ومن مؤلفاته : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، والإتقان في علوم القرآن . انظر معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة مجلد 5 ص (128 - 130) ، دار إحياء التراث العربي .

- 1) تحدث في الوجه الثامن عشر من وجوه إعجازه عن إخبار القرآن بأمر من غيب المستقبل⁽¹⁾.
 - 2) وفي الوجه التاسع عشر من وجوه إعجازه تحدث عن إخبار القرآن عن الأمم السالفة والأمم البائدة⁽²⁾.
 - 3) وتحدث في الوجه العشرين من وجوه إعجازه عن الروعة والهيبة التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماع القرآن الكريم ، وهي على المكذابين به أعظم حتى كانوا يستنقلون سماعه⁽³⁾.
 - 4) وتحدث في الوجه الحادي والعشرين من وجوه إعجازه أن سامعه لا يمجه وقارئه لا يمله فتلذذ له الأسماع وتشغف له القلوب⁽⁴⁾ .
- 6 - رأي الرافعي⁽⁵⁾ :

لقد صنف الرافعي كتاباً في الإعجاز أسماء (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية) ، وتراه قد عرف الإعجاز بقوله: " وإنما الإعجاز شيئان : ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة ، ومزاولته على شدة الإنسان واتصال عنايته ، ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه ، فكأن العالم كله في العجز إنسان واحد ليس له غير مدته المحدودة بالغة ما بلغت " ⁽⁶⁾ .

وقد تحدث عن الإعجاز وأوجهه بقوله : " أما الذي عندنا في وجه إعجاز القرآن ، وما حققناه بعد البحث وانتهينا إليه بالتأمل وتصفح الآراء وإطالة الفكر ، وإنضاج الروية ، وما إستخرجناه من القرآن نفسه في نظمه ووجه تركيبية واطراد أسلوبه أن القرآن معجزة بالمعنى الذي يفهم لفظ الإعجاز على إطلاقه ، حين ينفي الإمكان بالمعجز عن غير الممكن فهو أمر لا تبلغ منه الفطرة الإنسانية مبلغاً ، وليس إلى ذلك مأتى ولا جهة ، وإنما هو أثر كغيره من الآثار الإلهية يشاركها في إعجاز الصنعة وهيئة الوضع ، وينفرد عنها بأن له مادة من الألفاظ كأنها مفرغة إفراغاً من ذوب تلك المواد كلها....

(1) انظر : معتزك الأقران في إعجاز القرآن ، الشيخ أبي الفضل جلال الدين السيوطي ، تحقيق أحمد شمس الدين ، مجلد 1 : ص 180 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1988 م .

(2) انظر : المرجع السابق ، مجلد 1 : ص 181

(3) انظر : المرجع السابق ، مجلد 1 : ص 182

(4) انظر : المرجع السابق ، مجلد 1 : ص 184

(5) هو الأديب مصطفى صادق الرافعي ، شاعر من كبار الكتاب ، أصله من طرابلس الشام ، ومولده ووفاته في طنطا بمصر ، ولد سنة 1297 هـ وتوفي سنة 1356 هـ ، انظر الأعلام للزركلي مجلد 8 ، ص 13 .

(6) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي ، ص 139 .

فالقُرآن معجز في تاريخه دون سائر الكتب ، ومعجزة في أثره الإنساني ، ومعجز كذلك في حقائقه وهذه وجوه عامة لا تخالف الفطرة الإنسانية في شيء ، فهي باقية ما بقيت⁽¹⁾ .

وبهذا فقد أشار الرافي إلى ثلاثة أنواع من إعجازه ، وهي من حيث تعلقه بغيره ، وذلك في تاريخه دون الكتب ، وفي أثره الإنساني وفي حقائقه العلمية .

إلا أن الرافي يركز في كتابه هذا على إعجاز القرآن من حيث نفسه باعتباره كلاماً عربياً ، ويعتبر أن إعجازه من هذه الناحية متمثل في البلاغة من حيث هي أسلوب ونظم وتركيب ، وإليك بعض أقواله في ذلك ، يقول تحت عنوان (أسلوب القرآن) : " وهذا الأسلوب وإنما هو مادة الإعجاز العربي في كلام العرب كله ، ليس من ذلك شيء إلا وهو معجز ، وليس من هذا شيء يمكن أن يكون معجزاً ، وهو الذي قطع العرب دون المعارضة "⁽²⁾ .

7 - رأي محمد رشيد رضا⁽³⁾:

لقد تعرض الشيخ في (تفسير المنار) للحديث عن الإعجاز ووجوهه وقد جعل لذلك فصلاً بعنوان (فصل في تحقيق وجوه الإعجاز بمنتهى الاختصار والإيجاز)⁽⁴⁾ ، ثم شرع في بيان أوجه الإعجاز ، وقد جعلها سبعة على النحو التالي :

(1) اشتماله على النظم الغريب والوزن العجيب والأسلوب المخالف لما استتبطه البلغاء من كلام العرب في مطالعه وفواصله ومقاطعته .

(2) بلاغته التي تقاصرت عنها بلاغة سائر البلغاء قبله وفي عصر تنزيله وفيما بعده ، ولم يختلف أحد من أهل البيان في هذا .

(3) اشتماله على الأخبار بالغيب من ماضٍ كقصص مع أقوامهم ومن حاضر في عصر تنزيله ، كقوله تعالى ﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ {3} فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصِرُ مَنِ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ { الروم 2 ، 5 }

(1) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، للرافي ، ص 156 .

(2) المرجع السابق ، ص 157 .

(3) هو تلميذ الشيخ محمد عبده ، بغدادى الأصل ، ولد في طرابلس ، ورحل إلى مصر ، أصدر مجلة المنار ، وأنشأ مدرسة الدعوة والإرشاد بمصر ، ولد سنة 1865 م ، وتوفي سنة 1935 م ، انظر معجم المؤلفين ، عمر كحالة ، مجلد 9 ص 310 .

(4) انظر : تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ، محمد رشيد رضا ، مجلد 1 ص 198 .

ومن أظهر هذه الأخبار وعده تعالى بحفظ القرآن من النسيان والتغيير التبدل وقوله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ { الروم : 9}.

4) سلامته على طوله من التعارض والتناقض والاختلاف خلافاً لجميع كلام البشر، وهو المراد بقوله تعالى ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا... ﴾ { النساء : 82} .

5) اشتماله على العلوم الإلهية وأصول العقائد الدينية ، وأحكام العبادات وقوانين الفضائل والآداب ، وقواعد التشريع السياسي والمدني والاجتماعي الموافقة لكل زمان ومكان ، وبذلك بفضل كل ما سبقه من الكتب السماوية ومن الشرائع الوضعية ، ومن الآداب الفلسفية .

6) إعجاز القرآن بعجز الزمان عن إبطال شيء منه ، وذلك أن القرآن يشتمل على بيان كثير من آيات الله تعالى في جميع أنواع المخلوقات من جماد والنبات والحيوان والإنسان ، ويصف خلق السموات والأرض وشمسها وقمرها ودراريها ونجومها و الأرض والهواء والسحاب والماء من بحار أنهار وعيون وينابيع ، وفيه تفصيل لكثير من أخبار الأمم ، وبيان التشريع السوي ، وقد حفظ كله فيه بكلمة وحروفه منذ ثلاثة عشر قرناً ونيف ، ثم عجزت هذه القرون ، التي ارتفعت فيها جميع العلوم والفنون أن تنقض بناء آية من آياته ، أو تبطل حكماً من أحكامه ، أو تكذب خبراً من أخباره ، وهذا النوع من الإعجاز غير ما تقدم من سلامته من التعارض والاختلاف فتلك في الماضي وهذه في الحاضر والمستقبل .

7) اشتمال القرآن على تحقيق من المسائل العلمية والتاريخية التي لم تكن معروفة في عصر نزوله ، ثم عرفت بعد ذلك بما انكشف للباحثين والمحققين من طبيعة الكون وتاريخ البشر وسنن الله في الخلق ، وهذه مرتبة فوق ما ذكرناه في الوجه السادس من عدم نقض تقدم العلوم لشيء مما فيه ، تدخل في المراد أخبار الغيب المبينة في الوجه الخامس (1).

(1) انظر : تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ، مجلد 1 ، ص 198 – 210 ، بتصريف .

8 - رأي محمد عبد الله دراز⁽¹⁾ :

لقد تحدث الدكتور دراز في كتابه (النبأ العظيم) عن أوجه الإعجاز وقد جعلها في ثلاثة أوجه ، وذلك حيث يقول : " فلنأخذ الآن - بعون الله وتوفيقه - في دراسة هذه النواحي الثلاث من الإعجاز القرآني ، أعني ناحية الإعجاز اللغوي ، وناحية الإعجاز العلمي ، وناحية الإعجاز الإصلاحي التهذيبي الاجتماعي ، ولتكن عنايتنا أوفر بناحيته اللغوية لأنها هي التي وقع من جهتها التحدي بالقرآن جملة وتفصيلاً في سورة منه ، لذلك نبدأ بها "⁽²⁾ .

وجد الدكتور دراز يركز في إعجازه اللغوي على ناحية الأسلوب بما يحوي من خاصية تأليفه الصوتي وشكله وجوهره .

وقد خص البيان القرآني بخصائص تعتبر هي روح الإعجاز فيه وهي :

2.1- القصد في اللفظ والوفاء بحق المعنى .

4.3- خطاب العامة وخطاب الخاصة .

6.5- إقناع العقل وأمتاع العاطفة .

8.7- البيان ، والإجمال "⁽³⁾ .

10.9- الكثرة ، والوحدة : وهاتان النقطتان متعلقتان بجمال النظم ذلك أن في السورة المعاني المختلفة في جوهرها المنفصلة بطبيعتها ، ثم يمزج بينهما فيكون لها مزاج واحد واتجاه واحد ، على الرغم من وجود أزمان مختلفة وظروف متباينة ، فتجد في السورة الواحدة ضروباً من قصص وتشريع وجدل ولا تجد مع ذلك أي ملل أو سأم ، وهكذا تجد وحدة الحبك وقوة النظم بين القضايا المتعدد في السورة الواحدة ، فهو كلام واحد يتعلق أوله بآخره ، آخره بأوله يتراعى بجملته إلى غرض واحد ، وهكذا ما يعرف بالوحدة الموضوعية⁽⁴⁾ .

ثم مثل على الكثرة والوحدة بأطول سورة في القرآن ، وهي سورة البقرة ، التي نزلت نجوماً في تسع سنين عدداً⁽⁵⁾ .

(1) هو عالم أديب ، ولد بمصر ، وحصل على شهادة الدكتوراه من الصوربون في فرنسا ، ونال عضوية جماعة كبار العلماء ، واشترك في المؤتمر العلمي الإسلامي بمدينة لاهور في الباكستان ، وتوفي بها فجأة عام 1958 م ، انظر معجم المؤلفين عمر كحالة ، مجلد 10 ص 212 .

(2) النبأ العظيم ، الدكتور محمد عبد الله دراز ، ص 79 ، دار القلم ، الكويت ، 1984 م ،

(3) انظر : المرجع السابق ، ص 109 - 118 .

(4) انظر : المرجع السابق ، ص 142 - 163 .

(5) انظر : المرجع السابق ، ص 163 - 211 .

ثم ختم كتابه بقوله : " لعمرى لئن كانت للقرآن في بلاغة تعبيره معجزات وفي أساليب تربيته معجزات ، وفي نبوءاته الصادقة معجزات ، وفي تشريعاته الخالدة وفي كل ما استخدمه من حقائق العلوم النفسية والكونية ومعجزات ، لعمرى إنه في ترتيب آية على هذا الوجه لهو معجزة المعجزات " (1).

9 - سيد قطب :

لقد أوضح صاحب الظلال أن الإعجاز في كل آيات القرآن ، حتى في الآيات الأولى التي خلت من العلوم الكونية والتشريعات ، ويرى أن الإعجاز في بيان القرآن وأسلوبه وتصويره الفني المؤثر في النفوس ، وعبر عن ذلك بمصطلح جديد سماه تأثير القرآن على سامعيه " وأرجع هذا التأثير إلى تذوق الجمال الفني في القرآن ، وذكر أن هذا التذوق الفني للقرآن مر بثلاث مراحل نلخصها في الآتي (2) :

(1) مرحلة التذوق الفطري : وهي المرحلة التي قام بها الصحابة حيث لم يعللوا ما كانوا يجدونه من أثر القرآن عليهم ، وتأثيره فيهم .

(2) مرحلة إدراك بعض الخصائص الفنية : قال إن بعض الأدباء والمفسرين أدركوا مواضع الجمال المتفرق في القرآن الكريم وأثنى على الإمام الزمخشري في لفتاته البيانية في تفسيره (الكشاف) وأيضاً على الجرجاني في نظريته (النظم القرآنية) حيث قال : " رجل واحد من الباحثين في البلاغة والإعجاز سابق الزمخشري ، بلغ غاية التوفيق المقدر لباحث في عصره هو عبد القاهر الجرجاني ، فلقد أوشك أن يصل إلى شيء في كتابه (دلائل الإعجاز) ولولا إن قصة " المعاني والألفاظ ظلت تحليل له من أول الكتاب إلى آخره".

(3) مرحلة إدراك الخصائص العامة الموحدة للجمال الفني للقرآني ، فهذه المرحلة لم يصل إليها أحد من السابقين ولم يبينوها ، فهي تكمن في التصوير الفني في الأسلوب القرآني.

ويعتبر التصوير الفني في القرآن من الأمور الإعجاز التي امتاز بها القرآن على غيره من الكلام حيث ورد في الكثير من الآيات القرآنية تصوير المعنى الذهني في صورة

(1) النبأ العظيم ، الدكتور محمد عبد الله دراز ، ص 211 .

(2) انظر : التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب ، ص : 29 - 32 ، دار الشروق ، مصر

حسية وكأنها واقعة ملموس وشاهدة أمام القارئ فتتطبع في ذاكرته ووجدانه ، وهذا أبلغ في التأثير ، فالإنسان قد ينسى قصة سمعها لكنه لم ينس مشهداً أو صورة رآها (1) .

10 - رأي الدكتور فضل عباس :

يعتبر الإعجاز البياني هو الوجه الأول والأهم من وجوه الإعجاز القرآني، ويرى بأن للقرآن الكريم تأثيراً في النفوس عندما تستمع إلى تلاوته ويسميه بالإعجاز الروحي حيث يقول : " بقي مظهر واحد وهو تأثير القرآن في النفس الإنسانية ، وهذا كذلك لا يسميه العلماء إعجازاً نفسياً ، بل هو إعجاز روعي " (2) .

وبعد أن وقف الدكتور فضل عباس على أقوال العلماء حول الإعجاز العلمي للقرآن فقد خرج بإثبات الإعجاز العلمي ولكن بشروطٍ وهي (3) :

- 1) موافقة اللغة العربية بحيث يطابق المعنى المفسر المعنى اللغوي .
 - 2) ألا يخالف صحيح المأثور عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أو ماله حكم المرفوع .
 - 3) أن يوافق التفسير ويتناسب مع سياق الآيات .
 - 4) ألا يتعرض التفسير العلمي لأخبار المعجزات .
 - 5) أن يكون التفسير حسب الحقائق العلمية الثابتة لا حسب النظريات .
- وكذلك قد تحدث الدكتور فضل عباس عن الإعجاز التشريعي حيث قال : " والحق أن بيان القرآن وتشريعاته لا ينفصل بعضها عن بعض ، وإذا عرفنا أن القرآن معجزة بيانية ، فيجب أنعلم أنه معجزة تشريعية كذلك " (4) .
- وقد أثبت الدكتور فضل عباس أن أخبار القرآن عن الأمم السالفة يعد وجهاً من وجوه الإعجاز حيث قال : " والمتأمل في قصص القرآن ، والمتدبر لآياته يدرك أن ما جاء به القرآن الكريم مجملاً تارةً ومفصلاً تارةً لا يمكن أن يكون إلا من خبر السماء ، فكان حرياً أن يعد من وجوه الإعجاز " (5) .

(1) انظر : في ظلال القرآن ، سيد قطب ، مجلد 5 ص 2805 ، دار الشروق ، الطبعة التاسعة ، 1980م

(2) إعجاز القرآن الكريم ، للدكتور فضل عباس و سناء فضل عباس ، ص (344) .

(3) انظر : المرجع السابق ، ص (272) .

(4) المرجع السابق ، ص (295) .

(5) المرجع السابق ، ص 335 .

11 - رأي الدكتور مناع القطان:

تحدث الدكتور مناع القطان عن الإعجاز اللغوي حيث قال : " وتتابع القرون لدى أهل العربية ، وظل الإعجاز القرآني اللغوي راسخاً كالطود الشامخ ، تذل أمامه الأعناق خاضعةً ، لا تفكر في أن تدانيه ، فضلاً عن أن تساميه ، لأنها أشدّ عجزاً وأقلّ طمعاً في هذا المطلب العزيز ، وسيظل الأمر كذلك إلى يوم الدين " (1).

وبين كذلك أن الإعجاز اللغوي يكمن في عدة أمور (2) :

1) في نظامه الصوتي البديع بجرس حروفه فلا تملأ الأذن بل لا تفتأ تطلب منه المزيد .

2) في ألفاظه التي تفي بحق كل معنى في موضعه .

3) في أنواع الخطاب .

4) في إقناع العقل وإمتاع العاطفة بما يفي بحاجة النفس البشرية .

وكذلك نجده يتحدث عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم حيث قال : " وإعجازه العلمي ليس في اشتماله على النظريات العلمية التي تتجدد وتتبدل وتكون ثمرة للجهد البشري في البحث والنظر ، وإنما في حثه على التفكير ، فهو يحث الإنسان على النظر في الكون وتدبره ، ولا يشل حركة العقل في تفكيره ، أو يحول بينه وبين الاستزادة من العلوم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، وليس ثم كتاب من كتب الأديان السابقة يكفل هذا بمثل ما يكفله القرآن " (3) .

ثم تحدث عن الإعجاز التشريعي بقوله : " وقد عرفت البشرية في عصور التاريخ ألواناً مختلفة من المذاهب والنظريات والنظم والتشريعات التي تستهدف سعادة الفرد في مجتمع فاضل ، ولكن واحداً منها لم يبلغ من الروعة والإجلال مبلغ القرآن في إعجازه التشريعي " (4).

(1) مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان ، ص : 273 .

(2) المرجع السابق ، ص (275 - 276) .

(3) المرجع السابق ، ص 278 .

(4) المرجع السابق ، ص 284 .

خلاصة أقوال العلماء حول الإعجاز

وبعد هذه الرحلة مع وجوه الإعجاز القرآني ، و الوقوف على العديد من أقوال العلماء ، وبعد ما انتهينا إليه بالتأمل وتصفح الآراء وإجالة النظر وإطالة الفكر ، نستطيع أن نقرر مطمئنين أن القرآن معجز بجميع وجوهه البيانية والتشريعية والتأثيرية والغيبية وغيرها ، وهذا ما ذهب إليه جمهور العلماء ، والقائلون بتعدد هذه الوجوه مجمعون على أن الإعجاز البياني هو أعظم هذه الوجوه وأهمها وأتمها ؛ وذلك لأنه لا تخلو منه آية من كتاب الله تعالى ، وأما الوجوه الأخرى فليس كذلك ، فالإعجاز العلمي مثلا تخلو منه الكثير من السور، والإعجاز التشريعي كذلك .

الفصل الأول

علم المناسبة وعلاقته بالإعجاز البياني

ويشتمل على النقاط التالية :

بين يدي الفصل : خصائص الأسلوب القرآني

المبحث الأول : الإعجاز البياني تعريفه وأهميته وأقوال العلماء فيه ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الإعجاز البياني لغة واصطلاحا .

المطلب الثاني : أهمية الإعجاز البياني .

المطلب الثالث : أقوال العلماء في الإعجاز البياني .

المبحث الثاني : علم المناسبة وأشهر القائلين به ، وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : تعريف علم المناسبة لغة واصطلاحا

المطلب الثاني : أهمية علم المناسبات

المطلب الثالث : أشهر من تكلم في علم المناسبات

المطلب الرابع : أنواع المناسبات

المبحث الثالث : المناسبة في ترتيب سور القرآن الكريم ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : ترتيب السور في القرآن الكريم واختلاف العلماء فيه .

المطلب الثاني : علم المناسبة بين القبول والرد .

المبحث الرابع : دور المناسبة في الإعجاز البياني ، وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : مناسبة الآيات واضحة الارتباط وغير واضحة الارتباط

المطلب الثاني : مناسبة الألفاظ في التعريف والتكثير

المطلب الثالث : مناسبة الألفاظ في التقديم والتأخير .

المطلب الرابع : مناسبة الألفاظ في الإفراد والجمع .

المبحث الخامس : الكلمة القرآنية وخصائصها والقيم التي تعطيها ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الكلمة القرآنية وخصائصها

المطلب الثاني : القيم التي تعطيها الكلمة القرآنية.

الفصل الأول

علم المناسبة وعلاقته بالإعجاز البياني

بين يدي الفصل

خصائص الأسلوب القرآني

يقف الإنسان مذهولاً أمام أسلوب القرآن الكريم ومدى إعجازه ، فهو أسلوب تلتقي عنده نهايات الفضائل كلها على تباعد فيما بينها ، ونذكر زخامة الأسلوب القرآني إذا ما قارنا ذلك بأسلوب البشر ، فنود أن نقف على أهم الخصائص المميزة للأسلوب القرآني ومنها :

- 1- **القصد في اللفظ والوفاء بحق المعنى** : فضيلتان قلما نجد إنساناً يوفق بينهما وهما الوفاء بحق المعنى بأقل الألفاظ . أو بيان ما تريده بأقرب الطرق فتجد بعض الناس إما أن يفرط في الألفاظ فيجعل السامع في حيرة فلا يعرف المقصود ، وإما أن يختصر في الألفاظ فلا يفهم السامع عليه ، وقد استطاع القرآن الكريم أن يحيط بهاتين الفضيلتين من غير إسراف في الألفاظ ولا تقتير ، لدرجة أنه لو نزعت منه كلمة ثم بحث في قواميس اللغة عن كلمة تسد مكانها لما وجدنا⁽¹⁾ .
- 2- **خطاب العامة وخطاب الخاصة** : غایتان متباعدتان عن الناس ، وإذا خاطبت الأذكياء بالواضح البين الذي تخاطب به الأغبياء لنزلت بهم إلى مستوى لا يرضونه لأنفسهم في الخطاب ، وإذا خاطبت العامة باللمحة والإشارة التي تخاطب بها الأذكياء لما استطاعت عقولهم أن تطيقه ، وفي المقابل نجد أن القرآن الكريم يلقي جملة واحدة على العلماء والجهلاء الأذكياء والأغبياء والملوك وعامة الناس ، فكل منهم يراها على مقياس عقله وعلى وفق حاجته⁽²⁾ .
- 3- **إقناع العقل وإمتاع العاطفة** : فالقرآن الكريم لم يخاطب العقل فقط أو العاطفة فقط ، فالنفس البشرية فيها قوتان : قوة التفكير وقوة الوجدان ، وحاجة كل منهما إلى الغذاء غير حاجة الأخرى ، فالأسلوب البشري إما أن يخاطب العقل الإنساني بجفاف وهم الفلاسفة ، وإما أن يثير العواطف والوجدان ، أما القرآن الكريم فلم

(1) انظر : النبأ العظيم ، محمد دراز ، ص (109 - 112)

(2) انظر : المرجع السابق ، ص 113 .

يهمل جانباً على حساب الآخر فقد جمع بين هاتين المتعتين ونجد ذلك جلياً وواضحاً في المثال التالي : قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ { البقرة: 178 } ، ففي الوقت الذي يقرر فيه القرآن عقوبة القصاص يستثير في النفوس روح الأخوة والمعروف والإحسان ، فالمقصود ليس العقوبة ذاتها ، وإنما استثارة روح المحبة بين الناس ، وتذكيرهم بأخوتهم لذلك القاتل فالففو عنه ليس بعيداً عنهم (1) .

4- البيان والإجمال : هاتان الغائتان لا نجدهما إلا في القرآن الكريم ، فالناس إذا ما أرادوا تحديد أغراضهم فإنها لا تتسع لتأويل آخر ، وإذا أرادوا الإجمال لا يتضح المقال . وفي المقابل نجد أن القرآن الكريم في الوقت الذي يبين فيه عن معناه يترك متسعاً لاجتهاد الناس في الفهم ، وإذا أراد أن يجمل في آياته تكون واضحة لا لبس فيها مثل قضايا الميراث ، حيث ثلاث آيات حددت علم الفرائض في هذه المساحة الضيقة ، فبالرغم من أنها جاءت مجملة ومع ذلك ليس فيها نوع من الإبهام . ومثال ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ { البقرة: 212 } ، انظر هل ترى كلاماً أبين وأوضح من هذا ، ولكننا في المقابل كم نجد في هذه الكلمات من مرونة، فقضية الرزق قد يكون لها أكثر من وسيلة ، فهي من الأمور المجملة التي لا يمكن أن تستبدل أو يجتهد في تفسيرها بحق الله تعالى ، إذ هو وحده الذي يعلم ذلك فالرزق مصادره كثيرة تجري وفقاً لمشئته الله في الابتلاء(2) .

(1) انظر : النبا العظيم ، محمد دراز ، ص (113 – 116)

(2) انظر : المرجع السابق ، ص (117 ، 118)

المبحث الأول

الإعجاز البياني تعريفه وأهميته وأقوال العلماء فيه

المطلب الأول : الإعجاز البياني لغة واصطلاحاً :-

أولاً : البيان لغة واصطلاحاً :

1- **البيان لغة** : وهو مصدر الفعل بان وقيل مصدر بين

وجاء في المنجد : بان بيانا وتبيانا ، أي اتضح وظهر (1)

بان الأمر يُبين فهو بين ، وأبان إبانة ، وبين وتبين واستبان كلها بمعنى الوضوح والانكشاف .

وجاء في لسان العرب : البيان الفصاحة واللسان ، وكلام بين أي فصيح ، والبيان الإفصاح مع نكاه ، والبين من الرجال : السمع اللسان ، يقال فلان أبين من فلان : أي أفصح منه لساناً وأوضح كلاماً (2) .

والذي نخلص إليه أن البيان يأتي بمعنى الإظهار ، أي القدرة على إظهار المعاني بأقل الألفاظ وألسها على اللسان ، ويأتي بمعنى الفصاحة واللسان ومن ذلك قول النبي ﷺ :- " إن من البيان لسحراً " (3) .

2- **البيان في لغة القرآن** :

إن الناظر في القرآن الكريم يجد أن مادة البيان والإبانة وردت في حوالي مائتي آية ، وذلك من خلال وقوفنا على ذلك في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، ومن ذلك على سبيل المثال (4) :

1) **البيان** : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ { الرحمن: 1، 4}.

﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ { آل عمران : 138 } .

﴿ فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ { القيامة : 18، 19 } .

(1) انظر : المنجد ، مادة بين ، ص 48 ، دار المشرق ، بيروت ، الطبعة الثامنة والعشرون .

(2) انظر : لسان العرب ، ابن منظور ، مجلد 13 ، ص (68 ، 69)

(3) صحيح البخاري بشرح ابن حجر العسقلاني ، مجلد 11 ، ص 402 ، حديث (5767) كتاب المرضى ، باب إن من البيان سحراً .

(4) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، محمد فؤاد عبد الباقي ، ص 180 - 184 ، دار الفكر ، الطبعة الثالثة ، 1992 م .

(2) التبيان : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ { النحل : 89 } .

(3) لتبين : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ { النحل : 44 } .

﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ { النحل : 64 } .

(4) ليبين : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ { إبراهيم : 4 } .

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرَّسُلِ ﴾ { المائدة : 19 } .

(5) بين : ﴿ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَّوَلَّا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ { الكهف : 15 } .

(6) البينات : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ لَكُمْ فِي الْكِتَابِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ { الحديد : 9 } .

﴿ وَأَلْقَىٰ آتِنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾ { الإسراء : 101 } .

﴿ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ { الحديد : 9 } .

﴿ وَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾ { الإسراء : 101 } .

(7) تبين : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ { النساء : 115 } .

﴿ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ { الأنفال : 6 } .

(8) يتبين : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ { فصلت : 53 } .

(9) تستبين ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ { الأنعام : 55 } .

(10) المستبين ﴿ وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴾ { الصافات : 117 } .

11) مبين ، وعند الرجوع إلى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن (1) وجدنا كلمة مبين قد جاءت تارة منكراً وتارة معرفة بالألف في مائة وتسعة عشر موضعاً وصفاً لأشياء كثيرة ما عدا موضعاً واحداً هو في قوله تعالى : ﴿ أَوْ مَنْ يُنشَأُ فِي الْحَلِيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ { الزخرف : 18} .
﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾ { النمل : 16 } .
﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ { المائدة : 15 } .
﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ { المؤمنون : 45 } .
﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾ { النمل : 79 } .
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً ﴾ { النساء : 174} .
﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَمَثَلاً مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ {
النور : 34 } .

﴿ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴾ { الطلاق : 11 } .

ثانياً : البيان اصطلاحاً :-

وهناك العديد من التعريفات لعلم البيان نذكر منها ما يلي :

1- الرماني : فقال : " الإحضار لما يظهر منه تميز الشيء من غيره في الإدراك " ، فهو يرى أن الكلام على وجهين : كلام يظهر به تميز الشيء عن غيره فهو بيان ، وكلام لا يظهر به تميز الشيء فليس ببيان ، كالكلام الذي لا يفهم به معنى(2) .

2- وعرفه الجرجاني : " عبارة عن إظهار المتكلم المراد للسامع(3) .

3- هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه، وهم يقصدون بالعلم : الملكة التي بها نستطيع الوقوف على إدراك الجزئيات ، المعنى : كل معنى واحد يدخل تحت قصد المتكلم كالكرم والشجاعة ، الواحد : قيدوا المعنى بالواحد ليحترزوا به عن المعاني المتعددة التي تؤدي بطرق متفاوتة في وضوح

(1) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، محمد فؤاد عبد الباقي ، ص 182 - 184 .

(2) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ص 106

(3) التعريفات ، الشريف علي بن محمد الجرجاني ، ص 47 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1983 م .

الدلالة على معانيها كأن تعبر عن معنى الكرم بقولك : محمد كالبحر في العطاء ،
ثم تعبر عن معنى الشجاعة بقولك: استمعت إلى أسد يخطب (1).
4- علم يستطاع بمعرفته إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة وتراكيب متفاوتة في
وضوح الدلالة مع مطابقة كل منهما مقتضى الحال ، وتقييد الاختلاف بالوضوح
لتخرج الألفاظ المترادفة كليث وأسد فإنها وإن كانت طرقاً مختلفة لايراد المعنى
الواحد فاختلفا إنما هو في اللفظ والعبارة لا في الوضوح والخفاء ، واللام في
المعنى الواحد للاستغراق: أي يشمل كل لفظ يدخل تحت قصد المتكلم وإرادته (2).
ومن هنا يتبين أن صناعة البيان كمثل صناعة البنيان ، فمهارة الإنسان هي التي تدفعه
إلى أن يتقن في أشكال البناء وكذلك أهل اللغة فأحدهم قد ينبغ فيها ويشتهر والآخر قد
يفشل والاثنتان قد أديا نفس المعاني .

المطلب الثاني : أهمية الإعجاز البياني :-

إن من أعظم وجوه الإعجاز هو الإعجاز البياني لذلك فإننا نجد أن العلماء قديماً وحديثاً
يركزون في حديثهم على هذا الوجه، حيث تكمن أهميته في عدة أمور :

- 1- إن الإعجاز البياني تجده في كل كلمة من كلمات القرآن ، وفي كل آية من آياته ،
وفي كل سورة من سورته ، وأما الوجوه الأخرى فليست كذلك ، فمثلاً الإعجاز
العلمي يوجد في عدد من الآيات ، فليست كل آية بل ليست كل سورة محتوية على
قضية علمية ، وكذلك الأمر في الإعجاز الغيبي والتشريعي .
- 2- إن التحدي الأكبر لمشركي قريش كان أولاً وقبل كل شيء بالإعجاز البياني ، وذلك
لبراعتهم الشديدة في فنون اللغة وبلاغتهم في بيانها ، فجاء التحدي في المجال نفسه
الذي برعوا فيه ، أما بقية أنواع الإعجاز الأخرى كالإعجاز العلمي مثلاً لم تكن
العرب تدرك كثيراً من معانيه ؛ وذلك لقلّة معرفتهم في مجال العلوم الطبيعية ،
وإنما تكشف فيما بعد .
- 3- إن الإعجاز البياني له الدور الأكبر في حفظ القرآن الكريم من التغيير والتبديل بعد
حفظ الله تعالى له حيث لا يسمح بترجمة القرآن الكريم ترجمة حرفية بل تترجم

(1) البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع ، الدكتور حسن عبد الرازق ، ص 282 ، المكتبة
الأزهرية للتراث ، 2006م

(2) انظر : علوم البلاغة ، أحمد مصطفى المراغي ، ص 189 ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، الطبعة
الأولى 1980م .

معانيه فقط وإن الترجمة لا تسمى قرآناً وليست بمعجزة ومن هنا يبقى كتاب الله

تعالى محتفظاً بإعجازه البياني كما أنزل على رسول - ﷺ - .

4- إن الإعجاز البياني يوقفنا على ثراء هذه اللغة وعلى أسرارها وروعة بيانها كاتساعها للعديد من المترادفات ، والمتقابلات ، والصور الخيالية والجمالية ، وعلم البديع .

المطلب الثالث : أقوال العلماء في الإعجاز البياني :

أولاً : أقوال العلماء القدماء :

1- رأي الخطابي: حيث يقول: " وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة : لفظ حامل ، ومعنى به قائم ، رباط لهما ناظم ، وإذا تأملت القرآن ، وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه ، ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً وأشد تلوؤماً وتشاكلاً من نظمه ، وأما المعاني فلا خفاء على ذي عقل إنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها ، والترقي إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها ، فتقهم الآن واعلم أن القرآن إنما سار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً أصح المعاني " (1).

2- رأي الإمام الرماني: حيث عد البلاغة وجهاً من وجوه الإعجاز فقال: " فأما البلاغة فهي على ثلاث طبقات: منها ما هو في أعلى طبقة ، ومنها وما هو أدنى طبقة ، ومنها ما هو في الوسائط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة فما كان في أعلاها فهو معجز ، وهو بلاغة القرآن " (2).

3- رأي الباقلاني: وقد حصر وجوه الإعجاز في عشرة ، " ذكر منها نظم القرآن وأسلوبه حيث بين بأن أسلوب القرآن خارج عن الأساليب المعروفة ولم يستطع العرب مجارات القرآن في الأسلوب الأدبي ، وأن القرآن أجاد في كل ما عرض من موضوعات ، وأن أساليب البيان العربي وجدت في القرآن في أعلى مستوى " (3).

(1) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ص 27 .

(2) المرجع السابق ، ص 75 .

(3) إعجاز القرآن ، الباقلاني ، ص 192 .

4- رأي الجرجاني : حيث أثبت أن التحدي والإعجاز في النظم والتأليف حيث قال :
وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة، وعشراً عشراً ، وآية آيةً ، فلم يجدوا في الجميع
كلمة ينبو بها مكانها، لفظة ينكر شأنها ، أو يرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه
أو أخرى وأخلق ، بل وجدوا اتساقاً بهر العقول وأعجز الجمهور ، ونظاماً والتئماً
، وإتقاناً وإحكاماً⁽¹⁾.

ثانياً : أقوال العلماء المحدثين : -

1- رأي الرافعي : يرى مصطفى صادق الرافعي أن الوجه الأساسي في إعجاز
القرآن الكريم يكمن في نظمه مع بعض الوجوه الأخرى للإعجاز ، وحصر
مظاهر الإعجاز في ثلاثة :

- 1) الحروف وأصواتها .
- 2) الكلمات وحروفها .
- 3) الجمل والكلمات .

حيث يقول : " فأنت تعلم الآن أن سر الإعجاز في النظم ، وأن لهذا النظم ما بعده ،
وقد علمت أن جهات النظم ثلاثة : في الحروف والكلمات والجمل ، إلى أن يقول :
" فالحرف الواحد في القرآن معجز في موضعه : لأنه يمسك الكلمة التي هو فيها
ليمسك بها الآية والآيات الكثيرة ، وهذا هو السر في إعجاز جملته إعجازاً أبدياً"⁽²⁾.

2- سيد قطب : ويرى أن الإعجاز في بيان القرآن وأسلوبه ونسقه البياني وتصويره
الفني ، حيث بين أن تذوق الجمال في القرآن مر بثلاث مراحل فتحدث في المرحلة
الثانية عن إدراك بعض مواضع الجمال المتفرقة التي قام بها المفسرون والأدباء ،
فأتى على الإمام الزمخشري في لفتاته البيانية في الكشف ، وعلى الجرجاني في
نظريته (النظم القرآني) ، ثم لفت الإنتباه في المرحلة الثالثة إلى إدراك الخصائص
العامة الموجدة للجمال الفني القرآني ، وأن السابقين لم يبينوها ، فهي تكمن في
التصوير الفني في الأسلوب القرآني⁽³⁾ .

(1) دلائل الإعجاز في علم المعاني ، الجرجاني ، ص 28 .

(2) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ص 211 .

(3) انظر : التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب ، ص(29-32) .

3- رأي عبد الله دراز : يعتبر أن أظهر وجوه الإعجاز هو الإعجاز اللغوي ؛ لأنه هو الذي وقع به التحدي . حيث قال : " والآن فلنبداً وصفنا لبعض خصائص القرآن البيانية ولنرتبها على أربعة مراتب : -

(1) القرآن في قطعة قطعة منه.

(2) القرآن في سورة سورة منه .

(3) القرآن فيما بين بعض السور وبعض .

(4) القرآن في جملته ⁽¹⁾

4- رأي الدكتور مناع القطان : حيث تحدث عن الإعجاز البياني بقوله : " وتتابع القرون لدى أهل العربية ، وظل الإعجاز القرآني اللغوي راسخاً كالطود الشامخ ، تذل أمامه الأعناق خاضعة ، لا تفكر في أن تدانيه ، فضلاً عن أن تساميه ؛ لأنها أشد عجزاً وأقل طمعاً في هذا المطلب العزيز ، سيظل الأمر كذلك إلى يوم الدين " . ثم يقول : " والقرآن الذي عجز العرب عن معارضته لم يخرج عن سنن كلامهم ، ألفاظاً وحروفاً ، تركيباً وأسلوباً ، ولكنه في اتساق حروفه ، وطلاوة عبارته ، وحلاوة أسلوبه ، وجرس آياته ، ومراعاة مقتضيات الحال في ألوان البيان " ⁽²⁾ .

5- رأي الدكتور فضل عباس : حيث بين أن أعظم وجوه الإعجاز هو البياني فقال : " إن أعظم وجوه إعجاز القرآن الإعجاز البياني ؛ لأنه ينتظم القرآن الكريم كله ، سوره على اختلافها طولاً وقصراً ، أما الوجوه الأخرى من وجوه الإعجاز فليس الأمر فيها كذلك ، فإنباء الغيب مثلاً ليست موجودة في كل آية من القرآن ، وذلك الإعجاز العلمي والتشريعي ، ومن هنا كان الإعجاز البياني أهم هذه الوجوه ، وأعمها ، بل أتمها ؛ لأنه عام في القرآن كله لا تخلو منه سورة على قصرها، بل هو في كل آية من الآيات القرآنية " ⁽³⁾ .

ثالثاً : أقوال علماء التفسير في الإعجاز البياني :-

1- الطبري : قال في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ {البقرة: 23} : " ومن أشرف تلك المعاني التي فضل بها كتابنا سائر الكتب قبل نظمه العجيب ووصفه الغريب تأليفه البديع الذي عجزت نظم مثل أصغر سورة منه الخطباء ،

(1) انظر : النبأ العظيم ، محمد دراز ، ص 107 .

(2) مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان ، ص (273 - 274) .

(3) إتيقان البرهان في علوم القرآن ، فضل عباس ، مجلد 1 ، ص 113 .

وكلت عن وصف شكل بعضه البلغاء ، تحيرت في تأليفه الشعراء ، وتبدلت قصوراً عن أن تأتي بمثله لديه أفهام الفهماء ، فلم يجدوا له إلا التسليم والإقرار بأنه من عند الواحد القهار ، مع ما يحوي مع ذلك من المعاني التي هي ترغيب وترهيب وأمر وزجر وقصص وجدل ومثل وما أشبه ذلك من المعاني التي لم تجتمع في كتاب أنزل إلى الأرض من السماء " (1)

2- **القرطبي** : فتكلم في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) عن عشرة وجوه لإعجاز القرآن كريم ومن ضمن ما تحدث عنه من وجوه الإعجاز : الإعجاز البياني فقال : (منها : النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب وفي غيرها ؛ لأن نظمه ليس من نظم الشعر في شيء ، وكذلك قال رب العزة الذي تولى نظمه : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴾ { يس : 69 } . وفي مسند الإمام أحمد عن أبي ذر قال : أنيس إن لي حاجة بمكة فاكفني حتى أتيك ، قال : فقلت : ما يقول الناس له ؟ قال : يقولون إنه شاعر وساحر وكاهن ، قال : وكان أنيس شاعرا ، قال : قد سمعت قول الكهان فما يقول بقولهم ؟ وقد وضعت قوله على أقرأء الشعر فوالله ما يلتئم لسان أحد أنه شعر ، فوالله إنه لصادق وإنهم لكاذبون ، .. " (2) . فإذا اعترف عتبة على موضعه من اللسان وموضعه من الفصاحة والبلاغة ، أنه ما سمع مثل القرآن قط كان في هذا القول مقراً بإعجاز القرآن له ولضربائه من المتحققين بالفصاحة والقدرة على التكلم بجميع أجناس القول وأنواعه (3) .

3- **الفخر الرازي** : حيث قال في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ { البقرة : 23 } .

: " واعلم أن كونه معجزاً يمكن بيانه من طريقتين : الأولى : أن يقال أن هذا القرآن لا يخلو حاله من أحد وجوه ثلاثة : إما أن يكون مساوياً لسائر كلام الفصحاء ، أو زائداً على سائر كلام الفصحاء بقدر لا ينقض العادة أو زائداً عليه

(1) جامع البيان في تفسير القرآن ، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، مجلد 1 ، ص 66 ، دار المعرفة - بيروت - لبنان .

(2) مسند الإمام أحمد ، إعداد علي حسن الطويل ، مجلد 5 ، ص 224 ، حديث (21514) ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، 1993 م .

(3) الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، مجلد 1 ، ص 52- 53 .

بقدر ينقض ، والقسمان الأولان باطلان فتعين الثالث ؛ وإنما قلنا إنها باطلان ؛ لأنه لو كان كذلك لكان من الواجب أن يأتوا بمثل سورة منه إما مجتمعين أو منفردين " (1).

4- ابن كثير : فنجده يقول " وأما القرآن فجميعه فصيح في غاية نهاية البلاغة عند من يعرف ذلك تفصيلاً وإجمالاً ممن فهم كلام العرب وتصاريف التعبير ، فإنه إن تأملت أخباره وجدتها في غاية الحلاوة سواء كانت مبسوبة أو وجيزة وسواء تكررت أم لا ، وكلما تكررت حلا وعلا ، لا يخلق عن كثرة الرد ، ولا يمل منه العلماء ، وإن أخذ في الوعيد والتهديد جاء منه ما تقشعر منه الجبال الصم الراسيات ، فما ظنك بالقلوب الفاهمات ، وإن وعد أتى بما يفتح القلوب و الآذان ، ويشوق إلى دار السلام ومجاورة عرش الرحمن (2).

5- الزمخشري : فأثبت الزمخشري في كشفه الإعجاز البياني فقال : " والمتكلم وإن بز أهل الدنيا في صناعة الكلام ، حافظ القصص والأخبار ، وإن كان من ابن القرية أحفظ ، والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ ، والنحوي وإن كان أنحاً من سيبويه ، واللغوي وإن ملك اللغات بقوة لحييه ، لا يتصدى منهم أحد بسلوك تلك الطرائق ، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق ، إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن ، وهما علم المعاني وعلم البيان ، وتمهل في ارتيادهما آونة ، وتعب في التنقيب عنهما أزمنة ، وبعثته على تتبع مظانها همة في معرفة لطائف حجة الله ، وحرص على استيضاح معجزة رسول الله " (3).

6- البيضاوي : وضح أن الله تعالى ذكر الحجة والدليل على نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - وهو القرآن الكريم المعجز بفصاحته وبلاغته وبيانه ، فتحدث عن قوله تعالى : ﴿ فَاتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ { البقرة : 23 } قائلاً : " لما قرر وحدانيته تعالى وبين الطريق الموصل إلى العلم بها ، ذكر عقبيه ما هو الحجة على نبوة

(1) التفسير الكبير ، الفخر الرازي ، مجلد 1 ، ص 115 .

(2) تفسير القرآن العظيم ، إسماعيل بن كثير القرشي ، جزء 1 ، ص 60 ، دار المعرفة - بيروت لبنان 1980 م .

(3) الكشاف ، للزمخشري ، جزء 1 ، ص 16 .

محمد ﷺ ، وهو القرآن المعجز بفصاحته التي بنت فصاحة كل منطق وإفحامه⁽¹⁾.

7- ابن عطية : حيث قال في كتابه (المحرر الوجيز) : " واختلف المتأولون على من يعود الضمير في قوله : { من مثله } فقال جمهور العلماء هو عائد على القرآن ، ثم اختلفوا ، فقال : الأكثر من مثل نظمه ووصفه وفصاحة معانيه التي يعرفونها ولا يعجزه إلا التأليف الذي خص به القرآن وبه وقع الإعجاز " ⁽²⁾.

8- القاسمي : فقال في تفسير قوله تعالى ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَنْعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ { يونس: 38 } : " أي إن كان الأمر كما تزعمون ، فأتوا على وجه الافتراء ، بسورة مثله في البلاغة ، و حسن الصياغة ، وقوة المعنى ، فأنتم مثل في العربية والفصاحة ، وأشد تمرناً في النظم " ⁽³⁾.

9- المراغي : يقول في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾ { البقرة: 23 } : ، فإن عجزوا ولم يستطيعوا ذلك ، وهم لا يستطيعون وإن تظاهر أنصارهم ، وكثر أشياعهم ، بل لو اجتمعت الإنس جميعاً ، فليعلموا أن ما جاءهم به فأعجزهم ، لم يكن إلا بوحى سماوي وإمداد إلهي لا يسمو إليه محمد بعقله ، ولا يصل بيانه إلى مثل أسلوبه ونظمه ، و إذ استبان عجزهم لزمتهم الحجة ، فقد صدق النبي - ﷺ - فيما ادعى وكان من ارتاب في صدقه معانداً مكابراً ⁽⁴⁾.

10- محمد الصابوني : فبين في تفسيره (صفوة التفاسير) أن القرآن معجز في بيانه ونظمه حيث قال: "ومن تدبر القرآن وجد فيه من وجوه الإعجاز فنون ظاهرة وخفية ، من حيث اللفظ ومن حيث المعنى ، والقرآن جميعه فصيح في غاية نهايات الفصاحة والبيان عند من يعرف كلام العرب " ⁽⁵⁾.

(1) تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ، مجلد 1 ، ص 38 ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

(2) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لأبي محمد عبد الحق بن عطية الغرناطي ، تحقيق الأستاذ أحمد صادق الملاح ، جزء 1 ، ص 194 ، القاهرة ، 1974م .

(3) تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل ، محمد جمال الدين القاسمي ، صححه ، محمد فؤاد عبد الباقي ، جزء 9 ، ص 35 ، دار الفكر - بيروت - لبنان .

(4) تفسير المراغي ، أحمد مصطفى المراغي ، جزء 1 ، ص 65 .

(5) صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، مجلد 1 ، ص 42 .

11- الدكتور وهبة الزحيلي : فتحدث قائلاً عن الإعجاز البياني : " واستعينوا بمن شئتم من الرؤساء والأشراف والآلهة المزعومة ، لمعارضة القرآن ، فإنه لا يقدر أن يأتي بمثله إلا الله ، وحيث عجزتم ولم تقدرُوا على الإتيان بسورة تماثل القرآن في البيان الغريب والبلاغة المتفوقة ، وعلو حسن النظم ، وسلامة المنطق ، وروعة التشريع والأحكام الصالحة لكل زمان مكان" (1) .

(1) التفسير المنير ، الدكتور وهبة الزحيلي ، جزء 1 ، ص 101

المبحث الثاني

علم المناسبة وأشهر القائلين به

المطلب الأول : تعريف علم المناسبة لغة واصطلاحاً :-

1- **المناسبة في اللغة :** تعني المشاكلة والمقاربة ، مأخوذ من النسبة و النسب بمعنى القرابة ، النسب المناسب ، سمي كذلك لأنه متصل القرابة⁽¹⁾ .

2- **وفي الاصطلاح لها عدة تعريفات :**

(1) **فقد عرفها الإمام السيوطي _ رحمه الله تعالى _ بقوله " ومرجعها في الآيات ونحوها إلى رابط بينها ، عاماً أو خاصاً ، عقلياً أو حسياً أو خيالياً أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني ، كالعلة والمعلول والنظيرين الضدين ، ونحوه"⁽²⁾.**

(2) **وعرفه الإمام البقاعي بقوله " هو علم تعرف منه علل الترتيب"⁽³⁾ .**

(3) **وعرفه الدكتور مصطفى مسلم بقوله " هي الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه " وفي كتاب الله تعني ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها . وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها⁽⁴⁾.**

المطلب الثاني : أهمية علم المناسبات :-

يعتبر علم المناسبات من العلوم العظيمة الذي يكشف لنا عن وجه إعجاز القرآن الكريم. لذلك فإن له فوائد جمة منها :

(1) **يبين لنا أسرار ارتباط الكلام مع بعضه البعض وهذا ما قال به الإمام البقاعي حيث قال: " وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض ، فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء⁽⁵⁾ .**

(1) انظر : القاموس المحيط ، للفيروز آبادي ، مجلد 1 ص 131 - 132

(2) الإتيان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، الجزء 3 ، ص 273 .

(3) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، للإمام برهان الدين أبي الحسن البقاعي ، تحقيق عبد

الرزاق غالب المهدي ، مجلد 1 ص 3 ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

(4) مباحث التفسير الموضوعي ، الدكتور مصطفى مسلم ، ص 58 ، دار القلم ، دمشق - الطبعة

الأولى 1989 م .

(5) البرهان في علوم القرآن ، للإمام بدر الدين محمد الزركشي ، تحقيق ، محمد أبو الفضل إبراهيم ،

الجزء 1 ص 36 ، دار التراث - القاهرة .

(2) وهو علم تعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن الكريم ، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المقال لما اقتضاه الحال ⁽¹⁾ .

(3) إنه يعمل على زيادة الإيمان وترسيخه في قلوب أهله حيث قال البقاعي _ رحمه الله _ في نظم الدرر : " وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب ويتمكن من اللب ، وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقين أحدهما : نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب ، والثاني نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب .

والأول أقرب تناولاً وأسهل ذوقاً ، فإن كل من سمع القرآن من ذكي وغبي يهتز بمعانيه وتحصل له عند سماعه روعة بنشاط ورهبة مع انبساط لا تحصل عند سماع غيره ، وكما دقق النظر في المعنى عظم عنده موقع الإعجاز " ⁽²⁾ .

المطلب الثالث : أشهر من تكلم في علم المناسبات :-

يعتبر علم المناسبات من العلوم العظيمة ؛ لأنه يتعلق بأعظم الكتب وهو القرآن الكريم ، ولقد تنبه العلماء القدامى والمحدثين لعلم المناسبات

وإليك ثلثة من العلماء الذين تحدثوا عن علم المناسبات في تفاسيرهم :

أولاً : الإمام الفخر الرازي ⁽³⁾ : حيث يعتبر كتاب الإمام الفخر الرازي وهو (مفاتيح الغيب) أول ما دون في علم التفسير الذي يهتم بمناسبات القرآن سواء بين الآية والآية ، أو أجزاء السورة أو بين السورة وسابقتها أو لاحقتها .

وإليك بعض الأمثلة التي تبين ذلك :

المثال الأول: قوله تعالى : ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ { آل عمران : 14 } .

يقول في مناسبة هذه الآية لما قبلها : أنه تعالى لما قال في الآية المتقدمة ﴿ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ { آل عمران : 13 } ذكر بعد هذه الآية ما هو كالشرح والبيان لتلك العبرة وذلك أنه تعالى بين أنه زين للناس حب

(1) مباحث في التفسير الموضوعي ، للدكتور مصطفى مسلم ، ص 58 .

(2) انظر نظم الدرر للبقاعي ، مجلد 1 ص 11 .

(3) هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التميمي البكري ، أبو عبد الله ، فخر الدين الرازي : الإمام المفسر أوجد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل ، وهو قرشي النسب ، وأصله من طبرستان ، ومولده في الري وإليها نسبته ، وكان يحسن الفارسية ، من تصانيفه مفاتيح الغيب ، معالم أصول الدين ، الأعلام ، للزركلي ، مجلد 6 ، ص 313 ، 544 هـ - 606 هـ .

الشهوات الجسمانية ، واللذات الدنيوية ، ثم أنها فانية منقضية تذهب لذاتها ، وتبقى تبعاتها ، ثم أنه تعالى حث على الرغبة في الآخرة بقوله ﴿ قُلْ أُوْنِبُّكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ ﴾ { آل عمران : 15 } ، ثم بين طيبات الآخرة معدة لمن واطب على العبودية من الصابرين والصادقين إلى آخر الآية⁽¹⁾ .

المثال الثاني : قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ { الكوثر : 1 } ، حيث ذكر عدة لطائف في هذه السورة وفي اللطيفة الأولى ذكر مقابلة بين سورة الكوثر وسورة الماعون حيث ذكر في سورة الماعون أوصاف أربعة للمنافقين :

1- البخل وهو المراد من قوله تعالى ﴿ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴾ { الماعون : 2 ، 3 } .

2- ترك الصلاة وهو المراد من قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ { الماعون : 5 } .

3- المراءاة في الصلاة وهو المراد من قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤُونَ ﴾ { الماعون : 6 } .

4- المنع من الزكاة وهو المراد قوله تعالى ﴿ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ { الماعون : 7 } .

فذكر في سورة الكوثر صفات أربع تقابلها :

1- فذكر في مقابلة البخل قوله: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ { الكوثر : 1 } ، أي إنا أعطيناك الكثير ، فأعط أنت الكثير ولا تبخل .

2- وذكر في مقابلة ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ { الماعون : 5 } ، قوله ﴿ فَصَلِّ ﴾ { الكوثر : 2 } أي دم على الصلاة .

3- وذكر في مقابلة ﴿ الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤُونَ ﴾ { الماعون : 6 } قوله ﴿ لِرَبِّكَ ﴾ { الكوثر : 2 } ، أي ائت بالصلاة لرضا ربك .

4- وذكر في مقابلة ﴿ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ { الماعون : 7 } ، قوله ﴿ وَانْحَرْ ﴾ { الكوثر : 2 } ، وأراد به التصدق بلحم الأضاحي ، ثم ختم السورة بقوله ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ { الكوثر : 3 } .

أي المنافق الذي يأتي بتلك الأفعال القبيحة سيموت ولا يبقى من دنياه أثر، وأما أنت فيبقى لك في الدنيا الذكر الجميل⁽²⁾ .

(1) انظر : التفسير الكبير للفخر الرازي ، جزء 7 : ص 193 ، دار الكتب العلمية - طهران - الطبعة الثانية .

(2) انظر : المرجع السابق ، جزء 31 : ص 117 .

ثانياً : الإمام البقاعي⁽¹⁾: إن كتاب (نظم الدرر) من أوله إلى آخره يفيض بالمناسبات والتي منها التالي :

1- قوله تعالى : ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَنَسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ {لقمان: 28} حيث أظهر البقاعي صلة الآية بما قبلها من الآيات فقال : " ولما ختم بهاتين الصفتين بعد إثبات القدرة على الإبداع من غير إنتهاء ، ذكر بعض آثارهما في البعث الذي تقدم أول السورة وأثنائها ذكره إلى أن حضر به في قوله ﴿ إِنِّي نَارًا مَرَجِعُهُمْ ﴾ {لقمان : 23} ، فقال ﴿ مَا خَلَقَكُمْ ﴾ {لقمان : 28} ، (2) .

2- وإليك مثلاً لربط جزء الآية بأول السورة قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ {المائدة : 97} ، كانت الآيات السابقة تتحدث عن تحريم الخمر والميسر وتحريم الصيد في الحرم ، ثم تحدثت عن الكعبة وجعلها قياماً للناس والشهر الحرام ، ولما أنتج هذا كله أنه على كل شيء قدير ؛ ولأنه بكل شيء عليم ، وكانت هذه الآية - كما تقدم - ناظرة إلى أول السورة من آية ﴿ لَا تُحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ ﴾ {المائدة : 2} ، وما بعدها .

ثالثاً : الإمام الألويسي⁽³⁾ : حيث تكلم في كتابه (روح المعاني) عن المناسبة بين الآيات فقال في تفسير قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ ﴾ {آل عمران : 31} ، : " ومناسبة الآية لما قبلها كما قال الطيبي : إنه سبحانه لما عظم ذاته وبين جلاله سلطانه بقوله جل وعلا ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ ﴾ {آل عمران : 26} ، تعلق قلب المؤمن بمولى عظيم الشأن ثم لما ثنى بنهي المؤمنين عن موالاته أعدائه وحذر عن ذلك غاية التحذير بقوله جلا وعلا ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ ﴾ {آل عمران : 28} ونبه على استئصال تلك الموالاته بقوله تعالى ﴿ قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ ﴾ {آل عمران : 29} وأكد ذلك الوعيد زاد ذلك التعلق أقصى غايته واستأنف قوله جل جلاله ﴿

(1) إبراهيم بن عمر حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي ، أبو الحسن برهان الدين : مؤرخ ، أديب أصله من البقاع في سورية ، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة وتوفي بدمشق ، ومن مكتبته نظم الدرر في تناسب الآيات والسور . - مصرع التصوف ، الأعلام ، مجلد 1 ، ص 56 ، 885 هـ -

(2) نظم الدرر للبقاعي ، جزء 6 : ص 30 .

(3) هو محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي ، شهاب الدين أبو الثناء : مفسر محدث ، أديب ، المجدين ، من أهل بغداد ، مولده ووفاته فيها ، كان سلفي الاعتقاد ، مجتهداً - تقلد الإفتاء ببلده سنة 1248 هـ من كتبه : روح المعاني - نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول " 1217 هـ - 1270 هـ ، 1802 - 1454 م . انظر الأعلام ، للزركلي ، مجلد 7 ، ص 176

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ ﴿٣١﴾ { آل عمران : 31 } ، ليشير إلى طريق الوصول إلى المولى جل وعلا .

رابعاً : الإمام المراغي⁽¹⁾ : حيث أهتم بإيراد المناسبات في تفسيره فقال في تفسير قوله تعالى ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ {البقرة : 25} ، وبعد أن ذكر الكافرين وما أعد لهم من العقاب ، قفا على ذلك ببشارة الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وما أعد لهم من نعيم مقيم في الدار الآخرة ، وقد جرت سنة القرآن أن يقرن الترهيب بالترغيب⁽²⁾ .

خامساً : الإمام محمد رشيد رضا : حيث تحدث عن وجه المناسبة بين سورتي النحل والأنبياء فقال : " ووجه مناسبتها لما قبلها أن تلك ختمت بذكر رسالة النبي - صلى الله عليه وسلم - وهذه افتتحت بها ، وتحدثت تلك في بيان أحوال المنافقين وما كانوا يقولونه ويفعلونه ، وتحدثت سورة الأنبياء عن الكافرين وما يقولونه بالنسبة للقرآن⁽³⁾ .

سادساً : الدكتور محمد محمود حجازي : حيث بين الدكتور مناسبة الآيات من (216-218) من سورة البقرة لما قبلها من الآيات فقال : " المناسبة : إن ذكر القتال بعد الإنفاق للمال ظاهر المناسبة فالقتال يحتاج لبذل النفس والنفيس من المال ، وعلى كل مسلم ضربيتان على الدم والمال "⁽⁴⁾ .

سابعاً : الدكتور محمد علي الصابوني : فقد تحدث في تفسيره للآيات من (26-29) من سورة البقرة عن مناسبة هذه الآيات للآيات السابقة فقال : " لما بين الله تعالى بالدليل الساطع ، والبرهان القاطع ، أن القرآن كلام الله لا نظر إليه شك ، وإنه كتاب معجزة أنزله على خاتم المرسلين وتحداهم أن يأتوا بمثل سورة من أقصر سورة ، ذكر هنا شبهة أوردتها الكفار للقدح فيه وهي أنه جاء في القرآن (النحل ، الذباب ، والعنكبوت ، والنمل) الخ وهذه الأمور لا يليق ذكرها بكلام الفصحاء فضلاً عن كلام رب الأرباب ،

(1) هو أحمد بن مصطفى المراغي ، مفسر مصري ، تخرج بدار العلوم سنة 1909م ، ثم كان مدرس الشريعة الإسلامية بها ، وولي نظارة بعض المدارس ، وعين أستاذاً للعربية والشريعة الإسلامية ، وتوفي بالقاهرة سنة 1952م ، له كتب منها : الحسبة في الإسلام ، تفسير المراغي . انظر الأعلام للزركلي مجلد 1 ص 258 ، دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان - الطبعة الثانية عشر 1997م .

(2) تفسير المراغي ، أحمد مصطفى المراغي ، جزء 1 : ص 76 .

(3) انظر : تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ، محمد رشيد رضا ، جزء 11 : ص 142 .

(4) التفسير الواضح ، الدكتور محمد محمود حجازي ، جزء 2 : ص 122 ، دار التفسير للطبع والنشر - القاهرة - الطبعة العاشرة - 1980م .

فأجاب الله تعالى عن هذه الشبهة ، ورد عليهم بأن صغر هذه الأشياء لا يقدر في فصاحة القرآن وإعجازه ، إذا كان المثل مشتملاً على حكم بالغة⁽¹⁾ .

المطلب الرابع : أنواع المناسبات :-

أولاً : مناسبة أجزاء الآية الواحدة :

إن الناظر في ألفاظ القرآن الكريم يجد أن اللفظ جاء في الموضع الملائم له ، ولو أبدلنا مكانه غيره لتبدل المعنى ، وذهب رونق الكلام ، واختلت البلاغة القرآنية ، فالقرآن الكريم يستعمل ألفاظاً فلو حاولنا أن نأتي بكلمة غيرها لما استطعنا .

الأمثلة على ذلك :

(1) ملائمة اللفظ للفظ قوله تعالى: ﴿ قَالُوا تَاللّٰهِ تَفْتَأُ تَذَكَّرُ يُوْسُفَ حَتَّىٰ تَكُوْنَ حَرَضًا أَوْ تَكُوْنَ مِنَ الْهَالِكِيْنَ ﴾ { يوسف : 85 } ، حيث أتى بأغرب ألفاظ القسم ، هي التاء ، وبأغرب صيغ الأفعال الرافعة للاسم الناصبة للخبر ، وبأغرب ألفاظ الهلاك وهو الحرص .

فاقتضى حسن الوضع في النظم أن تجاور لكل لفظة بلفظة من جنسها في الغرابة ؛ توخياً لحسن الجوار ورعاية في ائتلاف المعنى بالألفاظ ، ولتتعادل الألفاظ في الوضع وتتناسب في النظم .

(2) إيراد اللفظ الواحد منكرًا في مكان معرّفًا في مكان ومن ذلك قوله تعالى في سورة البقر ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا ﴾ { البقرة : 126 } ، وفي سورة إبراهيم قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا ﴾ { إبراهيم : 35 } ذلك أنه في سورة البقرة كان المكان قفرًا ، فطلب منه أن يجعله بلدًا وآمنًا وكان ذلك عند تركه هاجر وإسماعيل عليه السلام ، في هذا الوادي وأما في سورة إبراهيم فقد كان هذا الدعاء بعد عودته وسكنى قبيلة جرهم به ، فكان بلدًا فطلب له الأمن ويمكن أن يكون المراد ثبته على الأمن إن كانت الدعوة الأولى مطلبًا فيها الأمن أصالةً ، فإعادة السؤال يناسب المقصود الأصلي من الدعاء وهو الرغبة في استمرار الأمن⁽²⁾ .

(1) انظر : صفوة التفسير ، للدكتور محمد علي الصابوني ، مجلد 1 : ص 44 ، دار الصابوني ، القاهرة ، الطبعة التاسعة

(2) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، مجلد 1 ص 477

اللَّهِ كَانَ عَفْوًا غُفُورًا ﴿﴾ {النساء : 43} {المناسبة : في الآية الأولى كان الوصف للوقوف بين يدي الله تعالى يوم القيامة ، وأنه لا ينجو فيه إلا من كان مؤمناً خالصاً ، كان الحديث في الآية الثانية وصفاً للوقوف بين يدي الله تعالى في الدنيا حيث كان الحديث عن الصلاة (1) .

(ه) قوله تعالى: ﴿﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿﴾ {النساء : 57} ومناسبتها لما قبلها جليلة وواضحة ، فلما ذكر في الآية السابقة وعيد الكفار أتبعه في هذه الآية بوعد المؤمنين (2)

(و) قوله تعالى: ﴿﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنْ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿﴾ {النساء: 101} وعلاقة الآية بما قبلها تأتي في غاية الوضوح يقول سيد قطب - رحمه الله - : ومن ثم يجيء ذكرها هنا في وقتها المناسب وفي وقت الحاجة إليها فما أحوج الإنسان عندما يكون خائفاً إلى من يطمئن قلبه ، وليس هناك شيء يطمئن فيه الإنسان أكثر من الصلاة ، وعندما كانت الصلاة كاملة قد تعوق الضارب في الأرض ، أو تكون مصدراً للفت أنظار العدو ، شرع تعالى قصر الصلاة (3) .

(ز) قوله تعالى: ﴿﴾ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿﴾ {النساء : 115} قال البقاعي : " لما رتب سبحانه وتعالى الثواب العظيم على الموافقة ، رتب العقاب الشديد على المخالفة والمشاقة " (4) .

(ح) قوله تعالى: ﴿﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿﴾ {النساء : 150} ومناسبة هذه لما قبلها ، أنه تعالى لما بين ما عليه المنافقون من

(1) انظر : نظم الدرر ، البقاعي ، مجلد 2 ، ص 259.

(2) انظر : البحر المحيط ، أبي حيان ، مجلد 3 ، ص 286 .

(3) انظر : في ظلال القرآن ، سيد قطب ، مجلد 2 ، ص 747

(4) نظم الدرر ، البقاعي ، مجلد 2 ، ص 318 .

سوء الخليفة ، ومذموم الطريقة ، أخذ في الكلام على اليهود والنصارى ، وجعل كفرهم ببعض الرسل كفراً بجميع الرسل ، وكفرهم بالرسول كفراً بالله تعالى (1).
ط) قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا {174} ﴾ { النساء : 174 } ومناسبة الآية لما قبلها من الآيات ، بعد أن حاج القرآن النصارى فأفحمهم ، ومن قبل ذلك حاج اليهود فألزمهم ، وناقش المنافقين وكشف سترهم ، وظهرت نبوته - ﷺ - ظهور الشمس في رابعة النهار ، نادى الناس جميعاً ودعاهم إلى إتباعه (2)

2- المناسبة بين مقاطع السورة : ومن ذلك

المناسبات بين الآيات الكريمة في سورة البقرة قال تعالى ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ { البقرة : 255 } ،
آية الكرسي أوضحت قدرة الله الخلاقة ، ثم أخذ يفصل في هذه القدرة التي تمثلت في إخراج الذين آمنوا ، وإحياء الموتى. ومن وجه آخر انظر إلى هذا التناسب ، الآية الأولى تتحدث عن الله تعالى وألوهيته وربوبيته .
لا أكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي...
الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ...
تأتي الآية لتتحدث عن الولاية لله تعالى وهي من مستلزمات توحيد الألوهية .
ألم ترى حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك ...
ثم تأتي الآية لتناقش الكافرين في وجود الله وربوبيته فأقامت الحجة على عليهم (3)
أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها ...
وإذ قال إبراهيم أرني كيف يحي الموتى ...
ثم ادعوهن يأتينك سعيًا واعلم أن الله عزيز حكيم ﴿ البقرة : 256 ، 260 ﴾ ،

(1) البحر المحيط ، أبي حيان ، مجلد 3 ، ص 400.

(2) في رحاب التفسير ، عبد الحميد كشك ، مجلد 2 ، ص 1056 ، المكتب المصري الحديث .

(3) الأساس في التفسير ، سعيد حوى ، مجلد 1 ، ص 606 .

وفي هاتين الآيتين نموذج لإثبات البعث والنشور بعد الفناء والموت ، وبالتالي دلالة على قدرة الله⁽¹⁾ ، ومن الملاحظ أن الآيات بجميع مقاطعها جاءت لتبرز توحيد الله تعالى في ألوهيته وربوبيته.

ثالثاً : مناسبة السور :-

ويندرج تحت مناسبة السور أنواع كثيرة نحصرها في التالي :

أولاً: مناسبة فواتح السور لخواتمها :

حيث نجد أن السور تبدأ بأمر ثم تختم بنفس الموضوع :

ومن الأمثلة على ذلك :

1- افتتحت سورة الكهف بقوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا {1} فَيَمَّا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾ { الكهف : 1 ، 2 } ، وختمت السورة بقوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَّكَلَّمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ { الكهف : 109 ، 110 } .
فالحديث في أول السورة وختامتها عن كلام الله المنزل الموحى به على محمد رسول الله ﷺ - (2).

2- وافتتحت سورة المؤمنون بقوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ { المؤمنون : 1 ، 2 } وختمت السورة بقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ { المؤمنون : 117 } ، حيث ذكرت عاقبة الكفر وعدم فلاح الكافرين فالفلاح لمن اتصف بصفات معينة(3).

3- وافتتحت سورة الفرقان بقوله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ { الفرقان : 1 } ، وختمت بقوله تعالى : ﴿ قُلْ مَا يَعْجَبُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾ { الفرقان : 77 } ، فالإنذار وبيان مهمة الرسول وأحواله هو محور السورة عموماً ومدار الكلام في طرفيها خصوصاً(4) .

(1) التفسير المنير ، وهبه الزحيلي ، مجلد 3 ، ص 33 .

(2) انظر : مباحث في التفسير الموضوعي ، مصطفى مسلم ، ص 74 .

(3) انظر : الكشف ، عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجه التأويل ، محمود بن عمر بن محمد الزمخشري ، مجلد 3 ، ص : 207 ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان .

(4) انظر : مباحث في التفسير الموضوعي ، ص : 75 .

4- وفي سورة يوسف كان الابتداء ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ﴾ { يوسف : 1، 3 }.

وختمت السورة بقوله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لَأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ { يوسف : 111 } . والعلاقة أوضح من أن تحتاج إلى بيان (1) .

5- وتبدأ سورة النحل بقوله تعالى : ﴿آتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ { النحل : 1، 2 } وتختتم بقوله تعالى : ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ { النحل : 127، 128 } فلا بد بعد الإنذار من الصبر بعض الوقت لمعرفة مدى تجاوب القوم فإن تمادوا في غيهم ومكرهم أخذهم العذاب فلا ينبغي الحزن عليهم (2) .

6- ونلاحظ ذلك حتى في السور المدنية الطويلة :

ففي سورة البقرة كان البدء بقوله تعالى : ﴿الْم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ { البقرة : 1، 4 } ، وتختتم السورة بقوله تعالى ﴿أَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ { البقرة : 285، 286 } .

فالبدء بالغيب بشكل عام وإقامة فرائض الإسلام ، والإيمان بما أنزل إلى الرسول وما أنزل من قبل واليقين وبالآخرة .

(1) انظر : مباحث في التفسير الموضوعي ، ص : 75 .

(2) انظر : المرجع السابق ، ص 76 .

وفي الختام الحديث عن إيمان الرسول والمؤمنين بما أنزل إليه وبالله وملائكته ،
وهن من الغيب وبالكتب والرسالات السابقة وسؤال الله المغفرة فإليه المصير يوم
القيامة⁽¹⁾ .

ثانياً: أنواع المناسبات بين كل سورتين متجاورتين :-

أولاً: المناسبة بين أول السورة وخاتمة ما قبلها :

من أنواع الربط بين السور : ومن الأمثلة على ذلك :

1- في ختام سورة الأحقاف ﴿ ... كَانَهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ { الأحقاف : 35 } وفي مطلع سورة محمد
ﷺ - ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ { محمد : 1 } ، فالقوم
الفاسقون هم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله⁽²⁾ .

2- وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ { القمر : 54، 55 } ، في ختام سورة القمر ، وفي أول سورة الرحمن قوله
تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴾ { الرحمن : 1 ، 3 } ، لما ذكر هناك
مقر المجرمين في سقر ومقر المتقين في جنات ونهر عند ملك مقتدر ، ذكر هنا
شيئاً من آيات الملك وآثار القدرة⁽³⁾ .

3- ونهاية سورة العاديات ﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾ { العاديات : 11 } ، مع بداية
القارعة ﴿ الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ ﴾ { القارعة : 1 ، 2 } ، فكأنه عين اليوم الذي يكشف ما
في الصدور وهو يوم القارعة، وجاءت لتحدثنا عن الساعة التي تبعثر ما فيها
القبور⁽⁴⁾ .

4- وآخر سورة الفيل ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ { الفيل : 5 } ، مع بداية سورة قريش
﴿ لِإِيْلَافٍ قُرَيْشٍ إِيْلَافِهِمْ... ﴾ { قريش : 1 ، 2 } ، حتى قال الأخفش عن هذا الاتصال :
اتصالها بها من باب قوله تعالى ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ
فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾ { القصص : 8 } ، أي فعل بأصحاب
الفيل ما فعل ليتألف قلب قريش إلى الإيمان⁽⁵⁾ .

(1) انظر : مباحث في التفسير الموضوعي ، ص 76 .

(2) المرجع السابق ، ص 82 .

(3) روح المعاني ، الألوسي ، مجلد 9 ، جزء 27 ، ص 96 .

(4) الأساس في التفسير ، سعيد حوى ، مجلد 11 ، ص (6651 ، 6652)

(5) انظر : الإتقان في علوم القرآن ، جزء 3 ، ص 279 .

المبحث الثالث

المناسبة في ترتيب سور القرآن الكريم

المطلب الأول : ترتيب السور في القرآن الكريم واختلاف العلماء فيه : -
لقد رأينا قبل الحديث عن أقوال العلماء في علم المناسبة أن نقف على أقوال العلماء في ترتيب السور في القرآن الكريم : وبعد البحث والتنقيب وجدنا أن للعلماء في ترتيب السور أقوال ثلاثة :

- 1- القائلون بأن ترتيب السور اجتهادي .
- 2- أن الترتيب منه ما هو توقيفي ومنه ما هو اجتهادي .
- 3- القائلون بأن ترتيب السور توقيفي .

أولاً : القائلون بالاجتهاد :

1- أشهر من قال بالاجتهاد :

(1) أحمد بن فارس⁽¹⁾ قال: " جمع القرآن على ضربين : أحدهما تأليف السور كتقديم السبع الطوال وتعقيبها بالمئين ، فهذا الضرب هو الذي تولاه الصحابة رضوان الله عليهم ، وأما الجمع الآخر فضم الآي بعضها إلى بعض وتعقيب القصة بالقصة ، فذلك شيء تولاه رسول الله ﷺ كما أخبر به جبريل عن أمر ربه عز وجل " (2) .

(2) القاضي عياض⁽³⁾ قال : " والذي نقوله إن ترتيب السور ليس بواجب في الكتابة ولا في الصلاة ولا في الدرس ولا في التلقين و التعليم ، وأنه لم يكن من النبي - ﷺ في ذلك نص ولا حد تحرم مخالفته ؛ ولذلك اختلف ترتيب المصاحف قبل مصحف عثمان ... " (4) .

(1) هو أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين ، ولد 329 هـ ، من أئمة اللغة والأدب أصله من قزوين ، أقام مدة في حمدان ، ثم انتقل إلى الري فتوفي فيها عام 395 هـ ، من تصانيفه مقاييس اللغة ، الصحابي . انظر الأعلام ، الزركلي ، مجلد 1 ، ص 193 .

(2) البرهان ، الزركشي ، جزء 1 ، ص (258-259) .

(3) هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي السبتي ، أبو الفضل ، عالم الغرب وإمام أهل الحديث في وقته ، كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم ، توفي بمراكش مسموما عام 544 هـ ، من كتبه مشارق الأنواع ، والشفا بتعريف حقوق المصطفى . الأعلام ، الزركلي ، مجلد 5 ، ص 99 .

(4) صحيح مسلم بشرح النووي ، جزء 6 ، ص 62 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الثالثة .

(3) الإمام مالك قال : " إنما ألفوا القرآن على ما كانوا يسمعون من النبي ﷺ - ، مع قوله بأن ترتيب السور اجتهاد منهم⁽¹⁾ .

(4) وقال السيوطي : " إن الأمة ضبطت عن النبي ﷺ - ترتيب أي كل سورة مواضعها ، وعرفت مواقعها ، كما ضبطت عنه نفس القراءات وذات التلاوة وأنه يمكن أن يكون الرسول ﷺ - قد رتب سورته وأن يكون قد وكل ذلك إلى الأمة بعده ، ولم يتولاه بنفسه . قال : " وهذا الثاني أقرب " ⁽²⁾ .

2- أدلتهم فيما ذهبوا إليه :

(1) عن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - قال : صليت مع النبي ﷺ - ذات ليلة فافتتح البقرة ، فقلت : يركع عند المائة ، ثم مضى ، فقلت يصلي بها في ركعة ، ثم مضى فقلت : يركع بها ، ثم افتتح النساء فقرأها ، ثم افتتح آل عمران فقرأها مترسلاً ، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح ، وإذا مر بسؤال سأل ، وإذا مر بتعوذ تعوذ .. " ⁽³⁾ .

(2) عن جابر أن معاذ - رضي الله عنه - صلى بالناس العشاء الآخرة ، وافتتح البقرة وطول بأصحابه ، وفي الحديث أن النبي ﷺ - قال له : اقرأ بكذا وكذا ... وفي رواية إنه قال : اقرأ والشمس وضحاها ، والليل إذا يغشى ، وسبح اسم ربك الأعلى ⁽⁴⁾ .

(3) عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال قلت لعثمان : ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المئين ، فقرنتم بينهما ولم تكتبوا سطر (بسم الله الرحمن الرحيم) ووضعتموها في السبع الطوال ؟ فقال عثمان : كان رسول ﷺ - تنزل عليه السورة ذات العدد ، وكان إذا نزل عليه شيء ، دعا

(1) البرهان ، الزركشي ، جزء 1 ، ص 257

(2) الإتيان ، السيوطي ، جزء 1 ، ص 197

(3) صحيح مسلم بشرح النووي ، تحقيق مجموعة من الأساتذة ، إشراف علي بلطه جي ، كتاب صلاة المسافرين ، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل ، جزء 4 ، ص 934 ، دار الخير للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1994م .

(4) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، صححه عبد العزيز بن باز ، كتاب الأدب ، باب من لم ير إكفار من قال ذلك متأولاً أو جاهلاً ، مجلد 12 ، ص 145 ، دار الحديث ، 2004م ، وصحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب الصلاة ، باب القراءة في العشاء ، مجلد 4 ، ص 137 ، حديث رقم (465)

بعض من كان يكتب فيقول : ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ، وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من أواخر ما نزل من القرآن ، وكانت قصتها شبيهة بقصتها ، فظننت أنها منها فقبض رسول - ﷺ - ولم يبين لنا أنها منها ، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب سطر (بسم الله الرحمن الرحيم) ، ووضعتهما في السبع الطول " (1) .

4) استدلوا باختلاف مصاحف السلف في ترتيب السور ، فمنهم من رتبها على ترتيب النزول وهو مصحف علي - رضي الله عنه - كان أوله اقرأ ثم بقية المكي ثم المدني .

وكان أول مصحف ابن مسعود ، البقرة ثم النساء ثم آل عمران . وكذا مصحف أبي ، على اختلاف شديد في الترتيب .
ويأخذ السيوطي بنقل ترتيب المصاحف : عن أبي وابن مسعود ، وقد ذكر قبل ترتيب المكي والمدني (2) .

ثانياً : القائلون بالتفصيل :-

1) ومنهم البيهقي وابن عطية وابن حجر العسقلاني (3) : فقالوا بأن القرآن الكريم كان مرتب الآيات والسور إلا الأنفال وبراءة ، وذهب ابن حجر إلى أن النبي - ﷺ - لم يفصح بأمر سورة براءة ، فأضافها عثمان - رضي الله عنه - إلى الأنفال اجتهاداً منه . (4) وعمدة الأدلة عند أصحاب هذا الرأي هو حديث ابن عباس حين سأل عثمان : " ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال ... " (5) .

2) وقال السيوطي : "إنه ينبغي القول بأن محل الخلاف إنما هو خاص بترتيب سور الأقسام الأربعة ، وأما نفس الأقسام من الطوال ثم المئين ثم المئاني ثم المفصل فلا خلاف في ترتيبها إجمالاً ، فهذا يقتضى القطع بأنه توفيقى .

(1) سنن الترمذي ، كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة التوبة ، مجلد 5 ، ص 117 ، حديث رقم (3086) ، تحقيق الدكتور مصطفى الذهبي ، دار الحديث القاهرة 2005 م .

(2) انظر : الإقتان ، للسيوطي ، جزء 1 ، ص (202، 203)

(3) هو أحمد بن علي بن حجر العسقلاني أبو الفضل شهاب الدين ، من أئمة العلم والتاريخ ، أصله من عسقلان بفلسطين ، ومولده ووفاته بالقاهرة ، كان فصيح اللسان ، عارفاً بالشعر وبأيام المتقدمين ، من كتبه : شرح صحيح البخاري وتهذيب التهذيب ، ولد سنة 773 هـ ، وتوفي سنة 852 هـ ، الأعلام ، الزركلي ، مجلد 1 ، ص 178 .

(4) الإقتان ، للسيوطي ، جزء 1 ، ص 198

(5) سنن الترمذي ، مجلد 5 ، ص 117 ، حديث رقم (3086)

وبنى هذا على ما تقدم من الأحاديث وعلى حديث ابن عباس في الأنفال وبراءة ،
وأيضاً على أن المصاحف التي وقع فيها الاختلاف في الترتيب اتفقت على هذا
الترتيب ، وكان اختلافها في ترتيب سور كل قسم قال " فإذا تحرر ذلك نظرنا إلى
محل الخلاف ، فالمختار عندي في ذلك ما قاله البيهقي ، وهو أن كل السور
توقيفية سوى الأنفال وبراءة " (1) .

ثالثاً : القائلون بالتوقيف :-

قال جماعة من العلماء إن ترتيب السور على ما هو عليه في المصاحف اليوم بتوقيف
من النبي - ﷺ - ، بتعليم من جبريل عليه السلام ورب العزة جل وعلا .
وهو بهذا الترتيب في اللوح المحفوظ ، وقد تكلم به سبحانه تعالى بهذا الترتيب ، وكانت
الآيات والسور تنزل وفق الحاجات وما يتطلبه أمر التشريع ، إلى أن استقر في العرصة
الأخيرة وعلى هذا الترتيب .

وما روي من اختلاف المصاحف فقد كان أولاً ، ثم رتب لهم رسول الله - ﷺ - السور
بعد أن لم يكن ذلك من قبل .

أولاً : الأدلة من الحديث الشريف :

(1) عن زيد أنه سمع أبا سلام يقول : حدثني أبو أمامة الباهلي قال : سمعت رسول الله
- ﷺ - يقول : " اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه ، اقرؤوا
الزهرابين ، البقرة وآل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما
غيايتان أو كأنهما فرقان من طير تحاجان عن أصحابهما " (2) .

(2) عن عائشة - رضي الله عنها - " أن النبي - ﷺ - كان إذا أوى إلى فراشه كل
ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما ، فقرأ فيهما قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل
أعوذ برب الناس ، ثم يمسخ بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ بهما على رأسه
ووجهه وما أقبل من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات " (3) .

(1) الإتيان ، السيوطي ، جزء 1 ، ص 200

(2) صحيح مسلم بشرح النووي ، مجلد 4 ، ص 416 ، حديث (804) ، كتاب صلاة المسافرين ، باب
فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة .

(3) صحيح البخاري بشرح ابن حجر العسقلاني ، مجلد 10 ، ص 76 ، حديث (5017) ، كتاب
فضائل القرآن ، باب فضل المعوذات .

(3) عن أبي إسحاق قال : سمعت عبد الرحمن بن يزيد قال : سمعت ابن مسعود -
رضي الله عنه- قال : " بني إسرائيل والكهف ومريم ، إنهن من العتاق الأول وهن من
تلادي " (1) . قال ابن حجر : العتاق جمع عتيق ، أو هو كل ما بلغ الغاية في الجودة
، من تلادي : أي مما حفظ قديما ، والتلاد : قديم الملك ، ومراد ابن مسعود أنهن
أول ما تعلم من القرآن (2) .

(4) وعن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله - ﷺ - : " كيف تصوم ؟ قال : كل
يوم قال : وكيف تختم ؟ قال : كل ليلة ، قال : صم في كل شهر ثلاثة ، وقرأ
القرآن في كل شهر ، قال : قلت : أطيق أكثر من ذلك قال : صم ثلاثة أيام في
الجمعة ، قلت أطيق أكثر من ذلك ، قال : أفطر يومين وصم يوما ، قال : قلت :
أطيق أكثر من ذلك ، قال : صم أفضل الصوم ، صوم داود ، صيام يوم وإفطار يوم
، وقرأ في كل سبع ليال مرة... " (3) .

(5) وحديث أوس بن حذيفة : " قدمنا على رسول - ﷺ - في وفد تقيف وفي الحديث :
فقال لنا رسول الله - ﷺ - طراً على حزبي من القرآن ، فأردت ألا أخرج حتى
أفضيه ، قال : فسألنا أصحاب رسول الله - ﷺ - قلنا : كيف تحزبون القرآن ؟
قالوا نحزبه ثلاث سور وسبع سور وتسع سور وإحدى عشرة و ثلاث عشرة
وحزب المفصل " (4)

وإذا كان كثير من الأحاديث يتحدث عن ترتيب بعض سور القرآن فإن في الحديثين
الأخيرين بياناً لترتيب السور كلها ، أما حديث عبد الله بن عمرو فدلالته على ما نحن
بصدده ظاهرة ؛ إذ كيف يقرأ القرآن دون أن تكون سورته مرتبة .
وسأذكر الأقوال بأذن الله مشفوعة بدليلها ، ثم أعقب أخيراً بالرأي الراجح مع أدلته .
والله الموفق .

(1) صحيح البخاري بشرح ابن حجر العسقلاني ، مجلد 9 ، ص 302 كتاب التفسير سورة الإسراء .

(2) المرجع السابق ، كتاب التفسير ، سورة الإسراء ، مجلد 8 ، ص 388 .

(3) المرجع السابق ، مجلد 9 ، ص 109 ، حديث (5052) كتاب فضائل القرآن ، باب في كم يقرأ
القرآن؟

(4) سنن ابن ماجه ، جزء 1 ، ص 427 ، حديث (1345) كتاب الصلاة ، في كم يختم القرآن ؟
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية .

ثانياً : الأدلة من أقوال العلماء :

(1) قال القاضي أبو بكر الباقلاني: حيث ذهب إلى القول بأن ترتيب القرآن الذي هو

بين دفتي المصحف ثابت على ما نظمه الله تعالى ، ورتبه عليه النبي - ﷺ - وإن

الأمة ضبطت عن النبي - ﷺ - ترتيب آيات كل سورة ومواقعها . (1)

(2) عن ابن وهب قال : "سمعت مالكا يقول إنما ألف القرآن على ما كانوا يسمعون

من قراءة الرسول - ﷺ - " (2) ، وهذا إن أخذ على عمومته فهو يشمل الآيات

والسور .

(3) في أحد قولي ابن حجر جاء قوله : " ومما يدل على أن ترتيب المصحف كان

توقيفياً ، ما أخرجه أبو داود ، عن أوس بن أبي أوس بن حذيفة الثقفي قال : كنت

في الوفد الذين أسلموا من ثقيف - فذكر الحديث ، وفيه : فقال لنا رسول الله -

ﷺ - طراً على حزبي من القرآن ، فأردت ألا أخرج حتى أقضيه ، قال : فسألنا

أصحاب رسول الله - ﷺ - قلنا : كيف تحزبون القرآن ؟ قالوا نحزبه ثلاث سور

وسبع سور وتسع سور وأحدى عشرة ثلاث عشرة وحزب المفصل من ق حتى

تختم (3) . قلت : فهذا يدل على أن ترتيب السور على ما هو في المصحف الآن ،

كان علي عهد النبي - ﷺ - " .

(4) قال أبو جعفر النحاس(4) : المختار أن تأليف السور على هذا الترتيب من رسول

الله - ﷺ - لحديث واثلة ابن الأسقع أن النبي - ﷺ - قال : " أعطيت مكان

التوراة السبع الطوال ، وأعطيت مكان الزبور المثني ، أعطيت مكان الإنجيل المثاني

وفضلت بالمفصل " (5) قال : " وهذا الحديث يدل على أن تأليف القرآن مأخوذ عن

(1) انظر : الإتيان ، السيوطي ، جزء 1 ، ص 196

(2) انظر : المرجع السابق ، جزء 1 ، ص 200

(3) سنن أبي داود ، تحقيق : الدكتور السيد محمد السيد وآخرون ، كتاب الصلاة ، باب تحزيب القرآن ،
مجلد 2 ، ص 604 ، حديث رقم (1393) دار الحديث ، القاهرة ، 1991م .

(4) أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري ، أبو جعفر النحاس ، مفسر ، أديب ، مولده ووفاته
بمصر ، زار العراق ، وصنف : تفسير القرآن وإعراب القرآن ، توفي 338هـ ، الأعلام ، الزركلي ،
مجلد 1 ، ص 208 .

(5) مسند الإمام أحمد ، إعداد : علي حسن الطويل ، مجلد ، ص 149 ، حديث (16953) المكتب
الإسلامي ، الطبعة الأولى ، 1993م .

النبي - ﷺ - وأنه مؤلف من ذلك الوقت وإنما جمع المصحف على شيء واحد ، لأنه قد جاء هذا الحديث بلفظ رسول الله - ﷺ - على تأليف القرآن " (1) .

(5) قال الإمام البغوي (2) : في شرح السنة : " الصحابة - رضي الله عنهم - جمعوا بين الدفتين القرآن الذي أنزله الله على رسوله من غير أن زادوا أو نقصوا منه شيئاً ، خوف ضياع بعضه بذهاب حفظته ، فكتبوه كما سمعوا من رسول الله - ﷺ - من غير أن قدموا شيئاً أو أخرجوا ، أو وضعوا له ترتيباً لم يأخذه من رسول الله - ﷺ - وكان رسول الله - ﷺ - يلقي أصحابه ويعلمهم ما نزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا بتوقيف جبريل إياه على ذلك ، وإعلامه عند نزول كل آية أن هذه الآية تكتب عقب آية كذا في سورة كذا فثبت أن سعى الصحابة كان في جمعه في موضع واحد لا في ترتيب ، فإن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب ، أنزله الله جملة إلى السماء الدنيا ، ثم كان ينزله مفرقاً عند الحاجة " (3) .

ثالثاً : الأدلة العقلية :

(1) كذلك مما يدل على أن ترتيب القرآن توقيفي واقع الترتيب في المصحف الآن حيث لو نظرنا في المصحف لصعب علينا أن نستنبط قاعدة رتبنا على أساسها سور القرآن الكريم ، فمن المعلوم أن من السور مكياً و مدنياً ، وطوالاً وقصاراً ، فلو كان الترتيب اجتهادياً لكانت هناك قاعدة رتبنا سور القرآن على أساسها .

(2) لو كان الترتيب اجتهادياً لوجب أن تراعى السور المتناظرة إلا أننا لا نجد ذلك فالحواميم السبعة رتبنا معاً ، بينما المسبحات التي تبدأ ببسبح وسبح لم ترتب ، ونجد هذا في كثير من السور التي ابتدأت بالحروف المقطعة ، والسور التي ابتدأت بالقسم .

(1) انظر : الإتقان ، السيوطي ، جزء 1 ، ص 198
(2) هو الحسين بن مسعود بن محمد الفراء أو ابن الفراء ، أبو محمد ويلقب بمحيي السنة البغوي ، فقيه ، محدث ، مفسر ، نسبته إلى بغا من قرى خراسان ، من كتبه شرح السنة ومصابيح السنة ، توفي عام 510 هـ ، الأعلام ، الزركلي ، مجلد 2 ، ص 259 . ومعجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة ، مجلد 2 ، جزء 4 ، ص 61 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
(3) انظر : شرح السنة ، الإمام البغوي ، تحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرنؤوط ، مجلد 4 ، (521 ، 522) المکتب الإسلامي بیروت ، الطبعة الأولى ، 1983 م .

مناقشة الأدلة :-

إن ما استدل به الفريق الأول من الآثار لا ينهض لهم حجة فيما ذهبوا إليه وذلك لما يلي :

1- أما حديث حذيفة الإجابة عنه (1):

(1) إن القراءة في الصلاة لا يجب فيها الترتيب وهذا هو مذهب جمهور العلماء .

(2) لعل الرسول ﷺ - إنما فعل ذلك من أجل بيان الجواز .

2- أما حديث معاذ الذي يرويه جابر:

فليس فيه دليل على الترتيب ، بل إن سياق الحديث يدل على أن الترتيب أمر غير مراد ، فمعاذ كان يطيل الصلاة بالقوم ، وهم ذوا أعمال وأعدار فأرشده النبي -

ﷺ - إلى التخفيف بقراءة بعض السور ومثل له ببعضها دون أن يريد الترتيب (2) .

3- وأما ترتيب مصاحف بعض الصحابة - ﷺ :-

فلا يقوم لهم دليلاً على ما ذهبوا إليه فقد كانوا يكتبون في مصاحفهم ما تتسنى لهم كتابته ، ولعل لهم العذر في مخالفتهم الترتيب المقروء لدينا الآن (3) .

4- حديث ابن عباس :

وسوف نناقشه من أكثر من جهة :

أولاً : من جهة إسناده

1- فإسناده كما في الترمذي قال: حدثنا يحيى بن سعيد ثنا سعيد ثنا عوف ثنا يزيد

الفارسي ... وفي هذا السند راويان فيهما مقال : أما الأول فهو عوف الأعرابي

قال الذهبي في الميزان عنه : " وكان يقال له عوف الصدوق ، وقيل كان يتشيع ،

قد وثقه جماعة .

وكان داود بن أبي هند يضربه ويقول ويلك يا قدرى . وقال بن دادر وهو يقرأ

حديث عوف : والله لقد كان عوف قدرياً رافضياً شيطاناً (4) .

(1) انظر : إتقان البرهان في علوم القرآن ، فضل عباس ، مجلد 1 ، ص 456 .

(2) انظر : المرجع السابق ، مجلد 1 ، ص 455 .

(3) انظر : المرجع السابق ، مجلد 1 ، ص 456 .

(4) ميزان الاعتدال ، الذهبي ، تحقيق علي محمد البجاوي ، مجلد 3 ، ص 305 ، دار الفكر .

أما الثاني فهو يزيد الفارسي ، فقد نقل الشيخ أحمد الساعاتي - رحمه الله - في الفتح الرباني أن البخاري ذكره ، في (كتابه الضعفاء الصغير) لاشتباهه في اسمه هل هو بن هرمز أو لا (1).

وقال فيه الذهبي : هو يزيد بن أبان الرقاشي . وقال فيه النسائي وغيره : متروك (2).

2- إن يزيد تفرد برواية الحديث كما قال الترمذي .

وقال الشيخ أحمد البنا : " وحيث إنه انفرد بهذا الحديث ، لا يحتج به في ترتيب القرآن الذي يطلب فيه التواتر ، لاسيما وقد قال الخطيب في (كتاب الكفاية) لا يقبل خبر الواحد في منافية حكم العقل ، وحكم القرآن الثابت المحكم والسنة المعلومة ، والفعل الجاري مجرى السنة ، وكل دليل مقطوع به ، وكثيراً ما يضعف علماء الحديث راوياً لانفراده برواية حديث يخالف المشهور من الروايات " (3).

ثانياً : الحديث من جهة متنه : يمكن مناقشة متن الحديث كما يلي (4):

1- يظهر التناقض بين أول الحديث وآخره ، ففي أوله يبين أن النبي - ﷺ - كان لا يترك شيء من القرآن إلا وبين موضعه في السورة ، ولكن آخره فيه أن النبي - ﷺ - لم يبين ما يتصل ببراءة والأنفال وهذا غير مقبول .

2- أن سورة الأنفال كانت من أول ما نزل من القرآن المدني ، أما نزول براءة فكان من آخر القرآن الكريم نزولاً ، ولا يعقل أن هذا الأمر يخفى على المسلمين هذه المدة الطويلة .

3- إن عثمان - رضي الله عنه - لم ينفرد لا يمكن له ذلك في ترتيب السور والآيات ، فإن هناك من الصحابة من هم أقرأ وأحفظ منه ، فإنفراده كما في هذا الحديث أمر غير متصور .

4- إن عثمان - رضي الله عنه - جل الذي فعله جمع الناس على حرف واحد ، وأما ترتيب المصحف سوراً وآيات فهو الترتيب ذاته الذي كان في عهد أبي بكر - رضي الله عنه - .

(1) انظر : الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني مع شرحه بلوغ الأمان من أسرار الفتح الرباني ، أحمد عبد الرحمن البنا ، جزء 18 ، ص 155 ، سورة التوبة ، باب سبب عدم وجود البسمة في أولها ، دار إحياء التراث العربي .

(2) ميزان الاعتدال ، الذهبي ، مجلد 4 ، ص 418

(3) الفتح الرباني ، أحمد عبد الرحمن البنا ، مجلد 18 ، ص (155 ، 156)

(4) انظر : إتيان البرهان ، فضل عباس ، مجلد 1 ، ص 459 - 460 .

5- ما ورد في الحديث عن عثمان - رضي الله عنه - بأنه ترك كتابة سطر (بسم الله الرحمن الرحيم) بعيد عن القبول ، فأمر البسمة إثباتاً أو حذفاً مما لا يمكن أن يملكه أحد ، من هنا جاء عن ابن عباس القول في ترك البسمة فقال : " لم تكتب البسمة في براءة لأنها أمان ، وبراءة نزلت بسيف " .

6- إن هذا الحديث كان السؤال فيه عن ترك البسمة وجعل السورتين في محل سورة واحدة ، ولم يكن عن الترتيب ؛ لذلك لا ينهض دليلاً لأحد من الفريقين القائمين بالاجتهاد والقائلين والتفصيل .

والذي نخلص إليه بعد الوقوف على أقوال العلماء بأن ترتيب السور في القرآن الكريم هو ترتيب توقيفي لا مجال للاجتهاد فيه ؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد تلقى القرآن من جبريل عليه السلام وأمر كتابة الوحي أن يكتبوا كل سورة في موضعها .

المطلب الثاني : علم المناسبة بين القبول والرد : -

أولاً: المعارضون لعلم المناسبة :

1- الشيخ عز الدين بن عبد السلام :

حيث قال : " المناسبة علم حسن ؛ ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في متحد مرتبط أوله بآخره ؛ فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر .

قال : من ربط ذلك فهو متكلف لما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يصاب عنه حسن الحديث فضلاً عن أحسنه ؛ فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة لأسباب مختلفة ؛ وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض ؛ إذ لا يحسن أن يرتبط تصرف الإله في خلقه وأحكامه بعضها ببعض ؛ مع اختلاف العلل والأسباب ؛ كتصرف الملوك والحكام والمفتين ، وتصرف الإنسان نفسه بأمور متوافقة ومتخالفة ومتضادة ، وليس لأحد أن يطلب ربط بعض تلك التصرفات مع بعض ، مع اختلافها في نفسها واختلاف أوقاتها⁽¹⁾.

(1) انظر الإيقان ، للسيوطي ، جزء 3 ، ص 272

2- أقوال الشوكاني في علم المناسبة ومناقشتها :

(1) إن البحث في هذا العلم ضرب من التكلف ، وأنه لا فائدة منه ، وأنه من التكلم بمحض الرأي المنهي عنه وينعى على البقاعي وغيره عنايتهم بهذا العلم :لذلك رأيت أن أورد أقواله كما جاءت في مقدمة تفسيره ومن ثم أقوم بالرد عليها:
يقول الشوكاني في مقدمة تفسيره معارضا لعلم المناسبة منكرًا له ومنتقدا للمهتمين به : " اعلم أن كثيرا من المفسرين جاءوا بعلم متكلف وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته واستغرقوا أوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه ؛ وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف فجاءوا بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف ويتنزه عنها كلام البلغاء فضلا عن كلام الرب سبحانه حتى أفردوا ذلك بالتصنيف وجعلوه المقصد الأهم من التأليف كما فعله البقاعي في تفسيره ومن تقدمه حسبما ذكر في خطبته " (1) .

(2) ويتساءل الشوكاني : كيف نطلب للآيات مناسبات وقد نزلت منجمة حسب الأحداث فلا تناسب بينها إذا ؟ وفي هذا يقول الشوكاني : " وإن هذا لمن أعجب ما يسمعه من يعرف أن هذا القرآن ما زال ينزل مفرقا على حسب الحوادث المقتضية لنزوله منذ نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن قبضه الله عز وجل إليه وكل عاقل فضلا عن عالم لا يشك أن هذه الحوادث المقتضية نزول القرآن متخالفة باعتبار نفسها بل قد تكون متناقضة كتحريم أمر كان حلالا وتحليل أمر كان حراما وإثبات أمر لشخص أو أشخاص يناقض ما كان قد ثبت لهم قبله ، وتارة يكون الكلام مع المسلمين وتارة مع الكافرين وتارة مع من مضي وتارة مع من حضر وحينما في عبادة وحينما في معاملة ووقتا في ترغيب ووقتا في ترهيب وآونة في بشارة وآونة في نذارة وطورا في أمر دنيا وطورا في أمر آخرة ومرة في تكاليف آتية ومرة في أقاصيص ماضية وإذا كانت أسباب النزول مختلفة هذا الاختلاف ومتباينة هذا التباين الذي لا يتيسر معه الائتلاف فالقرآن النازل فيها هو باعتباره نفسه مختلف كاختلافها فكيف يطلب العاقل المناسبة بين الضب والنون والماء والنار والملاح والحادي ؟ " (2)

(1) فتح القدير ، الشوكاني ، مجلد 1 ، ص 30 .

(2) المرجع السابق ، مجلد 1 ، ص 30 .

3) ويقول الشوكاني أيضا منكرًا لإمكانية الربط بين الآيات والسور والتماس الوحدة الموضوعية للقرآن " وأنت تعلم أنه لو تصدى رجل من أهل العلم للمناسبة بين ما قاله رجل من البلغاء من خطبه ورسائله وإنشاءاته أو إلى ما قاله شاعر من الشعراء من القصائد التي تكون تارة مدحا وأخرى هجاء وحينًا نسيبًا وحينًا رثاء وغير ذلك من الأنواع المتخالفة فعمد هذا المتصدي إلى ذلك المجموع فناسب بين فقره ومقاطعته ثم تكلف تكلفًا آخر فناسب بين الخطبة التي خطبها في الجهاد والخطبة التي خطبها في الحج والخطبة التي خطبها في النكاح ونحو ذلك وناسب بين الإنشاء الكائن في العزاء والإنشاء الكائن في الهناء وما يشابه ذلك لعد هذا المتصدي لمثل هذا مصابا في عقله متلعبا بأوقاته عابثا بعمره الذي هو رأس ماله وإذا كان مثل هذا بهذه المنزلة وهو ركوب الأحموقة في كلام البشر فكيف تراه يكون في كلام الله سبحانه الذي أعجزت بلاغته بلغاء العرب وأبكمت فصاحته عدنان وقحطان ؟ وقد علم كل مقصر وكامل أن الله سبحانه وصف هذا القرآن بأنه عربي وأنزله بلغة العرب وسلك فيه مسالكهم في الكلام وجرى به مجاريهم في الخطاب وقد علمنا أن خطيبهم كان يقوم المقام الواحد فيأتي بفنون متخالفة وطرائق متباينة فضلا عن المقامين فضلا عن المقامات فضلا عن جميع ما قاله ما دام حيا وكذلك شاعرهم ولنكتف بهذا التنبيه على هذه المفسدة التي تعثر في ساحاتها كثير من المحققين وإنما ذكرنا هذا البحث في هذا الموطن لأن الكلام هنا قد انتقل مع بني إسرائيل بعد أن كان قبله مع أبي البشر آدم عليه السلام فإذا قال متكلف كيف ناسب هذا ما قبله قلنا لا كيف فدع عنك نهيا صريح في حجراته وهات حديثا ما حديث الرواحل " (1) .

مناقشة الشوكاني فيما ذهب إليه من أن علم المناسبات علم بلا فائدة :

الحق أن لهذا العلم فوائد عديدة و ثمرات نافعة منها :

أ - معرفة وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم :

فالقرآن الكريم : حجة الله البالغة وآياته المتجددة ومعجزة الرسول الخالدة ، معجزة لكل جيل ، معجزة في كل عصر ومصر ، معجزة للبشرية جمعاء في شتى أطوار حياتها بل معجزة أيضا للجن

(1) انظر فتح القدير ، الشوكاني ، مجلد 1 ، ص 31

قال تعالى ﴿ قُلْ لئن اجتمعت الإنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا وَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ { الإسراء : 88 ، 89 } .

ومن أبرز وجوه إعجاز القرآن الكريم : إعجازه بحسب تناسب آياته وتناسق وتعانق سورة ، فالقرآن الكريم وحدة موضوعية واحدة وآياته وسوره بناء واحد .
ولقد ذكر السيوطي في كتابه معترك الأقران في إعجاز القرآن من ضمن وجوه الإعجاز [الوجه الرابع من وجوه الإعجاز : مناسبة آياته وسوره وارتباط بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني] .

و يقول الباقلاني في كتابه إعجاز القرآن : " والوجه الثالث من وجوه إعجازه : " أنه بديع النظم عجيب التأليف متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه(1) .
ويقول أيضا " ... وقد تأملنا نظم القرآن فوجدنا جميع ما يتصرف فيه من الوجوه التي قدمنا ذكرها على حد واحد في حسن النظم وبديع التأليف والرصف لا تفاوت فيه ولا انحطاط عن المنزلة العليا ولا إسفاف فيه إلى الرتبة الدنيا " (2) .

ويقول أيضا : " فأما نهج القرآن ونظمه وتأليفه ورصفه فإن العقول تتيه في جهته وتحار في بحره وتضل دون وصفه . ونحن نذكر لك في تفصيل هذا ما تستدل به على الغرض وتستولي به على الأمد وتصل به إلى المقصد وتتصور إعجازه كما تتصور الشمس وتتيقن تناهي بلاغته كما تتيقن الفجر وأقرب عليك الغامض وأسهل عليك العسير ، واعلم أن هذا علم شريف المحل عظيم المكان قليل الطلاب ضعيف الأصحاب(3) .

ثم يذكر الباقلاني نماذج عديدة تدل على روعة النظم القرآني نذكر منها ما يلي : " تأمل السورة التي يذكر فيها النمل وانظر فيها كلمة كلمة وفصلا فصلا ؛ بدأ بذكر السورة إلى أن بين أن القرآن من عنده فقال تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ { النمل : 6 } ثم وصل بذلك قصة موسى عليه السلام وأنه رأى نارا ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنستُ نارا سآتِيكمُ مِنْهَا بَخْرٍ أَوْ آتِيكمُ بِسِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ { النمل : 7 } وقال في سورة طه في هذه القصة ﴿ إِذْ رَأَى نارا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنستُ

(1) إعجاز القرآن ، الباقلاني ، ص 37 .

(2) المرجع السابق ، ص 37

(3) المرجع السابق ، ص 184 - 185 .

نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿ طه : 10 ﴾ {وفي موضع ﴿ فَلَ مَا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ { القصص : 29 } ، قد تصرف في وجوه وأتى بذكر القصة على ضروب ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك ولهذا قال ﴿ فَلَ يَا تُؤْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ { الطور : 34 } ليكون أبلغ في تعجزهم وأظهر للحجة عليهم ، وكل كلمة من هذه الكلمات وإن أنبأت عن قصة فهي بليغة بنفسها تامة في معناها ثم قال ﴿ فَلَ مَا جَاءَهَا نُودِي أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ { النمل : 8 } ، فانظر إلى ما أجرى له الكلام من علو أمر هذا النداء وعظم شأن هذا الثناء وكيف انتظم مع الكلام الأول وكيف اتصل بتلك المقدمة وكيف وصل بها ما بعدها من الإخبار عن الربوبية وما دل به عليها من قلب العصا حية وجعلها دليلا يدل على معجزة تهيئه إليه ، وانظر إلى الكلمات المفردة القائمة بأنفسها في الحسن وفيما تتضمنه من المعاني الشريفة ثم ما شفع به هذه الآية وقرن به هذه الدلالة من اليد البيضاء عن نور البرهان من غير سوء ، ثم انظر فيه آية آية وكلمة كلمة هل تجدها كما وصفنا من عجيب النظم وبديع الرصف فكل كلمة لو أفردت كانت في الجمال غاية وفي الدلالة آية فكيف إذا قارنتها أخواتها وضامتها ذواتها مما تجري في الحسن مجراها وتأخذ في معناها ، ثم من قصة إلى قصة ومن باب إلى باب من غير خلل يقع في نظم الفصل إلى الفصل وحتى يصور لك الفصل وصلا ببديع التأليف وبليغ التنزيل . " (1) .

وقال الأستاذ الرافعي : " من أعجب ما اتفق في هذا القرآن من وجوه إعجازه أن معانيه تجري في إحكام النظم مجرى ألفاظه على ما بيناه من أمرها - يعني ما سبق أن ذكره عن جمالها وروعيتها وبلاغتها - إن هذا الإعجاز في معني القرآن وارتباطها أمر لا ريب فيه وهو أبلغ في معناه إذا انتهت إلى أن السورة لم تنزل على هذا الترتيب فكان الأخرى أن لا تلتئم وأن لا يناسب بعضها بعضا وأن تذهب آياتها في الخلاف كل مذهب ، ولكنه روح من أمر الله تفرق معجزا فلما اجتمع اجتمع له إعجاز آخر " (2) . ويقول رحمه الله : " وإنك لتحار إذا تأملت تركيب القرآن ونظم كلماته في الوجوه المختلفة التي يتصرف فيها وتقع بك العبارة إذا أنت حاولت أن تمضي في وصفه حتى

(1) إعجاز القرآن ، الباقلائي ، ص 40 .

(2) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، الرافعي ، ص 278 .

لا ترى في اللغة كلها أدل على غرضك وأجمع لما في نفسك وأين لهذه الحقيقة غير كلمة الإعجاز " (1).

ويقول الدكتور محمد عبد الله دراز رحمه الله : " لعمرى لئن كان للقرآن في بلاغة تعبيره معجزات وفي أساليب ترتيبه معجزات ، وفي نبوءته الصادقة معجزات ، وفي كل ما استخدمه من حقائق العلوم النفسية والكونية معجزات ، لعمرى إنه في ترتيب آياته معجزة المعجزات " .

ب- الاستعانة بعلم المناسبات في فهم المعنى :

لا غنى للمفسر عن دراسة هذا العلم والتعمق فيه فمن خلاله يستعين على فهم المعنى أو الترجيح بين الآراء في ضوء السياق ، أو إزالة لبس أو إشكال ، أو دفع إيهام ، أو معرفة الحكمة من إيراد القصص القرآني ، أو غير ذلك من الفوائد ؛ لذا فلا بد من النظرة الكلية الشاملة والتأمل في مقاصد السورة وتعيين المحور العام الذي تدور حوله ، وتقسيم الآيات إلى مقاطع كل مقطع يمثل وحدة موضوعية واحدة مترابطة ومستمسكة ومتناسقة مع سابقتها ولاحقها .

يقول الإمام الرازي رحمه الله " علم المناسبات علم عظيم أودع فيه كثير من لطائف القرآن وروائعه وهو أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول " (2) . وقال الزركشي : " والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ففي ذلك علم جم وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقته له " (3).

ج- الوقوف على سمة خاصة من سمات القرآن الكريم :

كما تفرد القرآن الكريم بنزوله منجما - حسب الحوادث والنوازل - على غير ما هو معهود في الكتب السابقة التي نزلت جملة واحدة : فلقد تميز القرآن المجيد بهذا النظم الفريد ، وهذا السبك النضيد ، وهذا التصريف العجيب ، وهذا التنوع في الأساليب ، والثراء في الأداء ، والانتقال من موضوع إلى موضوع ومن حكمة إلى حكمة ومن قصة إلى قصة ومن مثل إلى مثل ، دون أن يؤدي ذلك إلى اضطراب أو خلل ، أو سامة أو ملل ، أو تناقض أو اختلاف ، بل تناسق وائتلاف .

(1) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، الراجعي ، ص 280 .

(2) البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، جزء 1 ، ص 35

(3) المرجع السابق ، جزء 1 ، ص 38 .

وقال سبحانه مبينا الحكمة من نزول القرآن منجما ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾ {الفرقان : 32} فمجىء القرآن منجما على مدار أكثر من عشرين سنة حسب ما تقتضيه الحوادث والنوازل وما يتناسب مع الظروف والأحوال وما يتواكب مع المراحل التي مرت بها الدعوة ثم ترتيبه حسب ما هو موجود في اللوح المحفوظ بهذه الحكمة والروعة : سمة من سمات هذا القرآن ، وخاصة من خصائصه التي تفرد بها عن الكتب السابقة التي نزلت جملة ، ومع تنوع موضوعات السورة الواحدة حيث الأحكام ، والعقيدة ، والقصاص ، والأمثال والوعد والوعيد ، إلا أننا نجدتها مجتمعة في سياق واحد متناسبة متناسقة تصب كلها في هدف واحد وتدور كلها حول محور واحد وينظمها عقد واحد ، ويربطها رابط واحد فلا تناقض ولا اضطراب ولا تفكك ولا تنافر بين الموضوعات ، فهذا الترتيب متوافق مع الهدف العام للقرآن وهو التذكير المتجدد مصداقا لقوله عز وجل : ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ {طه : 113} ، وعن ذلك يقول صاحب مناهل العرفان مبينا خاصية من خواص القرآن وهي : " جودة سبكه وإحكام سرده : ومعنى هذا أن القرآن بلغ من ترابط أجزائه وتماسك كلماته وجمله وآياته وسوره مبلغا لا يداينه فيه أي كلام آخر مع طول نفسه وتنوع مقاصده وافتتانه وتلويينه في الموضوع الواحد وآية ذلك أنك إذا تأملت في القرآن الكريم وجدت منه جسما كاملا تربط الأعصاب والجلود والأغشية بين أجزائه ، ولمحت فيه روحا عاما يبعث الحياة والحس على تشابك وتساند بين أعضائه فإذا هو وحدة متماسكة متألفة على حين أنه كثرة متنوعة متخالفة فبين كلمات الجملة الواحدة من التناسق ما جعلها رائعة التجانس والتجاذب وبين جمل السورة الواحدة من التشابك والترابط ما جعلها وحدة صغيرة متآخذة الأجزاء ، متعانقة الآيات ، وبين سور القرآن من التناسب ما جعله كتابا حسن السميت قراءنا عربيا غير ذي عوج ، فكأنما هو سبيكة واحدة تأخذ بالأبصار على حين أنها مؤلفة من حلقات لكل حلقة منها وحدة مستقلة في نفسها ذات أجزاء ، ولكل جزء موضع خاص من الحلقة ، ولكل حلقة وضع خاص من السبيكة لكن على وجه من جودة السبك ، وإحكام السرد جعل من هذه الأجزاء المنتشرة المتفرقة وحدة بديعة متألفة ، تريك كمال الانسجام بين كل جزء وجزء ، ثم بين كل حلقة وحلقة ، ثم بين أوائل السبيكة وأواخرها وأواسطها ، يعرف هذا الإحكام والترابط في القرآن كل من ألقى باله إلى التناسب الشائع فيه ، من غير تفكك ولا

تخاذل ولا انحلال ولا تنافر ، بينما الموضوعات مختلفة متنوعة فمن تشريع إلى قصص إلى جدل إلى وصف إلى غير ذلك" (1) .

ثم إن الإمام الشوكاني قال بعلم المناسبة في مواضع كثيرة من تفسيره منها :

1) الاستئناف البياني: الاستئناف : هو الإتيان بعد تمام الكلام بقول يفهم منه جواب سؤال مقدر .

أ- مثال ذلك قوله تعالى في سورة البقرة ﴿الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ {البقرة : 1،5} ، فقوله تعالى ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ { البقرة : 5 } ، قال الشوكاني في تفسيره : "كلام مستأنف استئنافا بيانيا كأنه قيل كيف حال هؤلاء الجامعين بين التقوى والإيمان بالغيب والإتيان بالفرائض والإيمان بما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى من قبله من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فقيل أولئك على هدى ويمكن أن يكون هذا خبرا عن الذين يؤمنون بالغيب ... فيكون متصلا بما قبله" (2) .

ب- وقوله تعالى في سورة آل عمران في أعقاب الحديث عن غزوة أحد ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ { آل عمران : 169 - 171 } .

قال الشوكاني في تفسيره : " لما بين الله سبحانه أن ما جرى على المؤمنين يوم أحد كان امتحانا لِيتميز المؤمن من المنافق والكاذب من الصادق بين ههنا أن من لم ينهزم وقتل فله هذه الكرامة والنعمة وأن مثل هذا مما يتنافس فيه المتنافسون ... " (3)

(1) مناهل العرفان في علوم القرآن ، عبد العظيم الزرقاني ، مجلد 2 ، ص 228- 229 ، دار الفكر .

(2) فتح القدير ، الشوكاني ، مجلد 1 ، ص 37 .

(3) المرجع السابق ، مجلد 1 ، ص 398

(2) الاستئناف التقريري : ومن الأمثلة على ذلك : -

أ- مثال ذلك قوله تعالى في سورة المائدة ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ {المائدة : 82} .

قال الشوكاني : " قوله { لتجدن } الخ هذه جملة مستأنفة مقررة لما قبلها من تعداد مساوئ اليهود وهناتهم " (1) وذلك ببيان شدة عداوتهم للمسلمين .

ب- وفي تفسيره لقوله تعالى من سورة النور ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور : 35] يبين الشيخ وجه الصلة بين هذه الآية وبين ما سبقها من آيات فيقول : " لما بين سبحانه من الأحكام ما بين أردف ذلك بكونه سبحانه في غاية الكمال ، وهذه الجملة مستأنفة لتقرير ما قبلها " (2) .

(3) التضاد : وهو الجمع بين المعنى وضده وهو من الأساليب البلاغية كالجمع بين الترغيب والترهيب والحديث عن الكفار بعد الحديث عن المؤمنين والحديث عن الجنة بعد الحديث عن النار ونحو ذلك .

وفي تفسير الشوكاني نماذج عديدة أبرز فيها هذا الوجه الرابط بين كثير من الآيات وفيما يلي نذكر نماذج من تفسيره تدل على ذلك :

أ - تفسيره لقوله تعالى من سورة البقرة ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ { البقرة : 6 ، 7 } ، يقول الشوكاني : " ذكر سبحانه فريق الشر بعد ذكر فريق الخير قاطعا لهذا الكلام عن الكلام الأول معنونا له بما يفيد أن شأن جنس الكفرة عدم إجداء الإنذار لهم وأنه لا يترتب عليهم ما هو المطلوب منهم من الإيمان وأن وجود ذلك كعدمه " (3) .

ب - وفي تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ { البقرة : 8 ، 9 } الخ الآيات التي تحدثت عن طائفة المنافقين : يقول الشوكاني في إبرازه الصلة بينها وبين سابقتها : " ذكر سبحانه في أول هذه السورة المؤمنين الخالص ثم ذكر بعدهم

(1) فتح القدير ، الشوكاني ، مجلد 2 ، ص 67 .

(2) المرجع السابق ، مجلد 4 ، ص 33 .

(3) المرجع السابق ، مجلد 1 ، ص 38 .

الكفرة الخالص ثم ذكر ثالثا المنافقين وهم الذين لم يكونوا من إحدى الطائفتين بل صاروا فرقة ثالثة لأنهم وافقوا في الظاهر الطائفة الأولى وفي الباطن الطائفة الثانية ومع ذلك فهم أهل الدرك الأسفل من النار " (1) .

ج - تفسيره لقوله تعالى من سورة البقرة ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ { البقرة : 25 } قال الشوكاني : " لما ذكر تعالى جزاء الكافرين عقبه بجزاء المؤمنين ليجمع بين الترغيب والترهيب والوعد والوعيد كما هي عادته سبحانه في كتابه العزيز لما في ذلك من تنشيط عباده المؤمنين وتنشيط عباده الكافرين عن معاصيه " (2) .

(4) التنظير : وهو إلحاق النظير بالنظير ، وبيان الرابط بينهما : وفي تفسير الشوكاني نماذج عديدة لذلك منها:

أ- ذكره في إبراز وجه الصلة بين قصة ابني آدم وبين ما سبقها من الحديث عن بني إسرائيل قال تعالى ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ { المائدة : 27 } . يقول الشوكاني : " وجه اتصال هذا بما قبله التنبيه من الله على أن ظلم اليهود ونقضهم المواثيق والعهود هو كظلم ابن آدم لأخيه فالداء قديم والشر أصيل " (3) .

ب- ومن مراعاة التنظير ما ذكره في تفسير قوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِطَارٍ يُؤَدُّ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدُّ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران : 75] قال الشوكاني : " هذا شروع في بيان خيانة اليهود في المال بعد بيان خيانتهم في الدين " (4) .

(5) المناسبة بين السورة وسابقتها : ولم يعن الشوكاني بهذا الجانب كثيرا

أ- لكنه في تفسير سورة الحج أورد مناسبة بينها وبين ما قبلها فقال : " لما انجر الكلام في خاتمة السورة المتقدمة إلى ذكر الإعادة وما قبلها وما بعدها بدأ سبحانه

(1) فتح القدير ، الشوكاني ، مجلد 1 ، ص 40 .

(2) المرجع السابق ، مجلد 1 ، ص 54 .

(3) المرجع السابق ، مجلد 2 ، ص 30 .

(4) المرجع السابق ، مجلد 1 ، ص 353 .

في هذه السورة بذكر القيامة وأهوالها حثاً على التقوى التي هي أنفع زاد فقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ { الحج : 1 }⁽¹⁾ و في تفسير سورة قريش ذكر ارتباطها بسابقتها أعني سورة الفيل التي تسبقها في ترتيب المصحف فسورة الفيل نزلت بعد سورة الكافرون وسورة قريش نزلت بعد سورة التين .

ج- يقول الشوكاني رحمه الله : " اللام في قوله { لإيلاف } قيل هي متعلقة بآخر السورة التي قبلها كأنه قال سبحانه أهلك أصحاب الفيل لأجل تألف قريش قال الفراء هذه السورة متصلة بالسورة الأولى لأنه ذكر سبحانه أهل مكة بعظيم نعمته عليهم فيما فعل بالحبشة ثم قال { لإيلاف قريش } أي فعلنا ذلك بأصحاب الفيل نعمة منا على قريش... " ⁽²⁾.

ثانياً : المؤيدون لعلم المناسبة : -

1- الفخر الرازي: وممن تأثر من علم المناسبات في تفسيره الإمام الفخر الرازي وقد قال في تفسير سورة البقرة : " من تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها ، علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه ، فهو أيضاً معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته ، لعل الذين قالوا إنه معجز بحسب أسلوبه أرادوا ذلك ، إلا إني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير منتبهين لهذه الأمور " ⁽³⁾.

2- الزركشي : حيث قال متحدثاً عن أسرار المناسبة في القرآن الكريم : " وهو علم يجعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض ، فيقوى بذلك الارتباط ، يصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء " ⁽⁴⁾ . وكذلك نجده يقول راداً على من أنكر علم المناسبة : " قال بعض مشايخنا المحققين : قد وهم من قال : لا يطلب للآي الكريمة مناسبة ، لأنها على حسب الوقائع المتفرقة ، وفصل الخطاب إنها على حسب الوقائع تنزيلاً ، وعلى حسب الحكمة ترتيباً ؛ فالمصحف كالمصحف الكريمة وعلى وفق ما في الكتاب المكنون ، مرتبة سورته كلها وآياته بالتوقيف ، وحافظ القرآن العظيم لو استفتي في أحكام متعددة ، أو ناظر فيها ، أو أملاها لذكر

(1) فتح القدير ، الشوكاني ، مجلد 3 ، ص 435 .

(2) المرجع السابق ، مجلد 5 ، ص 497 .

(3) التفسير الكبير ، الفخر الرازي ، مجلد 7 ، ص 139 ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ، 1981 م .

(4) البرهان في علم القرآن ، الزركشي ، مجلد 1 ، ص 37

آية كل حكم على ما سئل ، وإذا رجع إلى التلاوة لم يتل كما أفتى ولا كما نزل مفرقاً ؛ بل كم أنزل جملة إلى بيت العزة ... قال : والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أو كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها ، أو مستقلة ؛ وما وجه مناسبتها لما قبلها ؟ ففي ذلك علم جم " (1).

3- البقاعي : وهو من المكثرين لعلم المناسبة في تفسيره فنجده يبرز أهمية هذا العلم قائلاً : "... ثم إذا عبر الفطن من ذلك إلى تأمل ربط كل جملة بما تلتها وما تلاها خفي عليه وجه ذلك ، رأى أن الجمل متباعدة الأغراض متنائية المقاصد فظن أنها متنافرة ، فحصل له من القبض والكرب أضعاف ما كان حصل له بالسماع من الهز والبسط ، ربما شككه ذلك وزلزل إيمانه وزحزح إيقانه ... إلى أن يقول : فإذا استعان بالله وأدام الطرق لباب الفرج بإنعام التأمل واطهار العجز والوقف بأنه في الدرة من إحكام الربط كما كان في الأوج من حسن المعنى ... فانفتح له ذلك الباب ولاحته من وراءه بوارق أنوار تلك الأسرار " (2).

4- السيوطي : وهو من أبرز العلماء القائلين بعلم المناسبة حيث خصص الوجه الرابع من وجوه إعجاز القرآن الكريم عن الحديث عن علم المناسبة بين آيات القرآن وسوره (3) ومن ذلك أيضاً افتتاح السور بالحروف المقطعة واختصاص كل واحدة بما بدئت به بمعنى أن أكثر كلماتها وحروفها مماثل له (4) ، وخصص الوجه الخامس من وجوه إعجاز القرآن الكريم لمناسبة افتتاح السور لخواتيمها (5) .

(1) البرهان في علم القرآن ، الزركشي ، مجلد 1 ، ص 37

(2) نظم الدرر ، البقاعي ، مجلد 1 ، ص (7 ، 8)

(3) معترك الأقران في إعجاز القرآن ، السيوطي ، مجلد 1 ، ص 43 .

(4) المرجع السابق ، ص 55 .

(5) المرجع السابق ، ص 58 .

ثالثاً : الخلاصة

يتبين من الدراسة السابقة أن العلماء المعارضين لعلم المناسبة كانت معارضتهم قوليه فقط وليست عملية ومن الأدلة على ذلك :

- 1) إن الإمام العز بن عبد السلام - رحمه الله - لا ينكر وجود المناسبة على الإطلاق ولكنه يستحسنها إذا وقعت بين كلام متحد مرتبط أوله بآخره .
- 2) إن الإمام الشوكاني وهو يعد من أبرز المعارضين لعلم المناسبة ، نجده في تفسيره قد أورد الكثير من المناسبات بين الآيات ، وبالتالي تعتبر معارضة الشوكاني لعلم المناسبات معارضة شكلية
- 3) قام الإمام الشوكاني بالثناء على تفسير الإمام البقاعي فقال : " وكثيراً ما يشكّل علي شيء في الكتاب العزيز ، فأرجع إلى مطولات التفسير ومختصراتها ، فلا أجد ما يشفي ، وأرجع إلى هذا الكتاب فأجد ما يفيد في الغالب " (1).
- 4) إن القول بوجود المناسبات أمر يحتمه الاعتقاد بتنزيه كلام الله - سبحانه وتعالى - عن الفوضى والتناقض لقوله تعالى : ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ { النساء : 82 } .
- 5) إن علم المناسبة دقيق المسالك ؛ لأنه يحتاج إلى بذل الجهد للوقوف على الدلالات اللغوية والبيانية للألفاظ القرآنية ، وفوق كل ذلك لا بد أن يمتاز الباحث بالشفافية والحس المرهف ، ليدرك سر ترتيب الآيات .

(1) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، محمد بن علي الشوكاني ، جمع : محمد بن محمد بن زبارة ، مجلد 1 ، ص (18 - 20) ، الطبعة الأولى 1998 م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان

المبحث الرابع

دور المناسبة في الإعجاز البياني

إن مناسبة الآيات بعضها لبعض تجعل من أجزاء الكلام بعضه آخذاً بأعناق بعض ، فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم ، لذلك فإن ارتباط الآية بالآية إما أن يكون ظاهراً لتعلق الكلام ببعضه ببعض ، أو لا يظهر الارتباط وإليك بيان ذلك :

المطلب الأول : مناسبة الآيات واضحة الارتباط وغير واضحة الارتباط

أولاً : الظاهر الارتباط : وهذا القسم لا يحتاج إلى جهد في استخراج المناسبة ، لأن الصلة بين الجزأين واضحة ، مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ { آل عمران : 23 ، 24 } ، فبين في الآية الثانية السبب الذي دفعهم لرفض حكم كتاب الله وتوليهم وإعراضهم حيث بينهم تلازم ذهني (1).

ثانياً : الذي لا يظهر ارتباطه : وهو نوعان لأنه :

أ- إما أن يكون معطوفاً : هو عطف الآية بحرف من حروف العطف ، وفائدة العطف أن تكون مشتركة في الحكم مع سابقتها ، وأمثلة هذا النوع تظهر في المطابقة والمقابلة ، ومثال ذلك في المطابقة قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾ { الليل : 5 - 10 } ، لما جعل التيسير مشترك بين الإعطاء والتقوى والتصديق بالحسنى ، جعل التعسير مشترك بين أصداد تلك الأمور وهي المنع والإستغناء والتكذيب

ومثال المقابلة قوله تعالى : ﴿ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى {31} وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾ {القيامة : 31 ، 32} ، فقابل بين صدق وكذب وبين صلى وهو بمعنى الإقبال وتولى (2) .

ب- أو غير معطوف : وهذا النوع يعتمد الربط فيه على القرائن المعنوية ، وله وجوه :

(1) انظر : الإتيان في علوم القرآن ، السيوطي ، مجلد 1 ، ص 273 .

(2) المرجع السابق ، مجلد 1 ، ص 273 .

(1) **التنظير:** فالحاق النظر بالنظير من البلاغة ، كقوله تعالى : ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴾ { الأنفال : 5 } ، جاءت هذه الآية بعد قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ { الأنفال : 4 } ، والقصد أن كراحتهم من قسمة الغنائم ككراحتهم للخروج معه ، وكما أخرجك ربك من بيتك بالحق فقد قسمت الأنفال بالحق كذلك⁽¹⁾.

(2) **المضادة :** ومنه مناسبة الرحمة والعذاب ، والرغبة والرغبة ، ومن حكمته التشويق والثبات على أفضل المتضادين ، ومثاله قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ { البقرة : 165 } ، فقد قرر سبحانه في الآيات السابقة صفة الوجدانية بالدلائل الساطعة ، ثم أردفها بما يضاد التوحيد ، وتقبيح ضد الشيء مما يؤكد حسنه⁽²⁾ .

(3) **الاستطراد :** وهو أن يأخذ المتكلم في معنى فبينما يمر فيه يأخذ في معنى آخر جعل الأول سبباً له ، مثاله قوله تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ { الأعراف : 26 } ، فإن الآيات السابقة لهذه الآية كانت تتحدث عن قصة آدم وزوجه ، ووسوسة الشيطان لهما فقال تعالى : ﴿ فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ... ﴾ { الأعراف : 20 ، 21 } ، فكان وقع الاستطراد هنا في غاية الحسن ، حتى لا تحس أن الكلام قد انتقل من الغرض الأول إلى غيره قال الزمخشري : " وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد ، عقيب ذكر بدو السوءات وخصف الورق عليهما ؛ إظهاراً للمنة فيما خلق من اللباس ؛ ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة ، وإشعاراً بأن الستر باب عظيم من أبواب التقوى⁽³⁾ .

(1) انظر : معترك الأقرآن في إعجاز القرآن السيوطي ، مجلد 1 ، ص45

(2) المرجع السابق ، مجلد 1 ، ص46 .

(3) الكشف ، الزمخشري ، مجلد 2 ، ص59 .

4) **حسن التخلص** : وهو الانتقال من معنى من المعاني إلى معنى آخر ، على وجهاً سهل كأنه يختلس اختلاساً ، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال إلا وقد وقع علة الشيء ، لشدة الالتحام بينهما . فيرى الكلام وقد أخذ بعضه بأعناق بعض من غير قطع . والفرق بينه وبين الاستطراد : أنك في التخلص تركت الأول تماماً وأقبلت على ما تخلصت إليه ، وأما في الاستطراد فإنك تذكر الأمر الذي انتقلت إليه وتمر عليه سريعاً ، ثم تتركه وتعود للأول مرة أخرى . ومثال التخلص قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُ لَهَا عَاكِفِينَ ﴾ { الشعراء : 70 ، 71 } ، إلى أن قال : ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾ { الشعراء : 77 ، 78 } ، ثم يقول بعد ذلك : ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾ { الشعراء : 87 ، 88 } ، فقد رتب إبراهيم عليه السلام كلامه مع المشركين ، فسألهم سؤال تقرير ، ثم عرج على آلهتهم بأنها لا تنفع ولا تبصر ولا تسمع ، والدافع إلى عبادتها ليس إلا التقليد ، ثم انتقل إلى ذكر الإله الخالق المعبود ، ثم ذكر أن الواجب على العاقل إيثار من بيده أمره وتدبيره بالعبادة ، ونبذ ما ورائه ، ثم أراهم أنه ينصح نفسه فيكون ذلك أدعى لقبولهم ، فتخلص إلى ذكر الله تعالى ثم خرج من هذا الدعاء بما يناسب المقام ثم توصل من هذا إلى ذكر المعاد (1) .

المطلب الثاني : مناسبة الألفاظ في التعريف والتكثير :

أولاً : أما الأغراض الداعية إلى التعريف فذكر منها العلماء ما يلي (2) :

- أ- الإشارة إلى معهود خارجي كقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً ﴾ { المزمّل : 15 ، 16 } فكلمة الرسول في الآية تشير إلى المعهود .
- ب- الإشارة إلى معهود ذهني كقوله تعالى : ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ { التوبة : 40 } ، فكلمة الغار في ذهن المخاطب ؛ لأنها تقدمت .

(1) معترك الأقرآن في إعجاز القرآن السبوطي ، مجلد 1 ، ص 47

(2) انظر : نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم ، سامي محمد احريز ، ص 91 ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن .

ج- أن يقصد تعظيم المسند إليه بالقرب ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمٌ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ {الإسراء : 9} فاسم الإشارة (هذا) يشير إلى القرب .

د- أن يقصد تعظيم المسند إليه بالبعد ، كقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ { البقرة : 2} فاسم الإشارة (ذلك) يشير إلى البعد .

ثانياً : الأغراض الداعية إلى التذكير: فذكر منها العلماء ما يلي (1) :

أ- إرادة الوحدة ، كقوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ { القصص : 20} ، فرجل جاءت نكرة ، لأن الغرض إثبات الحكم بفرد واحد من أفراد الرجال .

ب- إرادة النوع ، كقوله تعالى : ﴿ وَتَجَدَدْتُهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ { البقرة : 96} ، حيث جاءت حياه نكرة أي أنهم يحرصون على أي نوع من الحياة .

ج- التعظيم ، بمعنى أنه أعظم من أن يعين ويعرف ، كقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ { البقرة : 279} ، جاءت كلمة حرب نكرة لتدل على أي حرب .

د- التكرير ، كقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ { فاطر : 4} ، فلفظ رسل جاء للكثرة .

ه- التحقير ، كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾ { الجاثية : 32} ، جاءت كلمة نظن للتحقير أي ظناً حقيراً لا يعبأ به وإلا لاتبعوه .

و- التقليل ، كقوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ { التوبة : 72} ، فجاءت كلمة رضوان للتقليل ، أي رضوان قليل من الله تعالى أكبر من الجنات ؛ لأن رضوان الله رأس كل سعادة .

(1) انظر : الإتيان ، السيوطي ، جزء 2 ، ص (588 – 589)

ثالثاً : أمثلة على مناسبة الألفاظ في التعريف والتكبير :

1) تنكير (أحد) وتعريف (الصدمة) :

وقد سئل السيوطي - رحمه الله - عن الحكمة في تنكير (أحد) ، تعريف (الصدمة) في قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ { الإخلاص : 1 ، 4 } ، فأجاب بقوله (1) :

أ- أنه نكر للتعظيم وللإشارة إلى أنه غير ممكن تعريفها والإحاطة بها .
ب- في قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ ﴾ ، لفظ (هو) مبتدأ ، ولفظ الجلالة (الله) خبر ، كلاهما معرفة ، فأفاد الحصر في هذه الجملة ، فعرف الجزاء في (الله الصمد) لإفادة الحصر ، ليطباق الجملة الأولى ، واستغني عن تعريف (أحد) لإفادة الحصر دونه ، فأتي به على أصله من التنكير على أنه خبر ثان .

2) تنكير حياة وتعريفها (2) كقوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ { البقرة : 179 } ، فتتكبير لفظ (حياة) أفاد التعظيم ، فالإنسان إذا علم أنه إذا قُتل قُتل ارتدع عن القتل فكان القصاص سبباً في حياة نفسين لذا كان المعنى على وجود حياة مستقبل مضمومة إلى الأصلية ، فامتنع التعريف حتى لا يوهم أن الحياة من أصلها مستفادة من القصاص ، ونرى في مقابل ذلك التنكير التعريف للحياة فتعريفها في آيات أخرى جاء لحكم بيانية وموضوعية ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى : ﴿ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾ { الفجر : 24 } فعرفت الحياة بالإضافة في قوله (لِحَيَاتِي) وأفادت التخصيص ، والهدف منه تقرير حقيقة الحياة الأخرى ، فهي الحياة الخالدة التي تستحق أن يهتم بها الإنسان ، وأطلقت (الحياة) المعرفة على الحياتين : الحياة الدنيا والحياة الآخرة ، وذلك في آية واحدة هي قوله تعالى : ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ { العنكبوت : 64 } ، عرفت الآية الحياة بأل التعريف ، ووصفتها بأنها (الحياة الدنيا) ، وحصرتها بأنها قائمة للهو اللعيب ، أما الدار الآخرة فهي ليست حياة عظيمة فقط وإنما هي دائمة باقية .

(1) انظر : الإتقان ، السيوطي ، جزء 2 ، ص 591

(2) انظر : نظرات في الإعجاز البياني في القرآن ، سامي محمد احريز ، ص (96 - 97)

(3) تعريف الحق وتكثيره (1) : ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى : ﴿ بَغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بَأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ { البقرة : 61 } ، وقوله تعالى : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقْفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بَأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ { آل عمران : 112 } ، فعرف الحق في الأولى ونكره في الثانية ، وذلك أن كلمة الحق المعرفة في آية البقرة تدل على أنهم كانوا يقتلون الأنبياء بغير حق الذي يدعو إلى القتل ، والحق الذي يدعو إلى القتل معروف معلوم ، وأما النكرة فمعناها أنهم كانوا يقتلون الأنبياء بغير حق أصلاً ، لا حق يدعوا إلى قتل ولا غيره .

المطلب الثالث : مناسبة الألفاظ في التقديم والتأخير :

قال السيوطي - رحمه الله - وأما أسباب التقديم وأساراه في الكتاب العزيز عشرة أنواع (2) :

(1) التبرك ، فتقديم اسم الله في الأمور ذات الشأن ، ومنه قوله تعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ { آل عمران : 18 } ، وقوله : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانَ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ { الأنفال : 41 } ، فلفظ الجلالة قدم في الآيتين للتبرك .

(2) التعظيم ، كقوله : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ { النساء : 69 } ، وقوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ { الأحزاب : 56 } ، فقدم لفظ الجلالة في الآيتين للتعظيم .

(3) التشريف ، كتقديم الذكر على الأنثى ، نحو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ

(1) انظر : نظرات في الإعجاز البياني في القرآن ، سامي محمد احريز ، ص 98
(2) انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، السيوطي ، جزء 1 ، ص (131 ، 135)

وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿ { الأحزاب : 35 } ، وقوله : ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ { النحل : 8 } ، قدمت في الآية الأولى كلمة المسلمين وفي الآية الثانية قدمت كلمة الخيل للتشريف .

(4) المناسبة :

أ- وهي إما مناسبة المتقدم لسياق الكلام ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تَرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ { النحل : 6 } فإن الجمال وإن كان ثابتاً حالتي السراح والإراحة إلا أنها حالت إراحتهما ، وهو مجيئها من المرعى ، يكون الجمال بها أفخر . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ { الفرقان : 67 } ، فقدم نفي السرف ؛ لأن السرف يكون في الإنفاق .

ب- وأما مناسبة لفظ هو من التقدم أو التأخر كقوله تعالى : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ { الحديد : 3 } ، وقوله تعالى : ﴿ ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ وَثَلَاثَةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴾ { الواقعة : 39 ، 40 } .

(5) الحث على القيام به حذراً من التهاون ؛ كتقديم الوصية على الدين في قوله تعالى : ﴿ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلَأُمُّهُ الثَّلَاثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلَأُمُّهُ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ { النساء : 11 } ، مع كون أن الدين مقدم عليها شرعاً .

(6) السابق :

أ- في زمن الإيجاد ، كتقديم الليل على النهار ، والظلمات على النور ، والملائكة على البشر ، ومنه قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ { الحج : 75 } .

ب- باعتبار الإنزال ، كقوله تعالى : ﴿ صُحُفٍ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ { الأعلى : 19 } .

(7) السببية ، كتقديم العزيز ؛ لأنه عز فحكم ، ومنه تقديم العبادة على الاستعانة في سورة الفاتحة ؛ لأنها سبب حصول الإعانة ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ { البقرة : 222 } ؛ لأن التوبة سبب للطهارة .

(8) الكثرة ، كقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ { التغابن : 2 } ، فقدم الكافر ؛ لأن الكفار أكثر ، ومنه قوله تعالى : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدُ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ { النور : 2 } ، فقدم الزانية على الزاني ؛ لأن الزنى فيهن أكثر .

(9) الترقى من الأدنى إلى الأعلى ، كقوله تعالى : ﴿ أَلْهَمُّ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبِطُّشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونَ ﴾ { الأعراف : 195 } بدأ بالأدنى لغرض الترقى ، لأن اليد أشرف من الرجل ، والعين أشرف من اليد ، والسمع أشرف من البصر .

(10) التذلي من الأعلى إلى الأدنى ، كقوله تعالى : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ { الأنبياء : 79 } ، كقدم الجبال على الطير ؛ لأن تسخيرها و تسبيحها له أعجب .

المطلب الرابع : مناسبة الألفاظ في الإفراد والجمع :-

قد يرد في القرآن الكريم ألفاظاً تكون تارة بصيغة الجمع ، وتكون تارة بصيغة الإفراد ومن ذلك (1) :

(1) السماء والأرض : فحيث ذكرت الأرض في القرآن جاءت مفردة ، ولم تجمع ، بخلاف السموات ؛ لتقل جمعها وهو أرضون ؛ ولهذا عندما يريد ذكر جميع الأرضين قال : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ { الطلاق : 12 } ، وأما السماء فذكرت تارة بصيغة الجمع ، وتارة بصيغة الإفراد ، فحيث أريد العدد أتى بصيغة الجمع الدالة على سعة العظمة والكثرة ، نحو قوله تعالى : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ { الصف : 1 } ، أي جميع سكانها على كثرتهم ، وحيث أريد الجهة أتى بصيغة الإفراد ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ { الذاريات : 22 } .

(1) انظر : الإتقان ، للسيوطي ، جزء 2 ، ص (595 ، 597)

(2) إفراد سبيل الحق وجمع سبل الباطل ، نحو قوله تعالى : ﴿ أَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ { الأنعام : 153 } ؛ لأن طريق الحق واحدة ، وطرق الباطل متعددة .

(3) إفراد النور جمع الظلمات ، ومنه قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ { البقرة : 257 } ، فالظلمات بمنزلة طرق الباطل وهي متعددة ، والنور بمنزلة طريق الحق وهو واحد .

(4) إفراد الصديق وجمع الشافعين ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾ { الشعراء : 100 ، 101 } ، والحكمة في ذلك قلة الصديق وكثرة الشفعاء في العادة .

(5) مجيء المشرق والمغرب بالإفراد التثنية ، ومنه قوله تعالى : ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾ { الرحمن : 17 } ، حيث ثني اعتباراً لمشرق الصيف والشتاء ومغربهما . ومنه قوله تعالى : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴾ { المعارج : 40 } ، حيث جمع اعتباراً لتعدد المطالع في كل فصل من فصلي السنة .

(6) إفراد السمع وجمع البصر ، ومنه قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ { الملك : 23 } ، لأن متعلق السمع الأصوات وهي حقيقة واحدة ، ومتعلق البصر الألوان والأكوان ، وهي حقائق مختلفة .

المبحث الخامس

الكلمة القرآنية وخصائصها والقيم التي تعطيها

المطلب الأول : الكلمة القرآنية وخصائصها

أولاً: الكلمة القرآنية وحسن اختيارها :-

إن تذوق الكلمة العذبة ووضعها في أي تعبير جميل هو فطرة في النفوس ، يشعر به كل صاحب ذوق سليم فلو تدبرنا القرآن الكريم لوقفنا على مدى عناية القرآن الكريم في باللفظة المستعملة فيه ، فقد يختار الكلمة ويهمل مرادفها الذي يشترك معها في بعض الدلالة ، وقد يفضل كلمة على أخرى يقول ابن الأثير : " ألا ترى أن السمع يستلذ صوت البلبل ، يميل إليه ، ويكره صوت الغراب ، وينفر منه ؟ والألفاظ على المجرى ، فلفظ (المزنة) أو (الديمه) حسنة ، يستلذها السمع ، ومألوفة الاستعمال ، فهي فصيحة ، ولفظة (البعاق) يكرهها السمع ، وهي نادرة الاستعمال ، مع أن الألفاظ الثلاثة من صفات المطر ولذلك وجدنا العرب في عصورهم الأولى يقيمون وزناً للكلمة ، ويجهدون أنفسهم في اختيار الكلمة والبحث عنها ، فقد كانوا في الجاهلية يدركون ما للكلمة من شأن ومن الأمثلة على ذلك :

ما يروى عن حسان بن ثابت أنه أنشد (1) :

لنا الجففات الغر يلمعن في الضحى
وأسيافنا يقطرن من نجدة دماً
ولدنا بني العنقاء وابني محرق
فأكرم بنا خالاً وأكرم بنا ابناً
فقال له النابغة : " أنت شاعر ، ولكنك أقللت أجفانك وأسيافك ، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن أنجبك . وفي رواية : قال : " لو قلت (يسطعن في الدجى) ولو قلت (يجرين من نجدة دماً) لكان أولى (2) .

(1) انظر : إعجاز القرآن ، فضل عباس ، ص 148 . منشورات جامعة القدس المفتوحة

(2) انظر : المرجع السابق ، ص 148 .

وأما في العصر الإسلامي فنجد ذلك واضحاً : فقد روي عن أفصح الخلق جميعاً محمد

-^{صلى الله عليه وسلم}- معلماً لأصحابه - رضوان الله عليهم - ولمن بعدهم ، مكانة الكلمة

فعن هشام عن أبيه عن عائشة - رضي الله عنها - عن النبي -^{صلى الله عليه وسلم}- قال : " لا يقل أحدكم خبثت نفسي ، ولكن ليقل لقتت (1) نفسي " (2) .

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله -^{صلى الله عليه وسلم}- : إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل : اللهم أسلمت وجهي إليك ، وفوضت أمري إليك ، وأجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك ، لاملجأ ولا منجأ منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ، ونبيك الذي أرسلت فإن مت مت على الفطرة ، فاجعلهن آخر ما تقول ، فقلت : أستذكرهن ، وبرسولك الذي أرسلت قال : لا ونبيك الذي أرسلت (3) .

فالذوق السليم يجد فرقاً بين الكلمة الجيدة وغيرها فقال ابن الأثير : " ومن يبلغ جهله إلى أن لا يفرق بين لفظة (الغصن) ولفظة (العسلوج) وبين لفظة (المدامة) ولفظة (الأسفنت) (4) وبين لفظة (السيف) ولفظة (الخنثليل) وبين لفظة (الأسد) ولفظة (الفدوكس) ، فلا ينبغي أن يخاطب ، ولا يجاب بجواب ، بل يترك وشأنه " (5) .

ثانياً : أقوال العلماء في خصائص الكلمة القرآنية :

1- **الجاحظ** : وقد بين أهمية الكلمة القرآنية بقوله : " وقد يستخف الناس ألفاظاً ويستعملونها ، وغيرها أحق بذلك منها ، ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع ، إلا في موضع العقاب ، أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر ، والناس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة ، وكذلك ذكر المطر ؛ لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام ، والعامّة وأكثر الخاصة يفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث ، ولفظ القرآن الذي عليه نزل أنه

(1) لقتت : بمعنى عثت ، جاء في لسان العرب أن اللقس يعني الغثيان ، أنظر لسان العرب ، مجلد 13 ، ص 221 .

(2) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، مجلد 10 ، ص 563 ، حديث (6179) كتاب الأدب ، باب : لا يقل خبثت نفسي ، دار المعرفة ، بيروت .

(3) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، مجلد 11 ، ص 109 ، حديث (6311) ، كتاب الدعوات ، باب إذا بات طاهراً

(4) هو اسم من أسماء الخمر ، لسان العرب ، مجلد 1 ، ص 106 .

(5) انظر : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن عبد الكريم ابن الأثير ، مجلد 1 ص 149 ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1995 م .

ذكر الأبصار لم يقل الأسماع ، وإذا ذكر سبع سماوات لم يقل الأرضين ، ألا ترى أنه لا تجمع الأرض على أرضين ، ولا السمع أسماعاً والجاري على أفواه العامة غير ذلك ، لا يتفقدون من الألفاظ ما هو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال " (1).

2- **الخطابي** : تحدث عن مناسبة الكلمة بقوله : " ثم اعلم أن عمود هذه البلاغة التي تجتمع لها هذه الصفات هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام ، وإما ذهب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة ، ذلك أن في الكلام ألفاظاً متقاربة في المعاني ، يحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب ، كالعلم والمعرفة والحمد ، والشكر ، والبخل والشح ، أو كالنعت والصفة ، أو كقولك : اقعِد واجلس ، وبلى وذلك وذاك " (2) .

3- **الراغب الأصفهاني** في كتاب (المفردات) يقول عن خصائص الكلمة : " فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته ، وواسطته وكرائمه ، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم ، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم ، وما عداها وعدا الألفاظ المتفرعات عنها والمشتقات منها هو بالإضافة إليها كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة ، وكالحثالة والتبن بالإضافة إلى لبوب الحنطة " (3) .

4- **عمر السلمي** تحدث عن ذلك في كتابه (الإعجاز الفني في القرآن) وذكر عدة خصائص منها (4) :

أ- **الدقة في الوضع** :

وهو أن تأتي اللفظة القرآنية في موضعها في الآية ، من غير تقديم ولا تأخير ، كأنما وجدت لهذا المكان ، فأصبح من العسير بل من المستحيل ، أن نستغني عنها بكلمة أخرى ، والغاية من دقة الوضع ، هي الدقة في الوضوح يقول تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ

(1) البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، مجلد 1 ، ص 12 ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(2) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، الخطابي ، ص 29 .

(3) المفردات ، الراغب الأصفهاني ، ص 6

(4) انظر : الإعجاز الفني في القرآن ، عمر السلمي ، ص (72 - 87) نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله ، تونس ، 1980 م

بِوَكِيلٍ {41} ﴿ { الزمر : 41 } فلفظة (بالحق) التي هي نقيض الباطل ، توحى أن أمام الإنسان منفذ واحد ، وكأنه محاط بسدود منيعة بعيداً عن الباطل ، وهذه اللفظة توحى بأن القرآن أنزله الله بالحق ليمثل الحق ، ولو تصورنا هذه اللفظة وقت نزولها ، لأضفى علينا هذا التصور نفسية النبي - ﷺ - وهي تهتر مما تحمله لفظة الحق من صلابة في الحق ، تقابلها صلابة في العقيدة .

ب- الدقة في الاختيار:

أي أن لفظة القرآن مختارة من بين مجموعة من الألفاظ ولا يمكن استبدالها بلفظة أخرى ، فهي اتسمت بسمة خاصة كالسلاسة أو الرشاقة ، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ { العنكبوت : 58 } فلفظة (لَنُبَوِّئَنَّهُمْ) لفظة مختارة ، قوية جرسها ، وما تملكه من إحياء ، ولقد اختيرت دون الألفاظ الأخرى ، لتوحى بأنه حق على الله - تعالى الله عن ذلك - أن يبوء المؤمنين من الجنة غرفا . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا فَمَا كُنَّا بِلِلَّهِ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَاهِدًا ﴾ { النساء : 72 } إن لفظة (ليبطئن) ونطقها وجرسها لتوحى إلى الأذهان صورة البطء وثقلها في حركاتها ، ولد أبداع سيد قطب في تحليلها بقوله : " ولفظة (ليبطئن) مختارة هنا بكل ما فيها من ثقل وتعثر في حروفها وجرسها حتى يأتي على آخرها ، وهو يشدها شدا ، وأنها لتصور الحركة النفسية المصاحبة لها تصويراً كاملاً بهذا التعثر والتناقل في جرسها .

ت- الدقة في الوصف :

ما تحمله اللفظة القرآنية من دقة في وصف الأشياء ، فالقرآن الكريم ، يصف الرسول وأصحابه بأنه أشداء على الكفار رحماء بينهم ، فجاءت الآية القرآنية في غاية الدقة واصفة ذلك في قوله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ﴾ { الفتح : 29 } إن ما تحمله لفظتا (أشداء ورحماء) من دقة في الوصف ، لتنتقل نفسية صحابة رسول الله - ﷺ - وعلاقتهم مع بعضهم البعض ، فلفظة (رحماء) وما تحمله من جرس قوي معبراً عن مدى عظم الرحمة والتعاطف والألفة والأخوة ، وتوحى لفظة (أشداء) وهي تحمل نفساً شديداً في صيغتها وحروفها ، مدى صلابة النبي - ﷺ - وصحابته وشدة موقفهم الموحد أمام أعداء الله . إن في دقة

الوصف تقريب المعاني القرآنية إلي مداركنا البشرية الفاصرة بالأوصاف الحسية كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴾ { فصلت : 51 } ، فعريض لفظة حسية وهي بمعنى واسع وإن كان العرض يقع في الأجسام والدعاء ليس بجسم ، وكان يمكن أن تقوم مقامه ألفاظ أخرى كواسع وكثير ، إلا أن وصف الدعاء بعريض يفيد دقة في الوصف ، وصورة عريضة للإنسان الذي مسه الشر ، فيفر إلى خالقه متضرعاً ، وبذلك يمس وجداننا من أوسع منافذه ، فالصفات التي تتحلى بها ألفاظ القرآن نتيجة الدقة في وصفها ، تضي عليها رونق الجمال ، وعمق المعاني .

ث- الدقة في المعنى :

وهي ناتجة من الدقة في الوضع والاختيار والوصف ، وإن اللفظ يحمل معنى دقيقاً ، وهذه الدقة تسود القرآن كله ، ولكنها تحتاج إلى شيء من التدبر والإمعان ، ونلمس هذا في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِن فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ { النمل : 86 } إن دقة معنى (ليسكنوا) يتمثل في أن الإنسان بعد التعب في النهار ، يستسلم إلى هدوء الليل ، ليسكن فيه ، ويجد فيه راحة النفس ، وكأنه في ذلك ، يحقق لنفسه السكينة بعد التعب والعناء ، كذلك فإن لفظة (مبصراً) تضع النهار أجلى مما نعهده يومياً .

ج- الدقة في التناسق :

حيث تتداعى المعاني بتسلسل منطقي ، ويحصل هذا التداعي عند الوقوف على الألفاظ والمعاني وتحليلها ، كما في قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ { محمد : 28 } إن إتباعهم لما أسخط الله والذي يمثله لفظتان : (أسخط) و (كرهوا) ، يناسبه حبط في الأعمال ، إنه تناسق عجيب قي المعنى ، ثم إننا نلمس دقة التناسق في العبارة ، متسلسلاً منطقياً في قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ { 29 } { الفتح : 29 } { إن لكل من هذه الألفاظ (شطأه) و(فآزره) و (فاستغلظ) تؤدي معنى قائماً بذاته ، وإن هذا المعنى لم يكتمل حد ذاته إلا بعد استغراقه مدة زمنية وبعد إنتهاء المدة يأخذ شكلاً جديداً ، ففترة الزرع تبتدى بأن يشطأ ، ويكتمل بأن يستوي على سوقه فيعجب ثم ينهار ..

5- **فضل عباس** :حيث قال : " مما تتميز به الألفاظ القرآنية وجود الغريب فيها : وليس المقصود بالغريب في القرآن ما كانت ألفاظه غير ظاهرة في معناها ، ولكن الغريب في كتاب الله ، هو الذي إذا سمعه السامع تشوق لمعرفة معناه⁽¹⁾ ، ومن هذا ما روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : ما كنت أدري ما فاطر السماوات والأرض حتى جاء أعربيان يختصمان في بئر قال أحدهما : أنا فطرتها"⁽²⁾ .

المطلب الثاني: القيم التي تعطيها الكلمة القرآنية

الكلمة أصل الدقة في التعبير والوضوح في المعنى ، والصدق في الدلالة ، اختيار الكلمة الخاصة بالمعنى إبداع ، لأن الكلمة إذا جاءت مناسبة في موضعها دلت على المعنى كله ، وإذا أقحمت إقحاماً دلت على بعض المعنى .

لذلك فإن للكلمة قيم كثيرة :

أولاً : القيم البيانية للكلمة :-

تظهر القيم البيانية في كلمات القرآن الكريم ، فتجد لفظ من ألفاظ القرآن الكريم في موضع معرّفاً وتجده نفسه نكرة في موضع آخر ، وذلك له أسرار يقول : الدكتور عبد الفتاح لاشين : " وهكذا نجد أن التعبير القرآني إذا وضع اسماً معرفة في مكان ، أو نكرة في موضع ، فإنما يكون ذلك لحكمة يعلمها الله وسر تقتضيه اللغة ، وهدف يقصده في المعنى ، ولو حاولنا وضع أحدهما مكان الآخر ، لاختل التناسق في الآية ، وزال الانسجام المطلوب في التركيب " ⁽³⁾، و قد رأينا ما للكلمة من قيمة بيانية في المبحث السابق ⁽⁴⁾.

(1) إعجاز القرآن ، فضل عباس ، ص152 ، منشورات جامعة القدس المفتوحة.

(2) الإتقان ، السبوطي ، جزء2 ، ص344.

(3) من أسرار التعبير في القرآن صفاء الكلمة ، الدكتور عبد الفتاح لاشين ، ص 43 ، دار المريخ ، الرياض ، 1983 م .

(4) انظر : ص 71 وما بعدها من الرسالة

ثانياً : القيم العلمية والتاريخية والاقتصادية للكلمة القرآنية :-

إن اختيار الكلمة القرآنية مع ما لها من قيمة بيانية ، نجد فيها قيمة كثيرة قد تكون :

1- قيم علمية⁽¹⁾ :

أ- ومنه قوله تعالى : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴾ {التكوير: 1، 2} .
ب- ومنه قوله تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ﴾ { الانفطار : 1، 2} ، فقد استعمل القرآن كلمتين اثنتين ، فجانبا النجوم ذكر الانكدار ، وجانبا الكواكب ذكر الإنتثار ، ولما كانت النجوم مضيئة كانت الكلمة التي تناسبها الإنتكار ، ولما كانت الكواكب كانت الكلمة التي تناسبها الإنتثار ؛ لأنها تنتثر أجزاءها .

ج- قال تعالى : ﴿ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴾ { الصافات : 97} ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ بُيُوتًا مَرصُوصًا ﴾ {الصف : 4} ، جاء كلمة بنياناً في الآيتين السابقتين ، وأما كلمة بناء فجاءت في قوله تعالى : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ { البقرة: 22} ، فكلمة بنيان جاءت في ما يعرفه الناس ، فهم يبنون بيوتهم بطرق معلومة ، حيث يضعون الحجارة بعضها فوق بعض ، وعندما كان الحديث عن السماء استخدم كلمة البناء ، فبنيان الأرض له قواعده وأسسها ، والأجرام السماوية تختلف اختلافاً تاماً ، فبناؤها ليس باللبنات ، ولا الحجارة ، ولكن بما أودعه الله في هذا الكون من قوانين الجاذبية .

2- القيم التاريخية:

ففي سياق الحديث عن أهل الكتاب قال تعالى : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ { المائدة : 14} ، وقال تعالى : ﴿ كَيْفَ يَشَاءُ وَلْيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ { المائدة : 64} ، جاءت كلمة الإغراء حديثاً عن النصارى ، أما كلمة

(1) انظر : إعجاز القرآن الكريم ، فضل عباس ، ص 171 .

الإلقاء فجاءت في سياق الحديث عن اليهود ، لقد حدثنا التاريخ أن العداء بين الأمم النصرانية مستحکم ، ومن رجع إلى التاريخ وقف على الحروب الطاحنة بين الشعوب الأوروبية والطائفة النصرانية ، وقد كان آخرها الحرب العالمية الثانية ، وعندما تحدث عن اليهود استخدم كلمة الإلقاء ، فنحن نعلم أن ما بين اليهود من العداوة لم تصل إلى ما هي عليه عند النصارى (1) .

3- القيم الاقتصادية :

منه قوله تعالى : ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ { النساء : 5 } ، ففي هذه الآية كان الحديث عن الرزق والكسوة وهما من القيم الاقتصادية للكلمة القرآن (2)

(1) انظر : إجاز القرآن الكريم ، فضل عباس ، ص (191 ، 192)
(2) انظر : المرجع السابق ، ص 171 .

الفصل الثاني

الفاصلة في القرآن الكريم

ويشتمل على النقاط التالية :

بين يدي الفصل : ترتيب الآيات والسور في القرآن الكريم

المبحث الأول : الفاصلة القرآنية وأنوعها وأسرارها ، وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الفاصلة القرآنية لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني : أنواع الفواصل في القرآن الكريم

المطلب الثالث : علاقة الفاصلة بسياقها أنواع

المطلب الرابع : الفاصلة القرآنية وعلم المناسبة

المطلب الخامس: من أسرار المغايرة في نسق الفاصلة القرآنية

المبحث الثاني : طرق معرفة الفواصل القرآنية وفوائد العلم بها ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : طرق معرفة الفواصل القرآنية

المطلب الثاني : فوائد معرفة علم الفواصل

المبحث الثالث : دعوى السجع والترادف والتكرار في الفاصلة القرآنية ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول :دعوى السجع في الفاصلة القرآنية

المطلب الثاني : دعوى الترادف في الفاصلة القرآنية

المطلب الثالث :دعوى التكرار في الفاصلة القرآنية

المبحث الرابع : أشهر من كتب حول الفاصلة القرآنية وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الفاصلة القرآنية عند العلماء القدامى

المطلب الثاني : الفاصلة القرآنية عند العلماء المحدثين

الفصل الثاني

الفاصلة في القرآن الكريم

بين يدي الفصل

ترتيب الآيات والسور في القرآن الكريم

أولاً : معنى الآية لغة واصطلاحاً :-

1- الآية لغةً : الآية : بمعنى العلامة ، ومنه آية القرآن ؛ لأنها جماعة حروف⁽¹⁾.

2- وتطلق الآية في القرآن على معانٍ متعددة⁽²⁾ :

أ- تطلق الآية ويراد منها العلامة ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ { البقرة : 248 } ، أي علامة ملكه .

ب- ويراد منها المعجزة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ { الإسراء : 59 } ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ { غافر : 78 } .

ج- العبرة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ { النحل : 11 } .

د- الأمر العجيب ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ { المؤمنون : 50 } .

هـ- الدليل ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾ { المؤمنون : 50 } .

(1) انظر : معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس ، مجلد 5 ، ص 183 .

(2) انظر : مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد الزرقاني ، مجلد 1 ، ص 339 .

3- الآية اصطلاحاً :

أ- طائفة من القرآن ذات مبدأ ومنتهى مندرجة في سورة ، تسمى آخرها فاصلة⁽¹⁾.

ب- هي الجملة من كلام الله المندرجة في سورة من القرآن⁽²⁾ .

4- سبب الاختلاف في عد الآيات :

كان النبي ﷺ - يقف في قراءته غالباً عند رؤوس الآيات ، فتعلم منه الصحابة - رضوان الله عليهم - ، ولكنه ﷺ - كان يقف أحياناً على غير رأس الآية لبيان الجواز ، فيعتقد بعض الصحابة أن هذه الكلمة التي وقف عليها النبي ﷺ - هي رأس الآية ، وهناك سبب آخر أشار إليه الزركشي في كتابه وهو اختلاف العلماء في عد البسمة أهي آية أم لا ؟⁽³⁾

ثانياً: تعريف السورة لغة واصطلاحاً :

1- لغةً : سور : يدل على علو وارتفاع ، والسور : جمع سورة ، وهي كل منزلة من البناء⁽⁴⁾ .

ويرى بعض العلماء أن الواو في كلمة السورة منقلبة عن همزة ، وأكثر العلماء على أن الواو أصلية ، فإن كانت منقلبة عن همزة فهي من السور : وهو ما بقي من الشراب ، وعلى هذا سميت السورة بذلك لأنها قطعة من القرآن ، وأما إن كانت الواو أصلية فإما أن تكون مأخوذة من سور البناء وهو المنزلة ، وعليه فالسورة هي منزلة من منازل القرآن الكريم ، وإما من سور المدينة المحيط بها ، وعلى هذا سميت السورة كذلك لإحاطتها بآياتها⁽⁵⁾ .

2- السورة اصطلاحاً :

أ) " هي طائفة من القرآن لها بداية ونهاية ، واسم خاص بها يميزها عن غيرها بتوقيف من النبي ﷺ - " ⁽⁶⁾.

(1) انظر : مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد الزرقاني ،، مجلد 1 ص 430 .

(2) مباحث في علوم القرآن ، القطان ، ص 140

(3) انظر : البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، مجلد 1 ، ص 222 .

(4) انظر : معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس ، مجلد 3 ، ص 115

(5) المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ، ص 248 .

(6) البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، مجلد 1 ، ص 443 .

ب) " هي الجملة من آيات القرآن ذات المطلع والمقطع " (1) . .

3- عدد السور في القرآن :

أجمع العلماء المسلمون على أن عدد سور القرآن مائة وأربع عشرة سورة ، تبدأ بسورة الفاتحة وتنتهي بسورة الناس (2) .

4- الحكمة من تسوير القرآن الكريم :-

عندما كان القرآن الكريم سوراً متعددة كان ذلك دليلاً واضحاً على أنه الكتاب الذي أنزله الله تعالى على نبيه - ﷺ - ، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، فكان هدف القرآن تربية المجتمع المسلم ، وهذه التربية لا تكون دانية القطوف ، كثيرة الثمر ، إلا إذا كان القرآن الكريم سوراً متعددة ، وكان لكل سورة منه شخصيتها وموضوعها ، فإذا كان كذلك كان الإنسان أكثر نشاطاً وإقبالاً على كتاب الله وهو ينتقل فيه من سورة إلى أخرى .

أهم الحكم التي ذكرها العلماء من تسوير القرآن الكريم (3) :

أ- التيسير على الناس وتشويقهم إلى مدارس القرآن وحفظه ؛ لأنه لو كان سبيكة واحدة لصعب عليهم حفظه .

ب- أن يكون لكل سورة ملامحها وموضوعها وخصائصها ومزاياها .

ج- الإشارة إلى أن كل سورة من كتاب الله معجزة بذاتها ، طويلة كانت أم قصيرة .

5- أقسام سور القرآن :-

لقد قسم العلماء سور القرآن الكريم من حيث طولها وقصرها إلى أربعة أقسام(4) :

أ- الطوال : وهي سبع سور : البقرة ، آل عمران ، النساء ، المائدة ، الأنعام ، الأعراف ، وقد أجمعوا على هذه السور الست واختلفوا في السابعة فرأى بعضهم أنها الأنفال وبراءة معاً ، وقال بعضهم سورة يونس ، وكلا القولين غير مقبول ، أما القول الأول فلأن الأنفال وبراءة سورتان ، وعليه فتكون الطوال ثمانية لا سبعة .
وأما الثاني فلأن سورة يونس يشبهها كثير من السور في طولها .

(1) مباحث في علوم القرآن ، القطان ، ص 140 .

(2) انظر : البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، مجلد 1 ، ص 443 .

(3) انظر : مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد الزرقاني ، مجلد 1 ، ص 351 .

(4) انظر : مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان ، ص 130 .

- ب- المئون : وهو ما زاد مائة آية.
- ج- المثاني : وهي مادون المئين .
- د- المفصل : وسمي بذلك لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة ، واختلفوا في تحديد أوله :
- فقيل يبدأ بسورة ق ، وقيل الحجرات وقيل محمد . وينقسم المفصل إلى ثلاثة أقسام :
- أ) طوال المفصل : ويبدأ من سورة ق أو الحجرات إلى البروج .
- ب) الأوسط : يبدأ من سورة البروج إلى البينة .
- ج) القصار ويبدأ من البينة ، الناس .

المبحث الأول

الفاصلة القرآنية وأنواعها وأسرارها

المطلب الأول : تعريف الفاصلة القرآنية لغةً واصطلاحاً :

أولاً: تعريف الفاصلة لغةً :-

من الفعل فصل وجمعها فواصل ، مؤنث الفاصل ، وهي الخرزة تفصل بين الخرزتين في العقد (1) .

الفصل : الحاجز بين الشئين فصل بينهما يفصل فصلاً فانفصل ، وفصلت الشيء فانفصل أي قطعته.

والفاصلة : الخرزة التي تفصل بين الخرزتين في النظام ، والفصل : القضاء بين الحق والباطل (2).

ثانياً : الفاصلة اصطلاحاً :-

1- الرماني :

حيث عرف الفاصلة بقوله : " الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني " (3).

2- الزركشي :

عرفها بقوله : " هي كلمة آخر الآية " (4).

3- الدكتور فضل عباس:

حيث قال : " يقصد بالفاصلة القرآنية ذلك اللفظ الذي ختمت به الآية " (5)

4- مناع القطان :

ونعني بالفاصلة الكلام المنفصل مما بعده ، وقد يكون رأس آية وقد لا يكون ، تقع الفاصلة عند نهاية المنقطع الخطابي ، سميت بذلك لأن الكلام ينفصل عنده (6) .

(1) انظر : المنجد في اللغة والأعلام ، مادة فصل ، ص 585 ، الطبعة (28) ، 1986 م ، دار المشرق ، بيروت - لبنان .

(2) انظر : لسان العرب ، ابن منظور ، مجلد 11 ، ص (188 ، 189)

(3) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ص 97 .

(4) البرهان ، الزركشي ، جزء 1 ، ص 53 .

(5) إعجاز القرآن الكريم ، فضل عباس ، ص 225

(6) مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان ، ص 136

يتضح من التعريفات السابقة أن الفاصلة القرآنية هي كلمة آخر الآية ، ووفي وجهة نظرنا أن الفاصلة تشمل أكثر من ذلك فقد تكون كلمة آخر الآية أو جملة آخر الآية ، لذلك فتعريف الفاصلة القرآنية في وجهة نظري هو : جملة آخر الآية.

المطلب الثاني : أنواع الفواصل في القرآن الكريم : -

أولاً : الفواصل المتماثلة ، كقوله تعالى : ﴿ وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴾ { الطور : 1- 4 } ، فالكلمات : الطور ، مسطور ، منشور ، المعمور ، تنتهي بفاصلة واحدة وهو حرف الراء ، وقوله تعالى : ﴿ وَالْفَجْرِ وَيَالِ عَشْرِ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ { الفجر : 1- 4 } ، وقوله تعالى : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُفِ الْجَوَارِ الْكُنَسِ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ { التكوير : 15- 18 } ،⁽¹⁾

وقد استقلت الفواصل المتماثلة بإحدى عشرة من سور المفصل (السور القصار) - ومعظمها مكّي - هي :

- 1 - سور (القمر - القدر - العصر - الكوثر -) التي تماثلت فواصلها في حرف الراء .
- 2 - سورتا (الأعلى - الليل) اللتان تماثلت فواصلهما في حرف الألف المقصورة .

- 3 - سورة (الشمس) التي على فواصل الألف الممدودة بعدها الضمير (ها) .
- 4 - سورة (الإخلاص) التي على الدال .
- 5 - سورة (الناس) التي على السين .
- 6 - سورة (المنافقون) التي على النون .
- 7 - سورة (الفيل) التي على اللام .

ثانياً : الفواصل المتقابلة في الحروف: كقوله تعالى ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ { الفاتحة : 3 ، 4 } ، للتقارب بين الميم والنون في المقطع ، قوله : ﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ { ق : 1- 2 } ، تقارب مقطعي الدال والباء⁽²⁾ .

(1) انظر : مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص 138.

(2) انظر : البرهان ، الزركشي ، جزء 1 ، ص 74.

ثالثاً: المتوازي : وهو أن تتفق الكلمتان في الوزن والحرف ، كقوله تعالى : ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴾ { الغاشية 13 ، 14 } ، فقد اتفقت الكلمتان مرفوعة ، وموضوعة في الوزن والحرف (1) .

رابعاً: المتوازن : وهو أن يراعى في مقاطع الكلام الوزن فقط ، كقوله تعالى : ﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرَابِيُّ مَبْتُوثَةٌ ﴾ { الغاشية 15 ، 16 } ، فقد إنفقت الكلمتان مصفوفة مبنوثة في الوزن (2) .

وقد يراعى في الفواصل الألف المدية كقوله تعالى : ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾ { الأحزاب: 10 } بالحاق الألف ، لأن مقاطع فواصل هذه السورة ألفات منقلبة عن تتوين في الوقف ، فزيد على النون ألف لتساوي المقاطع . وتناسب نهايات الفواصل؛ أو حذف حرف ، كقوله تعالى : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرُّ ﴾ { الفجر : 4 } بحذف الياء للتخفيف ، لأن مقاطع الفواصل السابقة واللاحقة بالراء ، أو تأخير ما حقه التقديم لنكته بلاغية أخرى كتشويق النفس إلى الفاعل في قوله تعالى : ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى ﴾ { طه : 67 } ، لأن الأصل في الكلام أن يتصل الفعل بفاعله ويؤخر المفعول ، لكن أخر الفاعل هذا وهو (موسى) للنكته البلاغية السابقة . (3) .

المطلب الثالث: علاقة الفاصلة بسياقها أنواع :-

لعلاقة (الفاصلة) بسياقها أنواع : علاقتها بقريبتها (أو الآية) التي وردت فيها ، أو المقطع أو السورة ، أو حتى الجزء الواحد من القرآن ، وبمجموع القرآن الكريم . أما علاقة الفاصلة بقريبتها ، فقد أطلق عليه العلماء : انتلاف الفواصل مع ما يدل عليه الكلام . قال الزركشي : " اعلم أن من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره ، وإيقاع الشيء بما يشاكله . فلا بد أن تكون المناسبة للمعنى المذكور أولاً ، وإلا خرج بعض الكلام عن بعض . وفواصل القرآن العظيم لا تخرج عن ذلك . لكن منه ما يظهر ، ومنه ما يُستخرج بالتأمل للبيب " (4) .

وقد حصروا هذا (الانتلاف) في أربعة أشياء ، هي : التمكين ، والتوشيح ، والإيغال ، والتصدير . الفرق بينها أنه إن كان تقدم لفظها بعينه في أول الآية سمّي تصديراً ،

(1) انظر : الإتقان ، السيوطي ، جزء 3 ، ص 263 .

(2) انظر : البرهان ، الزركشي ، جزء 1 ، ص 76 .

(3) انظر : المرجع السابق ، ص (60 ، 61)

(4) انظر : المرجع السابق ، ص 78 .

وإن كان في أثناء الصدر سمّي توشيحاً ، وإن أفادت معنى زائداً بعد تمام معنى الكلام سمّي إيغالاً ، وربما اختلط التوشيح بالتصدير لكون كل منهما ، صدره يدل على عجزه . والفرق بينهما أن دلالة التصدير لفظية ، ودلالة التوشيح معنوية وهذا تفصيل لذلك :

(أ) التمكين : هو أن يمهد قبل الفاصلة تمهيداً تأتي به الفاصلة ممكنة في مكانها ، مستقرة في قرارها ، مطمئنة في موضعها ، غير نافرة ولا قلقة ، متعلقاً معناها بمعنى الكلام كله تعلقاً تاماً ، بحيث لو طُرحت اختل المعنى ، واضطرب الفهم . مثل الخبر الذي أخرجه ابن أبي حاتم عن طريق الشعبي عن زيد بن ثابت قال : **أَمَلَى عَلِيٌّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ {المؤمنون : 12-14} ، وهنا قال معاذ بن جبل : ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له معاذ : مَمَّ ضحكت يا رسول الله ؟ قال : بها ختمت . (1)**

(ب) والتصدير : هو أن تكون لفظة الفاصلة بعينها تقدمت في أول الآية ، ويسمى (رد العجز على الصدر) ، وقيل هو ثلاثة أقسام :

- الأول : توافق آخر آية وآخر كلمة في الصدر ، نحو قوله تعالى : ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ {النساء : 166} .

- الثاني : أن يوافق أول كلمة منه نحو : ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ { آل عمران : 8} .

- الثالث : أن يوافق بعض كلماته ، نحو : ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكُمْ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ { الأنعام : 10} (2) .

(ج) التوشيح : سمّي بهذا الاسم لأن الكلام نفسه يدل على آخره ، نزل المعنى منزلة الوشاح ، ونزل أول الكلام وآخره منزلة العاتق والكشح (3) ، اللذين يجول عليهما

(1) انظر : الإقتان ، السيوطي ، جزء 3 ، ص 256 .

(2) انظر : المرجع السابق ، جزء 3 ، ص 262 .

(3) الكشح : تعني الخصر . العاتق : هو ما بين المنكب والعنق من الإنسان انظر : المعجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، مجلد 4 ص 222 .

الوشاح ، ولهذا قيل فيه : إن الفاصلة تُعلم قبل ذكرها . وسمّاه بعض العلماء (المَطْمَع) ، لأن صدره مطمع في عجزه . قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ { آل عمران : 33 } ، فإن اصطفاء المذكورين يُعلم منه الفاصلة ، إذ المذكورون نوع من جنس العالمين . وقوله : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلَمُونَ ﴾ { يس : 37 } ، فإنه من كان حافظاً لهذه السورة ، مُتَبَقِّظاً إلى أن مقاطع فواصلها النون المردوفة ، وسمع في صدر هذه الآية : (وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ) علم أن الفاصلة (مُظْلَمُونَ) ، فإن من انسلخ النهار عن ليله أظلم ما دامت تلك الحال (1) .

(د) الإيغال : سمّي بذلك ، لأن المتكلم قد تجاوز المعنى الذي هو أخذ فيه ، وبلغ إلى زيادة على الحدّ ، كقوله تعالى : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ { المائدة : 50 } ، فإن الكلام قد تمّ بقوله : ﴿ ومن أحسن من الله حكماً ﴾ ثم احتاج إلى فاصلة تناسب القرينة الأولى ، فلما أتى بها أفاد معنى زائداً(2) ..

المطلب الرابع : الفاصلة القرآنية وعلم المناسبة :- أولاً : تناسب الفاصلة :

من أهم الخصائص التي تميز القرآن عن كل كلامٍ بليغ أنه يجمع بين الوفاء بحق المعنى في أقل الألفاظ في أجمل التعبير ، وأنه استمر على ذلك من أوله إلى آخره ، وتأتي الفاصلة التي هي جزء من الآية جامعة بين محاسن الصياغة وبلاغة المعنى بإحكام ، ولا يجوز أن يقال أن القرآن يختار الكلمة أو الأسلوب أو العبارة لتناسب الفواصل وحده ، ولا لبلاغة المعنى وحدها ، بل الذي يليق بكماله أن يقال : إنه يختار ما يختار من ذلك لأنه الأبلغ في موضعه ، والأوفق في نسقه (3) .

وقال الزركشي : " اعلم من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره ، وإيقاع الشيء فيها بما يشاكله ، فلا بد أن تكون مناسبة للمعنى المذكور أولاً

(1) انظر : البرهان ، الزركشي ، جزء 1 ، ص 95 .

(2) المرجع السابق ، جزء 3 ، ص 187 .

(3) التناسب البياني في القرآن دراسة في النظم المعنوي والصوتي ، أحمد أبو زيد ، ص : 369 ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ، سلسلة رسائل واطروحات ، رقم 19 .

، وإلا خرج بعض الكلام عن بعض ، وفواصل القرآن العظيم لا تخرج عن ذلك ، لكن منه ما يظهر، ومنه يستخرج بالتأمل للبيب " (1).

وقال الدكتور أحمد أبو زيد: " وإن الفاصلة القرآنية تأتي متمكنة في موقعها ، مستقرة في مكانها ، يتعلق معناها بمعنى الآية بحيث لو طرحت أو غيرت لاختل المعنى وفسد النظم ، لأنها لم تكن مجرد حلية لفظية ، بل جزء أصيل من البناء المحكم للعبارة ، إن هي حجر الزاوية في ذلك البناء (2).

والذي يهمنا الآن هو أن نوضح بالأمثلة كيف يجمع القرآن في فواصله بين الوفاء بحق المعنى وتناسب الفواصل بطريقة محكمة:

1) قال تعالى : ﴿ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴾ {النازعات : 25} ، فقدم نكال الآخرة على نكال الأولى ، وفيه تقديم التأخر زمنياً .

وقد قدمه لأنه أشد وأبقى ، وهو النكال الحقيقي الذي يأخذ الطغاة والعصاة ، ولأنه الأنسب للسياق الذي يتحدث عن الآخرة ويجعلها موضعه الرئيس ، ولأنه يتسق لفظياً مع الإيقاع الموسيقي في الفاصلة ، بعد اتساقه معنوياً مع الموضوع (3).

2) وفي سورة العنكبوت تقرأ الآيات ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ {العنكبوت : 41} ، وبعد هذه الآية تقرأ قول الله ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَاسٍ لِمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ {العنكبوت : 43} وفكر فيما عرفه الناس من أمر العنكبوت اليوم ، من حيث قوة خيوطه ، ومن حيث الفوضى الأسرية والتمزق العائلي ، فالفوضى التي تدب في بيت العنكبوت لا مثيل لها البتة في بيت آخر ، أليس أمر العنكبوت يحتاج إلى علم ، { وما يعقلها إلا العالمون } فانظر كيف ختمت الفاصلة بذكر العالمين ، لأن قضية العنكبوت لا يدركها إلا أولئك (4) .

3) قال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾ {26} أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ {السجدة : 26 ، 27} فقد تحدثت الآية الأولى عن القرون المهلكة ، فهو حديث عن التاريخ وتحدثت الآية

(1) البرهان في علوم القرآن للزركشي ، مجلد : 1 ، ص 78 .

(2) التناسب البياني في القرآن دراسة في النظم المعنوي والصوتي ، أحمد أبو زيد ، ص : 369

(3) انظر : المرجع السابق ، ص (370-371) .

(4) انظر : إعجاز القرآن الكريم ، للدكتور فضل عباس ، ص: 228 .

الثانية عما يشاهدونه على هذه الأرض ، كيف ينزل عليها الماء فتتبت الزرع ، فأمر التاريخ يسمع سماعاً مناسباً أن تختم الآية بقوله تعالى : { أفلا يسمعون } . وأمر الزرع يبصرونه إبصاراً مناسباً أن تختم الآية بقوله تعالى : " أفلا يبصرون " ، { السجدة : 27 } ، (1).

4) قال تعالى : ﴿ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ { المائدة : 7 ، 8 } ، تحدثت الآية الأولى عن الميثاق الذي أخذه الله عليهم ، وهو أن يتقوه ويعبدوه ، وهي تتعلق بما في القلوب ، فناسب أن تختم بقوله تعالى : { إن الله عليم بذات الصدور } أما الثانية فقد أمر فيها المؤمنين بالعدل مع أعدائهم ، وتلك قضية ظاهرة يطلع عليها الناس ، فناسب أن تختم بقوله تعالى : { خبير بما تعملون } (2) .

5) ولقد نبه الزمخشري ، إلى ما في قوله سبحانه ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ {11} أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ { البقرة : 11 ، 12 } ، ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ { البقرة : 13 } .

فلما كانت الآية الأولى تتحدث عن الفساد في الأرض ، وتلك قضية تتعلق بالحواس الظاهرة ، ختمت بقوله " ولكن لا يشعرون " لأن المشاعر هي الحواس ، ولما كانت القضية الثانية تتعلق بالسفه وهو الجهل ناسب أن تختم بالعلم .

قال الزمخشري - رحمه الله - : " فإن قلت فلم فصلت هذه الآية بقوله تعالى { لا يعلمون } والتي قبلها بقوله تعالى { لا يشعرون } ؟ قلت لأن الوقوف على أن المؤمنين على الحق ، وهم على الباطل ، يحتاج إلى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة وأما النفاق وما فيه من البغي المؤدي إلى الفتنة والفساد في الأرض ، فأمر دنيوي مبني على العادات ، معلوم عند الناس ، خصوصاً عند العرب في جاهليتهم ، وما كان قائماً بينهم

(1) انظر : إعجاز القرآن الكريم ، للدكتور فضل عباس ، ص : 228 . منشورات جامعة القدس

المفتوحة ، الطبعة الأولى ، 1996م

(2) انظر : المرجع السابق ، ص : 205 .

من التباير والتناحر والتحارب والتحابز ، فهو كالمحس المشاهد ، ولأنه قد ذكر السفه وهو جهل ، فكان ذكر العلم معه أحسن طباقاً له⁽¹⁾ .

(6) قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مِثْرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ { الأنعام : 97 ، 99 } ، فلما كانت قضية النجوم مما يعلمه العرب ختمت الآية بقوله تعالى: { يعلمون } ، ولما كانت قضية النفوس دقيقة ، لا يطلع عليها إلا الخاصة ، ختمت بقوله تعالى: { يفقهون } لأن الفقه أخص من العلم.

ولما كانت الآية الثالثة تظهر فيه دلائل القدرة الإلهية ، ختمت بقوله تعالى: { يؤمنون }⁽²⁾ .

(7) وهاتان آيتان في سورة القصص ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ {71} قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ { القصص : 71 ، 72 } ، حيث ختمت آية النهار بالبصر ، وذلك لأن النهار هو ظرف لأعمال الناس وتصرفاتهم ، وأكثر ما يستخدم فيه الإنسان حاسة البصر ، وختمت آية الليل بالسمع ، لأن دوام الليل فيه أعمال حاسة السمع أكثر من أعمال حاسة البصر⁽³⁾ .

ثانياً : اختلاف الفاصلتين في موضعين والموضوع واحد :-
مثل التالي :

(1) قال تعالى في سورة إبراهيم : ﴿ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ { إبراهيم : 34 } ، ثم قال في سورة النحل : ﴿ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ { النحل :

(1) انظر : الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، محمود بن عمر الزمخشري ، مجلد 1 ص 65 ، مطبعة دار الاستقامة - القاهرة ، الطبعة الأولى (1365 هـ - 1946) .

(2) انظر : إعجاز القرآن الكريم ، الدكتور فضل عباس ، ص : 230

(3) انظر : المرجع السابق ، ص : 206 .

18 { ، وكأنه تعالى يقول : إذا حصلت النعم الكثيرة فأنت أخذها وأنا معطيها ، حصل لك عند أخذها وصفان : كونك ظلوما كونك كفارا ، ولي عند إعطائها وصفان: وهما : أني غفور رحيم ، أقابل ظلمك بغفراني وكفرك برحمتي⁽¹⁾، وناسب العطاء للنعم الكثيرة للخلق أن تختتم الآية بغفور رحيم .

2) ونظيره قوله تعالى في سورة الجاثية : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ { الجاثية : 15 } ، وفي فصلت : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ { فصلت : 46 } .
وحكمة فاصلة الأولى أن قبلها : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ { الجاثية : 14 } ، فتناسب الخاتمة بفاصلة البعث ؛ لأن قبله وصفهم بإنكاره ، وأما الأخرى فالختم بها يناسب ، أي لأنه لا يضيع عملاً صالحاً ولا يزيد على من عمل شيئاً .

ثالثا : اختلاف الفواصل والمتحدث عنه مختلف : -

فواصل لإقناع المشركين بحقيقة البعث والنشور : يقول تعالى : ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ ﴾ {59} أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْتَ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ {60} أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْتَ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ {61} أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْتَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ {62} أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَيْتَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ {63} أَمَّنْ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَيْتَ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ { النمل : 59-64 } فهذه الآيات الخمسة ختمت بخمس فواصل ، وكلها جاءت بعد جملة واحدة (أَلَيْتَ مَعَ اللَّهِ) ، ما علاقة كل فاصلة بموضوعها ؟ فقوله تعالى :

أ) (أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) هذا الاستفهام المقصود منه تقريع المشركين وتسفيه آرائهم ، في عبادتهم للأصنام ، وتوجه أنظارهم إلى الإله الواحد ، من خلال التفكير في خلق السماوات والأرض وإنزال الماء من السماء

(1) انظر : البرهان في علوم القرآن ، للزركشي ، جزء 1 ، ص 86

، الذي لا يستطيع أن يدعيه أحد ، ولما كان إنبات الزرع كثيراً ما ينسب لصاحبه ، ناسب ذلك تغيير الأسلوب من الغائب إلى المتكلم لأن ظهور النبات بألوانه الزاهية ، وطعمه المختلف إنما هو من فعل الخالق جل جلاله فيأتي جواب الاستفهام محذوف ليدل عليه العقل ، ثم السياق باستفهام آخر (أَلَيْهَ مَعَ اللَّهِ) ليقرر إنه لا مفر من الإقرار بأنه لا إله إلا الله ثم تأتي الفاصلة (بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ) فتبدأ بالإضراب عن حديثها لأنه يعدلون عن الحق الواضح ، ويسوون آلهتهم بالله في العبادة (1) .

(ب) قوله تعالى : (أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا) الله تعالى جعل الأرض قراراً للحياة ، وجريان الأنهار حقيقة يراها المشركون ، كذلك يرون الجبال ثابتة مستقرة ، وجعل بين البحر المالح والنهر العذب حاجزاً ، بحيث لا يمتزجان ، لأن كثافة الماء المالح تختلف عن الماء العذب ، وتقف الآية عن الإجابة ؛ لإتاحة الفرصة للفكر والتأمل ، ثم يأتي سؤال جديد (أَلَيْهَ مَعَ اللَّهِ) والإجابة أنه لا مفر من الإقرار لله تعالى ، ثم تختم الآية بالفاصلة (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) فجاء بلفظ (بل) مضرب عن حديثهم ملتفتاً عنهم مبيناً أن هذه المسائل تحتاج إلى العلم ليكشف عن سرها (2)

(ت) قوله تعالى : (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُفَاءَ الْأَرْضِ) تتحدث الآية عن خصائص النفس البشرية ، حيث أن الإنسان في لحظات الضيق والكرب لا يجد ملجأ إلا الله ، ثم إنه تعالى جعلكم تتوارثون عمارة الأرض جيلاً بعد جيل وقدرة الموت والحياة ، وتقف الآية عن الجواب ، لتتطرق به الفطرة السليمة بعد التأمل والتفكير ثم يأتي الاستفهام (أَلَيْهَ مَعَ اللَّهِ) لا مفر من الإذعان والإقرار بالله ، ولما كانت هذه الدلائل في فطرة الإنسان لا تحتاج إلى كشف وتحتاج إلى تذكر جاءت الفاصلة مناسبة لذلك هي قوله تعالى : (قليلاً ما تذكرون) (3)

(ث) قوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ فمن يهديهم في أسفارهم وتجارتهم ؟ ومن يرسل الرياح المبشرات ؟ لذلك تقف الآية عن الإجابة لتتطرق الفطرة

(1) انظر: الفاصلة القرآنية ، عبد الفتاح لا شين ، ص (50 ، 51) ، دار المريخ ، الرياض ، 1982 م

(2) انظر : المرجع السابق ، ص (51 ، 52) .

(3) انظر : المرجع السابق ، ص (52 ، 53) .

السليمة بعد التأمل ، ويأتي الاستفهام (أله مع الله) ؟ فلا مفر من الإذعان لله ، وتختتم هذه بفاصلة تنزه الله ، وتفرده بالعظمة ⁽¹⁾

(ج) قوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ فهذه براهين على وجود الله ووحدانيته ، فهل يستطيع أحد أن يبدأ الخلق ثم يعيده ، ويرزق كل من في السموات والأرض ، فهل بعد ذلك من شريك ؟ فتأتي الفاصلة مناسبة لذلك فتطلب تقديم البراهين على ذلك في قوله (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين . ⁽²⁾

المطلب الخامس: من أسرار المغيرة في نسق الفاصلة القرآنية :

تحدث بعض العلماء أن القرآن الكريم يقصد إلى المغيرة في نظمه بالتقديم والأخير رعاية الفاصلة ، وقد نقل السيوطي عن شمس الدين ابن الصائغ نصاً طويلاً يستدل فيه على أن القرآن يأتي بأساليب جديدة مراعاة للتناسب بين الفواصل ، وأحصى من ذلك نيفاً وأربعين موضعاً ، ثمانية منها قدم فيها ما حقه التأخير ، وسوف نورد بعض الأمثلة التي أوردها كما يلي :

أولاً: تقديم الأرض على السماء :

وقد راعى القرآن الأصل فليس معظم المواطن التي اقترنت فيها السماء والأرض ، فقدم السماء ، إلا بعض المواضع القليلة التي تقدمت فيها الأرض ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ { طه 4، 5 } ، فإن فواصل السورة على الألف ، مراعاةً للتناسب بين هذه الفواصل قدمت الأرض على السماوات .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمُ مَا نُخْفِي وَمَا نَعْلُنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ { إبراهيم : 38 ، 39 } ، فقالوا قدمت الأرض على السماء في هذه الآية ، لأنه أريد تناسب الفاصلة فيها مع الفواصل الأخرى .

والمتتبع لورود السماء والأرض مع معطوفة إحداهما على الأخرى في القرآن الكريم يجد ما يزيد على مائتي موضع تقدمت فيها السماء على الأرض تبعاً للأصل من تقديم الأشرف ، وتقدمت الأرض على السماء في ثلاثة عشر موضعاً ليس من بينها سوى

(1) انظر: الفاصلة القرآنية ، عبد الفتاح لاشين ، ص 54

(2) انظر : المرجع السابق ، ص 54

موضعين وقعت السماء فيهما فاصلة ، فإذا قلنا بالقول الذي يعتبر التقديم فيها لمجرد رعاية الفواصل ، فإن عشرة مواضع تقدمت فيها الأرض وليست فاصلة يصبح تقديمها عارياً من الفائدة ، بل جاء لحكمة بيانية تفيد الإعجاز .

ثم إن التقديم بالفضل والشرف قد يبدأ فيه بالأفضل ، وقد يعكس على سبيل الترقى من الفاضل إلى الأفضل أو من الأدنى إلى الأعلى كما ترقى في نفي إعجاز الكافرين له في قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ { العنكبوت : 22 } ، فهم لا يستطيعون الهرب في الأرض الضيقة ، ولا في السماء المتسعة ، وليست هنا سماء فاصلة ، حتى يقال إن التقديم للتناسب .

ثانياً: تقديم هارون على موسى :

وهو العلم في الاستشهاد بالتقديم لمراعاة الفاصلة ، يقول صاحب المنار : " فإن قيل : لما لم يذكر في سورة طه إيمانهم برب العالمين ؟ ولما أخر فيها موسى قدم هارون ؟ فالجواب عنهما أن سبب ذلك مراعاة فواصل السور ، بما لا يعارض غيره مما ورد في غيرها " (1).

وكذلك ما قاله أبو السعود ، والبيضاوي (2) ، من أن تقديم هارون لكبر سنه ، أو لدفع وهم أن يكون المقصود برب موسى لو قدم هو فرعون ، ويكون ذكر هارون على سبيل الاستتباع .

أما لماذا كان فضل العناية والاهتمام بدور هارون في سورة طه وحدها فهذا ما يفصح عنه السياق ، حيث جاء في دعاء موسى من هذه السورة : ﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِ هَارُونَ أَخِي ﴾ { طه : 29 ، 30 } ، فهي السورة الوحيدة بين السور الثلاث التي طلب فيها من ربه أن يجعل له وزيراً ، فتقديم هارون في سورة طه جاء إبرازاً لدوره ومشاركته في الأحداث ، ثم جاء موسى بعده على سبيل الترقى من البدء بالأفضل للأفضل ، بخلاف ذكره بعد موسى ، حيث يبدو في دور المساند لا المشارك .

ثالثاً: تقديم العبادة على الاستعانة :

فوجد البعض في تناسب الفواصل السبب في العدول عن تقديم الاستعانة على العبادة . لذلك كان الزمخشري من أوائل من تنبه إلى سر تقديم العبادة على الاستعانة فقال : "

(1) تفسير المنار ، محمد رشيد رضا ، مجلد 9 ، ص 70 .

(2) انظر : تفسير أبي السعود ، مجلد 3 ، ص 476 ، وتفسير البيضاوي مجلد 2 ، ص 52

فإن قلت : لم قدمت العبادة على الاستعانة ؟ قلت : لأن تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة ليستوجبوا الإجابة عليها " (1) .

وقال أبو السعود : " إن العبادة من حقوق الله تعالى والاستعانة من حقوق المستعين " (2) .
فالتقديم على رأي الزمخشري من تقديم العلة على المعلول ، وعلى رأي أبي السعود من تقديم الأشرف .

وقال صاحب التحرير والتنوير : " العبادة تقرب للخالق تعالى فهي أجدر بالتقديم في المناجاة ، وأما الاستعانة فهي لنفع المخلوق للتيسير عليه ، فناسب أن يقدم المناجي ما هو من عزمه وصنعه على ما يسأله مما يعين على ذلك " (3) .

هذا ما حفلت به بعض كتب التفسير عن أسرار تقديم العبادة على الاستعانة .

رابعاً : تقديم الآخرة على الأولى :

ومن المواطن التي تعلق فيها عكس الترتيب لرعاية الفاصلة ما نقله السيوطي عن ابن الصائغ : " تقديم ما هو متأخر في الزمان نحو : ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾ { النجم : 25 } ، ولولا مراعاة الفواصل لقدمت الأولى (4) .

والمتتبع لمواطن عطف الأولى على الآخرة يجد أن الأولى تقدمت على الآخرة في موضع واحد ، هو قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْوَالِدِ وَالْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ { القصص : 70 } ، وأما تقديم الآخرة على الأولى فقد جاء في ثلاثة مواطن :

1- قوله تعالى مخاطباً المشركين : ﴿ إِنَّ هِيَ إِلَا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ { النجم : 23 - 26 } ،
والسر في تقديم الآخرة على الأولى هو ما كشف عنه الألويسي في قوله : " وقدمت الآخرة اهتماماً برد ما هو أهم أطماعهم عندهم من الفوز فيها ، ولذا أُرِدَ ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً ﴾ { النجم : 24 }

(1) الكشاف ، الزمخشري ، مجلد 1 ، ص 65 .

(2) تفسير أبي السعود ، مجلد 1 ، ص 19 .

(3) التحرير والتنوير ، الطاهر ابن عاشور ، مجلد 1 ، ص 189 .

(4) انظر : الإتقان ، السيوطي ، جزء 3 ، ص 252 .

، وإقناطهم عما طمعوا به من شفاعة الملائكة - عليهم السلام - موجب لإقناطهم
عن شفاعة الأصنام بطريق الأولوية (1).

2- قوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى {15} إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى {16} اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى {17} فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى {18} وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى {19} فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى {20} فَكَذَّبَ وَعَصَى {21} ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى {22} فَحَشَرَ فَنَادَى {23} فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى {24} فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴾ {النازعات : 15 - 25} ، حيث قيل في تفسير الآخرة والأولى أنهما كلمتا فرعون : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ {القصص : 38} ، وقوله تعالى : ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ {النازعات : 24} ، وهو الوجه الذي قدمه الرازي في تفسيره فقال : " والمقصود التنبية على أنه ما أخذه بكلمته الأولى في الحال ، بل أمهله أربعين سنة ، فلما ذكر الثانية أخذ بهما ، في هذا تنبيه على أنه تعالى يمهل ولا يهمل " (2). وبهذا تتقدم الآخرة تحقيقاً لغرض النظم في الإشارة إلى أن قول فرعون أنا ربكم الأعلى هو سبب إسراع الله بإنزال العقاب به .

3- قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى {5} وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى {6} فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى {7} وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى {8} وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى {9} فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى {10} وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى {11} إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى {12} وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ﴾ {الليل : 5 - 13} ، فقد جاء تقديم الآخرة لتناسب لما بنيت عليه السورة من التهديد والأنظار لسوء العاقبة لمن كذب وأعرض ، والتكبير به في الآخرة ، ولهذا أعقبها قوله تعالى : ﴿ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى {14} لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى {15} الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى {16} وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴾ {الليل : 14 - 17} ، فقدم جزاء الأشقياء على جزاء الأتقياء ، مكتفياً في جزائهم بإبعادهم عن النار ، على خلاف الغالب في القرآن من تقديم جزاء المؤمنين ، ومثل هذا السياق لا يفي بحق البلاغة فيه إلا تقديم الآخرة ، تقول الدكتورة بنت الشاطي : " وولتفت إلى ملحظ بياني في الآية ، هو العدول عما هو مألوف من تقديم الأولى على الآخرة ، وليس التعلق برعاية الفاصلة هو الذي اقتضى تقديم الآخرة هنا على الأولى ، وإنما اقتضاه المعنى في سياق البشرى والندير " .

(1) انظر : روح المعاني ، الألويسي ، جزء 27 ، ص 58 .

(2) التفسير الكبير ، الرازي ، مجلد 31 ، ص 43 .

ومن الأدلة التي ساقها ابن الصائغ على القصد إلى تحقيق التناسب في الفواصل ، تقديم الأبلغ من الصفات على غير ما تقضي به قاعدة الترقي من تأخير الأبلغ (1) ، ومثل لذلك بقوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ { الفاتحة : 3 } ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ رَوْؤُفٌ رَحِيمٌ ﴾ { النور : 20 } ، فتغايرت آراء العلماء في سر تقديم الرحمن ، وأشهرها ما قاله الزمخشري : " فإن قلت : لما قدم ما هو أبلغ من الوصفين على ما هو دونه ، والقياس الترقي من الأدنى إلى الأعلى ، كقولهم : فلان عالم نحير ، وشجاع باسل ، وجواد فياض ؟ قلت : لما قال الرحمن ، فتناول جلائل النعم وعظائمها وأصولها ، أرفهه الرحيم كالتتمة والرديفة ، ليتناول ما دق منها ولطف (2) ، إلا أن تخصيص الرحمن بجلائل النعم ، والرحيم بدقائقها مما لا دليل عليه ، بل إن الله تعالى كثيراً ما يذكر جلائل النعم ، يعقبها بصفة الرحيم وحدها ، ومن ذلك النعم التي ذكرها في مطلع سورة النحل ، وعدد منها الشمس والقمر ، والفلك والبحار ، والجبال والأنهار ، ثم قال بعد ذلك كله : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ { النحل : 18 } . وخير ما قيل في تعليل تقديم الرحمن ما قاله ابن القيم : " وأما الجمع بين الرحمن الرحيم ففيه معنى هو أحسن من المعنيين اللذين ذكرهما ، وهو أن الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه ، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم ، فكان الأول للوصف ، والثاني للفعل ، فالأول دال على أن الرحمة صفته ، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته ، وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله : ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ { الأحزاب : 43 } ، وقوله : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ رَوْؤُفٌ رَحِيمٌ ﴾ { النور : 20 } ، ولم يجيء قط رحمن بهم ، فعلم أن رحمن هو الموصوف بالرحمة وأن رحيم هو الراحم برحمته ، وهذه نكتة لا تكاد تجدها في كتاب (3) .

وقال الطاهر بن عاشور : " وتقديم الرحمن على الرحيم ؛ لأن الصفة الدالة على الاتصاف الذاتي أولى بالتقديم في التوصيف من الصفة الدالة على كثرة متعلقاتها" (4) .

(1) انظر : الإتيان ، السيوطي ، جزء 3 ، ص 255 .

(2) انظر : الكشف ، الزمخشري ، مجلد 1 ، ص 45

(3) بدائع الفوائد ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق سيد عمران وعامر صلاح ، مجلد 1 ، ص 32 ، دار الحديث ، القاهرة 2002 م .

(4) التحرير والتنوير ، والطاهر ابن عاشور ، مجلد 1 ، ص 172 .

خامساً: تقديم السميع على العليم :-

يقول أبو حيان : في قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ { البقرة : 137 } ، مناسبة هاتين الصفتين أن كلاً من الإيمان وضده مشتمل على أقوال وأفعال ، وعلى عقائد ينشأ عنها تلك الأقوال والأفعال ، فناسب أن يختتم ذلك بهما ، أي وهو السميع لأقوالكم ، العليم بنياتكم واعتقادكم ، ولما كانت الأقوال هي الظاهرة لنا ، الدالة على ما في الباطن قدمت صفة السميع على العليم " (1).

والمتتبع لورود هاتين الصفتين في الكتاب المجيد ، لا يخطئه أن يجد التذييل بهما في موقعين متقابلين : في مجال التهديد كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ { الأنفال : 61 } ، فإن أضمروا السوء في دعوتهم إلى السلم ، يكشف أمرهم ويأخذهم بمكرهم ، ومقام التهديد يستدعي تقديم السميع ، ليشعر بقربه منهم .

والثاني في مجال التقرب إلى الله وطلب عونه كما في دعاء إبراهيم -عليه السلام- في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ { البقرة : 127 } ، وقد قدمت صفة السمع لأنها التي يترتب عليها إجابة الدعاء (2).

الخلاصة : المتتبع للأمثلة السابقة يتبين له أن ابن الصائغ يقول بأن القرآن يأتي بأساليب جديدة من حيث التقديم والتأخير في الآيات مراعاة للفاصلة القرآنية ، ونحن نخالف هذا القول لابن الصائغ ونقول بأن القرآن يأتي بأساليب جديدة في الفواصل القرآنية ؛ لإظهار الإعجاز القرآني وليس مراعاة للواصل القرآنية .

(1) البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي ، مجلد 1 ، ص 411

(2) انظر : من أسرار المغايرة في نسق الفاصلة القرآنية ، محمد الأمين الخضري ، ص 44 ، 1994م

المبحث الثاني

طرق معرفة الفواصل القرآنية وفوائد العلم بها

المطلب الأول : طرق معرفة الفواصل القرآنية

تأتي الفاصلة في القرآن الكريم مستقرة مطمئنة في مكانها متنسقةً مع موضوع الآية ، يتعلق معناها بمعنى الآية كلها ، بحيث لو طرحت لاختل المعنى ، ولمعرفة الفواصل في القرآن الكريم طريقان : توقيفي وقياسي .

أولاً: التوقيفي :

فما كان يقف عليه النبي - ﷺ - دائماً تحققنا أنه فاصلة ، وما كان يصله دائماً تحققنا أنه ليس بفاصلة ، وما كان يقف عليه مرة ويصله أخرى فيحتمل فيه ثلاثة أمور :

أ- أن يكون الوقف للاستراحة .

ب- أن يكون الوقف لتعريف الفاصلة .

ج- أن يكون لتعريف الوقف التام .

والوصل أن يكون غير فاصلة ، أو فاصلة وصلها لتقدم تعريفها (1).

لما روى أبو داود عن أم سلمة : لما سئلت عن قراءة رسول الله - ﷺ - قالت : " كان يقطع قراءته يقرأ : الحمد لله رب العالمين ، ثم يقف ، الرحمن الرحيم ، ثم يقف ، وكان يقرأها ملك يوم الدين " (2).

فمعنى يقطع قراءته آية آية ؛ أي يقف على كل آية .

ثانياً: القياسي :

لذلك وقف العلماء على بعض الطرق التي بها تعرف الفواصل وهي (3) :

1- مساواة الآية لما قبلها وما بعدها طولاً وقصراً .

وقال الإمام الشاطبي :

وما هن إلا في الطوال طولها وفي السور القصرى القصار على قدر (4)

(1) انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، السيوطي ، مجلد 1 ، ص 24 .

(2) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي ، المباركفوري ، مجلد 8 ، ص 198 ، حديث رقم (3095)

(3) انظر : بشير اليسر شرح ناظمه الزهر في علم الفواصل ، عبد الفتاح القاضي ، ص (40 - 54) ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، طبعة 2001 م .

(4) انظر : بشير اليسر شرح ناظمه الزهر في علم الفواصل ، عبد الفتاح القاضي ، ص (41) .

وبهذا يعلم أن المساواة أي مساواة الآية لما قبلها وما بعدها في الطول والقصر طريق من معرفة الفواصل .

2- مشاكلة الفاصلة لغيرها مما هو معها في السورة في الحرف الأخير منها أو في ما قبله .

قال الإمام الشاطبي :

وكل توال في الجميع قياسه بآخر حرف أو بما قبله فادر (1)

كل فاصلة ذات توال وتتابع لغيرها فقياسها يكون في آخر حرف فيها إن لم يكن ما قبل الآخر حرف مد ، أما إذا كان ما قبل الأخير فيها حرف مد فقياسها يكون بما قبل الآخر .

3- انقطاع الكلام :

قال الإمام الشاطبي :

وما بعد حرف المد فيه نظيره على كلمة فهو الأخير بلا عسر

كما وأتقى في الليل أفنى بنجمه تدلى وذا المفعول يفصل بالجزر (2)

وهو أن كل كلمة مشتملة على حرف المد وقعت بعد كلمة أخرى مشتملة على حرف مد كذلك وصلح كل منهما لأن يكون فاصلة فالفاصلة هي الثانية سواء اعتبرت الفاصلة بما قبل الآخر نحو : عليم حكيم ، أم بالآخر نحو : أعطى واتقى .

الخلاصة : الراجح أن معرفة الآيات هو أمر توقيفي من النبي - ﷺ - ، لا دخل للقياس فيه ، فإن العلماء عدوا (ألمص) آية ، ولم يعدوا نظيرها وهو (أمر) آية ، وعدوا (يس) آية ولم يعدوا نظيرها وهو (طس) آية ، ولو كان الأمر مبنياً على القياس لكان حكم المثليين فيما ذكروا واحداً .

قال الزمخشري : " في تفسير قوله تعالى : ﴿الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ { البقرة : 1 ، 2 } ، فإن قلت : ما بالهم عدوا بعض هذه الفواتح آية دون بعض ، قلت : هذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور . (3)

(1) انظر : بشير اليسر شرح ناظمه الزهر في علم الفواصل ، عبد الفتاح القاضي ، ص (42) .

(2) المرجع السابق ، ص (47) .

(3) انظر : إتيان البرهان ، فضل عباس ، جزء 1 ، ص 431

وقال السيوطي : " قال بعضهم : الصحيح أن الآية إنما تعلم بتوقيفاً من الشارع كمعرفة السورة (1) ومما يدل على أنه توقيفي ما أخرجه أحمد في مسنده من طريق عاصم أبي النجود عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود قال : سمعت رجلاً يقرأ (حم) إلى الثلاثين (يعني الأحقاف) فقرأ حرفاً ، وقرأ رجل آخر حرفاً لم يقرأه صاحبه ، وقرأت أحرفاً لم يقرأها صاحبي ، فانطلقنا إلى النبي - ﷺ - فأخبرناه فقال : لا تختلفوا فإنما هلك من كان قبلكم باختلافهم ، ثم قال : " انظروا أقرأكم رجلاً فخذوا بقراءته (2) .

ومما يدل على ذلك أيضاً عد الجميع بعض الآيات مع شدة تعلقها بما بعدها ، وعدم انقطاع الكلام عندها ، وذلك نحو عد قوله تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ﴾ { العلق : 9 } ، في سورة العلق ، وقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴾ { النازعات : 37 } بالنازعات ، وقوله تعالى : : ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا النَّتَى ﴾ { الليل : 17 } بالليل ، ولو كان العد يعتمد الرأي والاجتهاد لما عدت هذه الأشياء لعدم انقطاع الكلام عندها .

ومما يدل على التوقيف أيضاً أن الآيات الطوال لم تأت إلا في السور الطوال على مقدار متساوي ، وكذلك لم تأت القصار إلا في السور القصار ، كفواتح السور في الطوال ، والفواتح في القصار مثل (والفجر) و (والضحى) ، وهذا لا يكون إلا مقصوراً على السماع والتوقيف .

المطلب الثاني : فوائد معرفة علم الفواصل (3) :-

يعتبر علم الفواصل من أفضل وأشرف العلوم الشرعية لتعلقه بالقرآن الكريم فهو علم يبحث فيه عن سور القرآن الكريم وآياته من حيث بيان عدد أي كل سورة ، ورأس كل آية ومبتدئها ، لذلك فله من الفوائد الشيء الكثير ، وفيما يلي أهمها :

1- يحتاج لمعرفة الفواصل للحصول على الأجر الموعود به على قراءة عدد معين من الآيات في الصلاة .

2- كون هذه المعرفة سبباً لنيل الأجر الموعود به على تعلم عدد مخصوص من الآيات أو قراءته عند النوم مثلاً .

(1) انظر : الإتيان ، السيوطي ، جزء 1 ، ص 208

(2) مسند الإمام أحمد ، مجلد 1 ، ص 501 ، حديث (3803)

(3) انظر : بشير اليسر شرح ناظمة الزهر في علم الفواصل ، عبد الفتاح القاضي ، ص (21، 22) .

- 3- الاحتياج إلى هذا الفن في معرفة ما يسن قراءته بعد الفاتحة في الصلاة فقد نصوا على أنه لا تحصل السنة إلا بقراءة ثلاث آيات قصار أو آية طويلة ، ومن يرى منهم وجوب القراءة بعد لا يكتفي بأقل من هذا العدد .
- 4- اعتبار لصحة الخطبة ، فقد أوجبوا فيها قراءة آية تامة.
- 5- توقف معرفة الوقف المسنون على هذا العلم ، فالوقف على رؤوس الآي سنة ، وإذا لم يكن القارئ على خبرة بهذا الفن لا يتأني له معرفة الوقف المسنون ، وتمييزه من غيره .

المبحث الثالث

دعوى السجع والترادف والتكرار في الفاصلة القرآنية

المطلب الأول : دعوى السجع في الفاصلة القرآنية :

أولاً : السجع لغة واصطلاحاً :

1- السجع لغة : هو الكلام المقفى ، أو موالاة الكلام على روى واحد ، ويجمع على

أسجاع وأساجيع ، وهو مأخوذ من قولهم : سجعت الحمامة ، وسجع الحمام وهو

هديله وترجيعة لصوته⁽¹⁾ .

وفي المنجد : سجع سجعاً : نطق بكلام مقفى له فواصل⁽²⁾ .

2- السجع اصطلاحاً :

1) هو وحدة الحرف الأخير في الفاصلتين⁽³⁾ .

2) تماثل الحروف في مقاطع الفصول⁽⁴⁾ .

3) وهو أن تتفق الفاصلتان في الحرف الأخير⁽⁵⁾ .

ثانياً : الفرق بين الفاصلة وبين قوافي الشعر :

إن من يتأمل الفاصلة يجد فارقا كبيرا بينها وبين الشعر ويقول تمام حسان : " إن من

يتأمل الفاصلة القرآنية ، ليجد الفارق كبيرا بينها وبين قوافي الشعر ، ويمكن تلخيص

الفوارق بينهما على النحو التالي :

1) تتطلب القافية التطابق التام ، بين عدد من الحروف ، في آخر كل بيت من القصيدة

. أما الفاصلة فلا تلتزم شيئا من ذلك ، إذ تراها تجري في عدد من آيات السورة

على نمط ، ولكنها سرعان ما تتحول عنه إلى نمط آخر...

2) في كثير من سور القرآن ، لا يلتزم شيء بعد الحرفان (الواو أو الياء) ، كما في

سورة الحج ، فإذا قرأت هذه السورة مثلا ، وجدت فواصل الآيات لا تحمل شيئا أي

(1) انظر : لسان العرب ، ابن منظور ، مجلد 7 ، ص 128 .

(2) انظر : المنجد ، ص 322 .

(3) البلاغة الاصطلاحية ، عبده قليقة ، ص 355 ، دار الفكر العربي ، الطبعة الثالثة 1992 م

(4) سر الفصاحة ، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي ، ص 171 ، دار الكتب العلمية ،

بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى 1982 م .

(5) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، السيد أحمد الهاشمي ، ص 326 ، دار الكتب العلمية

والبلاغة فنونها وأفانها ، فضل عباس ، ص 305 ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، الطبعة العاشرة

2005 م

شبهه بالتقنية... ولسنا نجد شيئاً مما التزمته الفواصل القرآنية ، يصلح أن يكون قافية ، فالواو والميم في الشعر لا تقفو الياء... " (1)

ثالثاً : أقوال العلماء في السجع: تباينت آراء العلماء بين مؤيد ومعارض للسجع في القرآن الكريم :

1- النافون لوجود السجع في القرآن الكريم وعلى رأسهم الرماني و الباقلاني :-
فقد ارتبط هذا النفي عندهم بمفهوم خاص بالسجع لا يمكن أن يتحقق في القرآن الكريم ، وهو تبعية المعاني للألفاظ دائماً ، ومن هذا المنطلق ذم النبي - ﷺ - سجع الكهان ؛ لأن سجعهم يغلب عليه التكلف ، كما نفى القرآن الكريم عن النبي - ﷺ - قول الشعراء وقول الكهان في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ { الحاقة : 40- 42 } ، ولذلك جاز أن يطلق على أواخر الآيات في القرآن الكريم فواصل ، ولم يجز أن يطلق عليها أسجاع .

أ- يقول الرماني : " الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إيفهام المعاني ، والفواصل بلاغة ، والأسجاع عيب وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني ، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها ، وهو قلب ما توجيه الحكمة الدلالة ، إذ كان الغرض الذي هو حكمة إنما هو الإبانة عن المعاني التي إليها الحاجة ماسة ، فإذا كانت المشاكلة وصلة إليه فهو بلاغة ، وإذا كانت المشاكلة على خلاف ذلك فهو عيب ولكنه ؛ لأنه تكلف من غير الوجه الذي توجيه الحكمة " (2).

ب- رأي الباقلاني (3): بدأ الباقلاني حديثه ببيان رأي أصحابه الأشاعرة في نفي السجع عن القرآن الكريم ، ثم بيان موقف المخالفين له وحجتهم في ذلك والرد عليهم ، فذهب الباقلاني هو أصحابه من الأشاعرة إلى نفي السجع عن القرآن الكريم ، وقال إن الشيخ أبو الحسن الأشعري - رضي الله عنه - ذكره في غير موضع من كتبه ، وذهب كثير ممن يخالفهم إلى إثبات السجع في القرآن ، وزعموا أن ذلك مما يبين به فضل الكلام ، وأنه من الأجناس التي يقع بها التفاضل في البيان والفصاحة ، الجناس والالتفات ونحوهما ، وأقوى ما استدلوا به الاتفاق على أن موسى أفضل

(1) البيان في روائع القرآن ، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني ، تمام حسان ، (ص 275 - 278) عالم الكتب القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1993م.

(2) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ص 97 .

(3) انظر : إعجاز القرآن، الباقلاني ، ص 57 .

من هارون - عليهما السلام- ، ولمكان السجع قيل في موضع ﴿ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾ { طه : 70 } ، ولما كانت الفواصل في موضع آخر بالواو والنون قيل : ﴿ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾ { الشعراء : 48 } ، قالوا : وهذا يفارق أمر الشعر؛ لأنه لا يجوز أن يقع في خطاب إلا مقصوداً إليه ، وإذا وقع غير مقصوداً إليه كان دون القدر الذي نسميه شعراً ، وأما ما جاء في القرآن من السجع فهو كثير لا يصح أن يتفق كله غير مقصود إليه .

ويبينون الأمر في ذلك على تحديد معنى السجع ، فقال أهل اللغة : هو موالاته الكلام على وزن واحد ، ثم نجده يرد على المثبتين للسجع وهذا ما ساقه من أدلة (1) :
أولاً: بدأ الرد عليهم بأن الذي ذهب إليه المثبتون زعم غير صحيح ، ولو كان القرآن سجعاً لكان غير خارج عن أساليب كلامهم ، ولو كان داخلياً فيها لم يقع بذلك الإعجاز ، ولو جاز أن قال : هو سجع معجز ، لجاز أن يقولوا : شعر معجز ، وكيف السجع مما يألفه الكهان من العرب ، ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفي الشعر ؛ لأن الكهنة تنافي النبوات بخلاف الشعر ، وقد قال - ﷺ - : أسجع كسجع الكهان " (2) .
ثانياً : ذهب الباقلاني إلى أن الذي يعتبرونه سجعاً في القرآن الكريم وهم ، لأن الكلام قد يكون على مثال السجع في اتفاق الفواصل وليس سجعاً على الحقيقة ، ثم فرق بين الاثنين بتبعية المعاني للألفاظ في السجع دون الفواصل ، ولذلك كانت الفواصل مختصة بالقرآن الكريم ، كما أن الباقلاني جعل ورود بعض الآيات على مثال السجع في القرآن الكريم من باب القليل الذي لا يقصد إليه ، فلا ينبغي أن نطلق عليه سجعاً ، بالقياس على ورود القليل من الشعر في الكلام المنثور دون قصد ، ولذلك لا نطلق عليه شعراً .

ثالثاً : يرى الباقلاني أننا ولو جوزنا إطلاق السجع على ما في القرآن الكريم من اتفاق الفواصل ، والسجع له ضوابط معينة من حيث اتفاق أواخره وتعادل أجزائه وطولها أو قصرها ، ولذلك كان منه الحسن والقبیح ، ولزم أن يقع في القرآن ما هو مذموم لعدم اتفاق فواصله أحياناً في الحروف ولعدم تعادل أجزائه طولاً أو قصرأ .

(1) انظر : إعجاز القرآن، الباقلاني ، ص (57 - 65) .
(2) رواه مسلم ، كتاب القسامة ، باب دية الجنين ووجوب الدية في قتل الخط وشبه العمدة على عاقلة الجاني ، باب 11 ، حديث 1682

رابعاً : وأما ما ذكره من تقديم موسى على هارون في موضع ، تأخيره عنه في موضعاً آخر من أجل السجع ، فليس بصحيح ، وإنما لإظهار الإعجاز .

2- القائلون بالسجع :-

أ) ابن سنان الخفاجي (1) : حيث ذهب إلى وجود السجع في القرآن الكريم ورد على قول الرماني بقوله : " وأظن الذي دعاهم إلى تسمية كل ما في القرآن فواصل ، ولم يسموا ما تماثلت حروفه سجعاً ، رغبتهم في تنزيه القرآن الكريم عن الكلام المروي عن الكهنة وغيرهم " وقال : " فإننا متى حمدنا هذا الجنس من السجع كنا قد وافقتنا دليل من كرهه وعلنا بموجبه ؛ لأنه إنما دل على قبح ما يقع من السجع بتعمل وتكلف ، ونحن لم نستحسن ذلك النوع ، فوافقنا أيضاً دليل من اختاره لأنه إنما دل به على حسن ما ورد منه في كتاب الله تعالى وكلام النبي - ﷺ - والفصحاء من العرب ، وكان يحسن الكلام ويبين آثار الصناعة ، ويجري مجرى القوافي المحمودة ، والذي يكون بهذه الصفات هو الذي حمدناه واخترناه وذكرنا أنه يكون سهلاً غير مستكره ولا متكلف " (2) .

ب) ضياء الدين بن الأثير (3) : هو ممن أجاز السجع فقال : " وقد ذمه بعض أصحابنا من أرباب هذه الصناعة ، ولا أرى لذلك وجهاً سوى عجزهم أن يأتوا به ، وإلا فلو كان مذموماً لما ورد في القرآن الكريم ، فقد جاء منه الكثير ، حتى أنه ليؤتى بالسورة جميعها مسجوعاً ، كسورة الرحمن ، وسورة القمر (4) .

(1) هو عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان أبو محمد الخفاجي ، ولد عام 423هـ ، أخذ الأدب عن أبي العلاء المعري وغيره ، مات مسموماً بقلعة عزاز من أعمال حلب ، له كتاب سر الفصاحة ، توفي سنة 466هـ . الأعلام الزركلي ، مجلد 4 ، ص 122 .

(2) سر الفصاحة ، الخفاجي ، ص (171 - 174)

(3) هو أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير الكاتب ، ولد سنة 558هـ ، في جزيرة ابن عمر ، وتعلم بالموصل ، حيث نشأ أخوه ، وأخوه يعرف بابن الأثير المؤرخ ، حفظ شعر أبي تمام والبحري ، مات ببغداد سنة 637هـ ، له كتاب المثل السائر . الأعلام ، الزركلي ، مجلد 5 ، ص 273م .

(4) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين بن الأثير ، مجلد 1 ، ص 210 ، دار نهضة مصر للطباعة ، القاهرة .

ومن أدلة القائلين بالسجع ما يلي :

1. ما رواه ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ - : " استحيوا من الله حق الحياء قال: قلنا : إنا يا رسول الله لنستحي من الله والحمد لله قال : ليس ذلك، ولكن الاستحياء من الله أن تحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، تذكر الموت والبلى ، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء " (1) .

2. ما رواه عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ - : " اعبدوا الرحمن ، وأطعموا الطعام ، وأفشوا السلام ، تدخلوا الجنة بسلام " (2) .

وقد أجيّب عن إنكار النبي ﷺ - للسجع بقوله : لو كره النبي ﷺ - السجع مطلقاً لقال : أسجعاً ثم سكت فلما قرن السجع بالكهان ، فعلم أنه إنما ذم من السجع ما كان مثل سجع الكهان لا غير ، وأنه لم يذم السجع على الإطلاق .

الخلاصة : عند التأمل والنظر والتدقيق في أدلة المعارضين لوجود السجع في القرآن الكريم يتبين ما يلي :

- أ- أن السجع المنهي عنه هو السجع المتكلف الذي يكون المعنى تابعاً له .
- ب- أن الحديث النبوي الذي تضمن إنكار سجع الكهان النهي فيه لم يكن عن السجع نفسه ، وإنما عن الحكم المتبوع في قول الكاهن .
- ج- الذي دعا بعض العلماء إلى تسمية كل ما في القرآن فواصل ولم يسموا ما تماثلت حروفه سجعاً رغبة في تنزيه القرآن الوصف المروي عن الكهنة ، والحقيقة أن القرآن لم يرد فيه إلا ما هو من القسم المحمود من السجع لعلوه في الفصاحة ؛ لأنه لا فرق بين مشاركة القرآن لغيره من الكلام في كونه مسجوعاً ، وبين مشاركة جميعه في كونه حروفاً وصوتاً وكلاماً عربياً .
- د- حجة من يقول بالسجع المحمود أن أكثر القرآن مسجوع حتى أن السورة لتأتي جميعها مسجوعة مثل سورة الرحمن وسورة القمر

(1) سنن الترمذي ، مجلد 4 ، ص 356 ، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، حديث (2458)
(2) سنن الترمذي ، مجلد 4 ، ص 67، كتاب الأطعمة ، باب ما جاء في إطعام الطعام، حديث (1855)
وسنن الدارمي ، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، تحقيق الدكتور مصطفى دياب البغا ، مجلد 1 ، ص 542 ، حديث (2008) ، كتاب الأطعمة ، باب في إطعام الطعام ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى ، 1991م .

المطلب الثاني : دعوى الترادف في الفاصلة القرآنية :

شغلت ظاهرة الترادف العلماء قديماً وحديثاً ، وقد تشعب اهتمامهم في دراسة هذه الظاهرة في منح شتى ، كان منها تعريف المصطلح ، والبحث في جواز الترادف أو عدمه .

أولاً : تعريف الترادف لغة واصطلاحاً :

1- الترادف لغة : بمعنى التتابع ، وترادف الشيء : تبع بعضه بعضاً ويقال ردفت فلاناً ، أي صرت له ردفاً ، وردد بالكسر : المرتد ، وهو الذي يركب خلف الراكب ، وكل شيء تبع شيئاً فهو ردفه ، وهذا أمر ليس له ردف ، أي ليس له تبع ، وأرداف الملوك : الذين يخلفونهم ، ويقال لليل والنهار ردفان ؛ لأن كل واحد منهما يردد صاحبه ، أي يتبع أحدهما الآخر ، والمترادف أن تكون أسماء لشيء واحد (1) .

قال احمد بن فارس : " الرديف : الذي يرادفك وكل شيء تبع شيئاً فهو ردفه ، والترادف : التتابع ، وردد المرأة عجيزتها .. وأرداف النجوم تواليها.. والردافي هم الحداة ؛ لأنهم إذا أعيأ احدهم خلفه الآخر.. والردف اسم جبل ويسمى رواكيب النخل : روادف (2) .

وقال صاحب الصحاح : " الردف : المرتد وهو الذي يركب خلف الراكب ، وأردفته أنا إذا أركبته معك ، وذلك الموضع الذي يركبه رداً . وكل شيء تبع شيئاً فهو ردفه ، وهذا أمر ليس له ردف ، أي ليس له تبعه : والردفان الليل والنهار.. وأردفت النجوم أي توالت ، ويقال هذه دابة لا ترادف أي لا تحمل رديفاً ، والترادف التتابع " (3) .

(1) انظر : المفردات في غريب القرآن ، الأصفهاني ، ص 193
(2) مجمل اللغة ، أحمد بن فارس ، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان ، مجلد 2 ، ص 427 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1986 م .
(3) تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهري ، مجلد 4 ، ص 1363 ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1979 م ..

2- الترادف اصطلاحاً :

- أ) "أن يكون للكلمتين أو الكلمات معنى واحد" (1) .
ب) " أن يدل لفظان مفردان فأكثر دلالة حقيقية ، أصيلة ، مستقلة ، على معنى واحد" (2) .
ج) قال الفخر الرازي الترادف هو الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد كالقمح والبر والحنطة (3) .

ثانياً : الترادف بين الإثبات والإنكار :

وقف كثير من العلماء من الترادف في اللغة موقف السلبية والإنكار ، في حين نجد أن بعضهم يعتبره من خصائص اللغة العربية .

1) المؤيدون للترادف : -

أ- ابن الأثير : يعتبر ابن الأثير ، صاحب كتاب (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) من أبرز العلماء الذين قالوا بالترادف في ألفاظ القرآن الكريم ، ولقد أورد العديد من الأدلة التي تؤيد رأيه ومن الأمثلة على ذلك (4) :

قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ ﴾ { سبأ : 5 } حيث فسر الرجز بأنه عذاب مضاعف من عذاب ، وقد أريد به المبالغة .
كما قال في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِّنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَادُوا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ { التغابن : 14 } فيرى أن العفو والصفح والمغفرة كررت ، وجميعها جاءت بمعنى واحد ؛ لزيادة في تحسين عفو الوالد عن ولده ، والزوج عن زوجته .

وقال في قوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ { يوسف : 86 } فقال بأن البث والحزن بمعنى واحد ، وذكر هنا لشدة الموقف والخطب النازل به ، ويرى أن تكرير اللفظ يأتي تأكيداً للمعنى المقصود ، وللمبالغة فيه .

(1) إعجاز القرآن ، فضل عباس ، ص 152 ، منشورات جامعة القدس المفتوحة .

(2) انظر : الترادف في القرآن الكريم ، محمد المنجد ، ص 35

(3) المزهري في علوم اللغة العربية وأنواعها ، جلال الدين السيوطي ، مجلد 1 ، ص 317 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1998 م

(4) انظر : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين ابن الأثير ، جزء 2 ، ص (149 -

ب- **الدكتور صبحي الصالح** : حيث ذهب الدكتور صبحي الصالح إلى أن الترادف من مميزات وخصائص اللغة العربية ، وأما بالنسبة لوقوع الترادف في القرآن الكريم فيراه أمراً طبيعياً فيقول بشأن ذلك : وعلى هذا الأساس نقر بوجود الترادف في القرآن ، لأنه وقد نزل بلغة قريش المثالية يجرى على أساليبها وطرق تعبيرها ، وقد أتاح لهذه اللغة احتكاكها باللغات العربية الأخرى اقتباس مفردات تملك أحياناً نظائرها ، لا تملك منها شيئاً أحياناً أخرى ، وحتى إذا أصبحت جزءاً من محصولها اللغوي فلا غضاضة أن يستعمل القرآن الألفاظ الجديدة المقتبسة إلى جانب الألفاظ القرشية الخاصة القديمة⁽¹⁾ .

ولقد أشار الدكتور صبحي الصالح إلى عدد المترادفات في القرآن الكريم قائلاً : " وبهذا نفسر ترادف أقسم وحلف في قوله : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾ { الأنعام : 109 } وقوله تعالى : ﴿ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ ﴾ { التوبة : 74 } ، وترادف بعث وأرسل في قوله : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ { الإسراء : 15 } ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ { الإنبياء : 107 } وترادف فضل وأثر في قوله : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ { البقرة : 253 } وقوله : ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾ { يوسف : 91 }⁽²⁾ ،

ثم نجده يعبر بصريح العبارة عن موقفه من الترادف قائلاً : " وهكذا لم نجد مناصاً من التسليم بوجود الترادف ولا مفراً من الاعتراف بالفروق بين المترادفات ، لكن هذه الفروق - على ما يبدو لنا - تنوسيت فيما بعد ، وأصبح من حق اللغة التي ضمنتها إليها أن تعتبرها ملكاً لها ، ودليلاً على ثرائها ، وكثرة مترادفات⁽³⁾ . "

(1) دراسات في فقه اللغة ، صبحي الصالح ، ص 299 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة العاشرة 1983 م

(2) المرجع السابق ، ص 300

(3) المرجع السابق ، ص 300 .

(2) المنكرون للترادف : يتمثل في التالي :

أ- الإمام أبو هلال العسكري (1) :

وقد عرض لهذه القضية في كتابه (الفروق اللغوية) ، وكان الدافع والسبب الرئيس الذي قام من أجله بتأليف كتابه هذا ، هو عدم وجود مصنفات تعنى بالفروق بين معاني الألفاظ ، يقول موضحاً ذلك : " ثم إنني ما رأيت نوعاً من العلوم ، وفناً من الآداب إلا وقد صنف فيه كتب تجمع أطرافه ، وتنظم أصنافه إلا الكلام في الفرق بين معانٍ تقاربت حتى أشكل الفرق بينها ، نحو العلم والمعرفة ، والفتنة والذكاء .. وما شاكل ذلك فإنني ما رأيت في الفرق بين هذه المعاني وأشباهها كتاباً يكفي الطالب ، ويقنع الراغب مع كثرة منافعه فيما يؤدي إلى المعرفة بوجوده الكلام ، والوقوف على حقائق معانيه ، والوصول إلى الغرض فيه ، فعملت كتابي هذا (2) .

وقد نقل كثيراً من أقوال العلماء مستشهداً على عدم وجود الترادف في العربية فقال : " قال بعض النحويين : لا يجوز أن يدل اللفظ الواحد على معنيين مختلفين حتى تضاف علامة لكل واحد منهما فإن لم يكن فيه لذلك علامة ، أشكل وألبس على المخاطب ، وليس من الحكمة وضع الأدلة المشككة إلا أن يدفع إلى ذلك ضرورة أو علة ، ولا يجيء في الكلام غير ذلك إلا ما شذ وقل (3) .

ويعد أبو هلال العسكري من أبرز المنكرين للترادف حيث أكد على أن كل اسمين يجريان على معنى من المعاني فإن لكل واحد منهما معنى يختلف عن الآخر فيقول : " الشاهد على أن اختلاف العبارات والأسماء يوجب اختلاف المعاني أن الاسم كلمة تدل على معنى دلالة الإشارة ، وإذا أشير إلى الشيء مرة واحدة فعرف بالإشارة إليه ثانية وثالثة غير مفيدة وواضع اللغة حكيم لا يأتي فيها بما لا يقيد ، فإن أشير منه في الثاني والثالث إلى خلاف ما أشير إليه في الأول كان ذلك صواباً ، فهذا يدل على أن كل اسمين يجريان على معنى من المعاني وعين من

(1) هو الحسن بن عبد الله بن سهيل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري ، أبو هلال ، عالم بالأدب له شعر ، نسبته إلى عسكر مكرم ، من كتبه : الصناعتين النظم والنثر والفرق بين المعاني ، توفي 395هـ .
الأعلام ، الزركلي ، مجلد 2 ، ص 196 .

(2) الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكري ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، ص 9 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2000م .

(3) المرجع السابق ، ص 12 .

الأعيان في لغة واحدة ، فإن كل واحد منهما يقتضي خلاف ما يقتضيه الآخر وإلا لكان الثاني فضلاً لا يحتاج إليه ⁽¹⁾.

كما نجده يذهب إلى إنكار المشترك اللفظي قائلاً : " ولا يجوز أن يكون فعل وأفعال بمعنى واحد ، كما لا يكونان على بناء واحد إلا أن يجيء ذلك في لغتين ، فأما في لغة واحدة فمحال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد ، كما ظن كثير من النحويين واللغويين .. وكذلك قولنا : فعلت يفيد خلاف ما يفيد أفعلت في جميع الكلام إلا ما كان ذلك من لغتين ⁽²⁾.

ب- ابن فارس :

وقد صرح بمذهبه قائلاً : " ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة نحو السيف والمهند والحسام ، والذي نقوله في هذا : إن الاسم واحد ، وهو السيف ، وما بعده من الألقاب صفات ، ومذهبنا أن كل صفة منها معناها غير معنى الأخرى " ⁽³⁾ .

ج- الخطابي :

يعتبر الخطابي من أبرز المنكرين لوجود الترادف في القرآن قائلاً : " ثم اعلم أن عمود هذه البلاغة التي تجمع لها هذه الصفات هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به ، الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه : إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام ، وإما ذهب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة ، ذلك أن في الكلام ألفاظ متقاربة في المعاني يحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب ، العلم والمعرفة ، والحمد والشكر ، والبخل والشح ، وكانعت والصفة ، وكقولك : اقعده واجلس ، وبلى ونعم ، وذلك وذاك .. ونحوهما من الأسماء والأفعال والحروف والصفات .. والأمر فيها وفي ترتيبها عند علماء أهل اللغة بخلاف ذلك ؛ لأن لكل لفظة منها خاصية تتميز بها عن صاحبها في بعض معانيها وإن كان قد يشتركان في بعضها ⁽⁴⁾ .

فالخطابي يعتبر أن اللفظة القرآنية لها قيمتها في السياق ولو بحثنا في جميع معاجم اللغة لنجد كلمة تسد مكانها لما وجدنا فنجده يفرق بين المترادفات ، ويقف على معنى الكلمة بمعرفة ضدها فيقول : " وإذا أردت أن تتبين حقيقة الفرق بينهما

(1) الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكري ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، ص 11.

(2) المرجع السابق ، ص 15 .

(3) الترادف في اللغة ، محمد المنجد ، ص 42 .

(4) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ص 29

اعتبرت كل واحد منهما بضده ، وذلك أن ضد المدح الذم ، وضد الشكر الكفران ، وقد يكون الحمد على المحبوب والمكروه ، ولا يكون الشكر إلا على المحبوب (1) .

د- الزركشي :

حيث وقف في كتابه (البرهان في علوم القرآن) على ظاهرة الترادف ، وقال بعدم الترادف بين ألفاظ القرآن الكريم ، فقال : " فعلى المفسر مراعاة الاستعمالات والقطع بعدم الترادف ما أمكن ؛ فإن للتركيب معنى غير معنى الأفراد ، ولهذا منع كثير من الأصوليين وقوع أحد المترادفين موقع الآخر في التركيب ؛ وإن اتفقوا على جوازه في الأفراد (2) .

ثم نجده يقف على ألفاظ يظن بها الترادف ، ويثبت أنه لا ترادف بينهم ، فيفرق بين الخوف والخشية ، والشح والبخل والقعود والجلوس قائلاً : " إن القعود لا يكون معه لبثة ، والجلوس لا يعتبر فيه ذلك ؛ لهذا نقول : قواعد البيت ، ولا نقول : جوالسه ؛ لأن مقصودك ما فيه ثبات ؛ والقاف والعين والdal كيف تقلبت دلت على اللبث ، والقعدة بقاء على حالة ، والدقعاء للتراب الكثير الذي يبقى في مسيل الماء وله لبث طويل ، وأما الجيم واللام والسين فهي للحركة ، منه السجل للكتاب يطوى له ولا ثبت عنده ، ولهذا قالوا في قعد : يقعد بضم الوسط ، وقالوا : جلس يجلس بكسره ، فاختراروا النقيض لما هو أثبت (3) ، ويفرق بين القعود والجلوس قائلاً : " إذا ثبت هذا فنقول : قال تعالى : ﴿ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾ { آل عمران : 121 } فإن الثبات هو المقصود . وقال : ﴿ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ { التوبة : 46 } أي لا زوال لكم ، ولا حركة عليكم بعد هذا . وقال : ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ { القمر : 55 } ولم يقل مجلس إذ لا زوال عنه . وقال : ﴿ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ ﴾ { المجادلة : 11 } إشارة إلى أنه يجلس فيه زماناً يسيراً ليس بمقعد ؛ فإذا طلب منكم التفسح فافسحوا ؛ لأنه لا كلفة فيه لقصره ، ولهذا لا يقال : قعيد الملوك إنما يقال : جليسه ، لأن مجالسة الملوك يستحب فيها التخفيف ، والقعيدة للمرأة ؛ لأنها تلبث في مكانها (4) .

(1) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ص 30 .

(2) البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، مجلد 4 ، ص 78 .

(3) المرجع السابق ، ص 84 .

(4) المرجع السابق ، ص 84 .

هـ - الإمام السيوطي:

" لقد أفرد الإمام السيوطي قاعدة في الألفاظ يظن بها الترادف ، وليست منه ، ولقد فرق بين الخوف والخشية ، وبين الشح والبخل ، ومن ذلك السبيل والطريق حيث قال بأن السبيل أكثر وقوعا في الخير ولا يذكر اسم الطريق ويراد به الخير إلا مقرونا بوصف ، ثم تحدث عن : جاء وأتى فقال الأول يقال في الجواهر والأعيان ، وأتى يقال في المعاني والأزمان ، ومن ذلك الإعطاء والإيتاء قال الخوئي : لا يكاد اللغويين يفرقون بينهما ، وظهر لي بينهما فرق ينبئ عن بلاغة كتاب الله ، وهو أن الإيتاء أقوى من الإعطاء في إثبات مفعوله ؛ لأن الإعطاء له مطاوع ، تقول أعطاني فعطوت ، ولا يقال في الإيتاء : أتاني فأتيت ، أتاني فأخذت ، والفعل الذي له مطاوع أضعف في إثبات مفعوله من الفعل الذي لا مطاوع له . فالإيتاء أقوى من الإعطاء ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ تُوْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ ﴾ { آل عمران : 26 } ؛ لأن الملك شيء عظيم لا يعطاه إلا من له قوة ، وكذا ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ﴾ { البقرة : 269 } ، ﴿ وَآقَظْ أَتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي ﴾ { الحجر : 87 } ؛ لعظم القرآن شأنه ، وقال : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثَرَ ﴾ { الكوثر : 1 } ؛ لأنه مورود في الموقف مرتحل عنه ، قريب إلى منازل العز ، في الجنة ، فعبر فيه بالإعطاء . (1)

و - الزمخشري :

يميل الزمخشري إلى عدم الترادف بين مفردات القرآن الكريم ، ويتضح ذلك واضحا في تفسيره ، فقد فرق الزمخشري بين لفظتي العوج الأمت في قوله تعالى : ﴿ لَأَ تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَّلَا أَمْتًا ﴾ { طه : 107 } قال صاحب الكشاف : " فإن قلت : قد فرقوا بين العوج والعوج ، فقالوا : العوج بالكسر في المعاني ، والعوج بالفتح بالأعيان والأرض عين - فكيف صح فيها المكسور العين ؟ قلت : اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديع في وصف الأرض بالاستواء والملاسة ، ونفي الاعوجاج عنها على أبلغ ما يكون وذلك أنك لو عمدت إلى قطعة أرض فسويتها ، وبالغت في التسوية على عينك وعيون البصراء على الفلاحة وانفقتم على أنه لم يبق فيها اعوجاج قط ، ثم استطلعت رأي المهندس فيها ، أمرت أن يعرض استوائها على المقاييس الهندسية ، لعثر فيها على عوج في غير موضع ، لا يدرك ذلك بحاسة البصر ولكن بالمقاييس الهندسية ، فنفي الله عز

(1) الإلتقان ، السيوطي ، جزء 2 ، ص (600 - 603)

وعلا ذلك العوج الذي دق ولطف عن الإدراك - اللهم إلا بالقياس - الذي يعرفه صاحب التقدير والهندسة ، وذلك الاعوجاج لما لم يدرك إلا بالقياس دون الإحساس لحق بالمعاني فقيل فيه - عوج بالكسر - أما الأمت : النتوء اليسير (1) .
وفرق بين الحمد والشكر حيث يقول في ذلك : " الحمد والمدح أخوان ، وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة وغيرها ، تقول : حمدت الرجل على إنعامه ، وحمدته على حسبه وشجاعته ، وأما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح ... والحمد باللسان وحده ، فهو إحدى شعب الشكر ... والحمد نقيضه الذم ، والشكر نقيضه الكفران (2) .

وكذلك فرق بين كلهم أجمعون : أجمعون أفاد أنهم سجدوا جميعا في وقت واحد غير متفرقين في أوقات (3) ، ولفظ كلهم جاء على وجه الإحاطة والشمول بحيث لا يخرج عنهم أحد (4) ، ونجده يفرق بين العثو والفساد فيقول : العثي أشد الفساد ، فقيل لهم : لا تتماذوا في الفساد في حال فسادكم لأنهم كانوا متمادين فيه (5) ، ثم يفرق بين الظلم والهضم : فالظلم أن يأخذ من صاحبه فوق حقه ، والهضم أن ينقص من حق أخيه فلا يوفيه له (6) ، ويفرق بين لا تبقي ولا تذر أي لا تبقي شيئا يلقي فيها إلا أهلكته وإذا هلك لم تذر هالكا حتى يعاد (7) .

ز - الأوسي :

حيث فرق بين : الهمزة واللمزة فقال : الهمز يكون في الوجه واللمز يكون في الخلف . والهمز يكون بالعين والشدق واليد واللمز يكون باللسان (8) .
وفرق كذلك بين كل - أجمعون بقوله : كلهم بحيث لم يشذ منهم أحد ، أجمعون : بحيث لم يتأخر في ذلك أحد منهم عن أحد بل أوقعوا الفعل مجتمعين في وقت واحد (9) .

(1) الكشف ، الزمخشري ، مجلد 2 ، ص 447

(2) المرجع السابق ، مجلد 1 ، ص 19

(3) المرجع السابق ، مجلد 4 ، ص 101

(4) المرجع السابق ، مجلد 2 ، ص 359

(5) المرجع السابق ، مجلد 1 ، ص 72

(6) المرجع السابق ، مجلد 3 ، ص 448

(7) المرجع السابق ، مجلد 4 ، ص 159

(8) روح المعاني ، الأوسي ، جزء 30 ، ص 294

(9) المرجع السابق ، جزء 14 ، ص 45

ح- الطاهر ابن عاشور :

يفرق بين السادة والكبراء : فالسادة هم عظماء القوم والقبائل مثل الملوك ، والكبراء هم دون السادة وهو جمع كبير وهو عظيم العشيرة ⁽¹⁾ ، ويفرق بين الفجاج والسبيل فيقول الفجاج جمع فج والفج الطريق الواسع ، والسبيل جمع سبيل وهو الطريق مطلقاً ⁽²⁾ . .

ط- الدكتور فضل عباس :

وهو ممن عرض للترادف وأنكره وقال : بأن الترادف لا ينسجم مع قدسية القرآن الكريم وبيانه ، والكلمات التي قد يظنها بعض الناس مترادفة حينما نتدبر فيها جيداً نجد أن لكل معناها الدقيق .

يقول الدكتور فضل عباس : " والذي نطمئن إليه ، وقد اطمأن إليه كثيرون من قبلنا أن لا ترادف في كتاب الله تبارك وتعالى ، والكلمات التي ظننا بعض الناس مترادفة عندما ننع النظر فيها ، نجد أن لكل معناها الدقيق " ⁽³⁾ .

ثالثاً : كلمات يظن أنها مترادفة :-

عند التأمل في كتاب الله عز وجل قد نقف على كلمات يظن أنها مترادفة وليس كذلك ، وإليك ثلثة من هذه الكلمات التي يظن أنها مترادفة :

1- الشك والريب :

هاتان كلمتان استعملتا في كتاب الله تعالى وهما كلمة : شك وريب ، والعجب كل العجب من الذين يحتجون على وجود الترادف في اللغة بقولهم : لو لم يكن هناك ترادف ما صح أن تفسر : الريب بالشك .

وإنما نعجب من أمره لأننا لا ندري كيف يفسر الريب بالشك واستعمال القرآن شاهد لما بينهما من فرق ، فالقرآن الكريم ينفي الريب دائماً عن القضايا الكبرى كالكتاب والساعة ، كما أنه ينفيه عن المؤمنين في جميع أحوالهم ، ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ { البقرة : 1 } ، ﴿ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا ﴾ { الحج : 7 } ، ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾ { الحجرات : 15 } ، ﴿ وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ { المدثر : 31 }

(1) التحرير والتنوير ، الطاهر ابن عاشور ، مجلد 11 ، ص 117

(2) المرجع السابق ، مجلد 17 ، ص 57

(3) إعجاز القرآن الكريم ، فضل عباس ، ص 171

وعندما تستعمل كلمة (الشك) مسندة إلى الكافرين ، فإنها غالباً ما توصف بكلمة (مريب) ، ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٌ ﴾ { الشورى : 14 } ، ﴿ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴾ { إبراهيم : 9 } .

وقد نجد أن كلمة الشك ، إذا ذكرت وحدها مسندة إلى الكافرين فإنه يضرب عنها ، ويتنقل إلى ما هو أكثر منها ضللاً ، وأشد منها سوء ، قال تعالى عن الكافرين ﴿ بَلْ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُمْ مِّنْهَا عَمُونَ ﴾ { النمل : 66 } ، واستعمل الشك دون وصف في قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ { يونس : 94 } ، وفي هذه الآية يتبين أن الريب شيء أكثر من الشك .

قال الألوسي : " فالريب ينم عن القلق في النفس وما يختلج فيها من أسباب الغيظ " ، وهذا بعيد عن قلوب المؤمنين ، فضلاً عن قلبه - ﷺ - لذلك نرى أنه لم يسند إليه الريب (1) ، أما الشك ليس فيه ما في الريب من المحاذير ، يقول الراغب الأصفهاني : " الشك وقوف النفس بين شيئين متقابلين بحيث لا يترجح أحدهما على الآخر بأمانة (2) ، والمرية : التردد في الأمر وهو أخص من الشك : من مرى الضرع أي مسحه للحلب ، والريب أن يتوهم في الشيء ، ثم ينكشف عما توهم فيه " (3) .

2- السنة والعام :

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ { العنكبوت : 14 } .

- السنة ومن منطوقها تدل على الشدة والقحط .
- والعام على العكس من ذلك ، فقال تعالى : ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعَصِرُونَ ﴾ { يوسف : 49 } ، العام هنا على كثرة الخير والبركة (4) .

(1) انظر : روح المعاني ، الألوسي ، مجلد 1 ، ص 106 .

(2) المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم الحسين المعروف بالراغب الأصفهاني ، ص 265 .

(3) المرجع السابق ، ص 467

(4) المرجع السابق ، ص 354

3- كتاب وقرآن :

لو نظرنا في الآيات التي تحدثت عن الكتاب نلاحظ أن كلمة الكتاب تشير إلى ما اشتمل عليه من تشريع وأحكام إضافة إلى ما احتواه من علوم ومعارف ومنه قوله تعالى : ﴿ ذَلِكِ الْكِتَابُ لِرَبِّ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ { البقرة : 2 } ، وقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ { الأنبياء : 10 } ، أما كلمة قرآن فتشير في الآيات إلى قضية القراءة والتلاوة (1) .

4- الفوز والفلاح :

ومنه قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ { المؤمنون : 1 } ، وقوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾ { الأعلى : 14 } ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ الَّذِي يَتَقَاتَلُ عَنْهُ فَاُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ { النور : 52 } ، ويلاحظ أن كثيراً من المفسرين لا يفرقون بين الفوز والفلاح ، ولكن الناظر إلى السياق القرآني يجد أن الآيات التي ذكر فيها الفلاح في كتاب الله جاءت جامعة لكثير من التكاليف والأوامر ، فيحتاج إلى مزيد من الحركة والمشقة ، وفي المقابل نجد أن الفوز فيه جانب كبير من السلامة والنجاة(2).

5- الفعل والعمل :

ويظهر الفرق بينهما من جهتين (3) :

الأولى : لفظ عمل يستعمل لكل شيء يمتد زمانه .

الثانية : استعمال الفعل ، تحدث دفعة واحدة ومنه قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾ { الفجر : 6 } ، قال الراغب الأصفهاني : " العمل : كل فعل يكون من الإنسان بقصد ، فهو أخص من الفعل لأن الفعل قد ينسب إلى الإنسان الذي يقع منه الفعل بغير قصد (4) .

6- الحمد والشكر :

وردت كلمة الحمد في مطلع بعض السور وفي ثناياها ، ولكن كلمة الشكر وردت أكثر ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ { إبراهيم : 7 } ، وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ﴾

(1) انظر : إجاز القرآن ، الدكتور فضل عباس ، ص 157 ، منشورات جامعة القدس المفتوحة .

(2) انظر : المرجع السابق ، ص (158 ، 159)

(3) انظر : الإتيقان في علوم القرآن ، السيوطي ، جزء 2 ص 602

(4) انظر : المفردات ، الراغب الأصفهاني ، ص 348 .

الصَّالِحِينَ ﴿ النمل : 19 } ، فقالوا : إن الحمد يكون باللسان ، أما الشكر فيكون باللسان والقلب والجوارح ، وفرق آخر وهو أن الشكر لا يكون إلا مقابل نعمة ، أما الحمد فيكون بأي شيء حسن (1).

7- الإِعْطَاءُ وَالِإِيتَاءُ :

فالإِعْطَاءُ يكون لشيء القليل ومنه قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴾ { النجم : 33 ، 34 } ، وأما الإِيتَاءُ لا يكون إلا للشيء الكثير من قوله تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُؤَدِّلُ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ { آل عمران : 26 } ، وهناك فرق آخر ، وهو أن الإِعْطَاءَ إنما يكون على جهة التمليك منه قوله تعالى : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ { ص : 39 } ، وقد لا يكون الإِيتَاءُ على جهة التمليك (2) .

الخلاصة : نخلص من موضوع الترادف بعد الوقوف على أقوال العلماء إلى أن القرآن الكريم باعتباره تاج العربية ، وقمة بيانها ، وباعتباره كلام الله عز وجل ، والمعجزة الخالدة التي تحدى بها الإنس والجن ، لا بد أن تراعى فيه النظرة الجمالية ، والحس البياني ، لذلك نجد أن كل كلمة فيه لها معناها الخاص فلا ترادف في القرآن الكريم .

رابعاً : دعوى الترادف في أسماء الله الحسنى :

بعد أن وقفنا على أقوال العلماء في قضية الترادف ، حيث قال أغلب العلماء بعدم وجود الترادف في القرآن الكريم ، وتبين أن لكل كلمة موقعها بحيث لا يسد مسدها أي كلمة ، فلكذلك الحال بالنسبة لأسماء الله وصفاته ، فيرى العلماء أن أسماء الله الحسنى وصفاته ليست مترادفة ، وكل اسم منها له دلالاته التي يحتفظ بها عن الأسماء الأخرى ، يقول ابن تيمية : " أسماء الله الحسنى ليست مترادفة ، بحيث يكون معنى كل اسم هو معنى الاسم الآخر ، ولا هي أيضاً متباينة التباين في المسمى وفي صفاته ، بل هي من جهة دلالتها على المسمى كالمترادفة ومن جهة دلالتها على صفاته كالمتباينة " .

وذهب بعض العلماء إلى أن القول بالترادف في أسماء الله ، هو إلحاد في أسمائه ، يقول ابن تيمية : " كمن يقول إن معاني أسماء الله الحسنى بمعنى واحد ، فمعنى العليم والقدير

(1) انظر : الكشف ، الزمخشري ، مجلد 1 ، ص (46 ، 47) .

(2) انظر : إعجاز القرآن ، الدكتور فضل عباس ، ص (181 ، 182) .

والرحيم والحكيم معنى واحد ، فهذا إلحاد في أسمائه وصفاته وآياته (1) وبهذا يتضح أنه لا ترادف في أسماء الله وصفاته ، وإذا رأينا أن هناك لفظين متقاربين ، فلا بد من الوقوف عند تلك اللفظين ، وسيتضح أن فروقاً دقيقة تقوم بينها ، يدركها المتأمل صاحب الفكر العميق ، يقول أبو هلال العسكري : " ثم إنني ما رأيت نوعاً من العلوم ، وفناً من الآداب ، إلا وقد صنف فيه كتب تجمع أطرافه ، وتنظم أصنافه ، إلا الكلام في الفرق بين معان تقاربت حتى أشكل الفرق بينها " (2).

المطلب الثالث : دعوى التكرار في الفاصلة القرآنية :

إن المتأمل في القرآن الكريم يجد أن هناك قضايا قد ذكرت أكثر من مرة ، وفي أكثر من موضع ، كبعض الجمل والآيات ، وموضوعات العقيدة ، القصص القرآني ، فبعض العلماء رأوا أن في التكرار بلاغة وإعجازاً ، وحاولوا أن يدللوا على ما ذهبوا إليه بما عرفته العرب في كلامها شعراً ونثراً . وأما الفئة الثانية فقد عدت هذا باباً للطعن في كتاب الله ، فقالوا إن المتدبر لآيات القرآن بعد إطالة الوقوف مع آيات الله يقرر أنه لا تكرر في كتاب الله تعالى .

أولاً : التكرار لغة واصطلاحاً :

1- التكرار لغةً :

التكرار في اللغة أصله من الكرّ بمعنى الرجوع ، ويأتي بمعنى الإعادة والعطف . فـ"كرّر" الشيء وكرّره أي: أعاده مرة بعد أخرى . وقد يأتي له تصريف آخر هو التكرير ، الكرّ: الرجوع ، يقال: كرّرت الشيء تكريراً وتكراراً (3) .

2- التكرار اصطلاحاً :

" وهو إعادة اللفظ نفسه في سياق واحد ولمعنى واحد " (4).

(1) مجموع فتاوى ، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، مجلد 12 ، ص (294 ، 295) ، 1997م.

(2) الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكري ، ص 30

(3) انظر : لسان العرب ، ابن منظور ، مجلد 13 ، ص 46 .

(4) القصص القرآني : إبحاؤه ونفحاته ، فضل عباس ، ص 19 ، دار الفرقان ، عمان ، الطبعة الأولى 1987 م .

ثانياً أقوال العلماء في التكرار في الفاصلة القرآنية :-

1- القائلون بالتكرار :

فرأوا في التكرار أسلوباً من أساليب العرب التي جاء بها القرآن ليحقق أهدافاً معينة تنثري المعنى؛ فالتكرار عندهم ظاهرة بلاغية لا يفطن إليها إلا كل من له بصر بفنون القول، وهو في القرآن أروع وأجمل ، ومن هؤلاء العلماء :

(أ) ابن قتيبة⁽¹⁾ : فقد كانت وفود العرب ترد على النبي ﷺ - فيقرئهم شيئاً من القرآن ، وكان يبعث إلى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة، فيبين أنه لو لم تكن الأنبياء والقصص مثناه ومكررة لوقعت قصة نوح إلى قوم ، وقصة لوط إلى قوم ، وقصة موسى إلى قوم ، وقصة عيسى إلى قوم ؛ فأراد الله تعالى أن يشهر هذا القصص في أطراف الأرض ، وقد كان هذا في صدر الإسلام الأول ، ولما انتشر الإسلام في آفاق الأرض ، اجتمعت القصص في كل مصر ، وعند كل قوم .

والهدف من تكرار الأنبياء والقصص عند ابن قتيبة هو تجديد الموعظة ، وتنبية الغافلين⁽²⁾.

(ب) الخطابي : فقد قسم التكرار إلى نوعين : أحدهما مذموم ، وهو ما كان مستغنى عنه ولم يأت بزيادة معنى ، وليس في القرآن شيء من هذا النوع .
والآخر ممدوح : ويضع شرطين ليكون التكرار ممدوحاً : أن يكون هناك حاجة للتكرار .

أن يكون في التكرار زيادة ويكون المكرر من الأمور التي تعظم العناية بها⁽³⁾ .
(ج) الزركشي : "وقد غلط من أنكر كونه _ أي التكرار _ من أساليب الفصاحة، ظناً أنه لا فائدة له، وليس كذلك بل هو من محاسنها، لاسيما إذا تعلق بعبءه ببعض.. وفائدته العظمى التقرير، وقد قيل: الكلام إذا تكرر تقرر " ⁽⁴⁾.

(1) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، المروزي ، اللغوي الناقد ، الكاتب الأديب ، المفسر ، المحدث ، المحيط بمشكل وغريب كتاب الله عز وجل ، أصله فارسي من مدينة مرو ، ولد سنة 213هـ ، وتوفي سنة 276هـ ، من كتبه : مشكل القرآن ، تفسير غريب القرآن ، الأعلام ، الزركلي ، مجلد 4 ، ص 137 .

(2) انظر : تأويل مشكل القرآن ، عبد الله بن مسلم ابن قتيبة ، ص 180 ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار التراث ، الطبعة الثانية ، 1973م.

(3) انظر : ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ص 52

(4) البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، مجلد 3 ، ص 9

فذكر العديد من فوائد التكرار⁽¹⁾ :

(1) إن إبراز الكلام الواحد في أساليب مختلفة وفنون كثيرة لا يخفى ما فيه من الفصاحة.

(2) إذا كرر القصة في مواضع مختلفة يدل ذلك على أنهم عاجزون عن الإتيان بمثل القرآن أي نظم جاء .

(3) إذا كرر القصة زاد فيها شيئاً ، ألا ترى أنه ذكر الحية في عصا موسى عليه السلام ، وذكرها في موضع آخر ثعباناً ففائدته أن ليس كل حية ثعباناً .

(د) الزمخشري : فإن أهم ما يؤدّيه هو تقرير المكرر وتوكيده وإظهار العناية به ليكون أمثل في السلوك وأبين للاعتقاد ، يقول الزمخشري: "فائدته أن يجددوا عند استماع كل نبأ منها اتعاضاً وتنبهياً ، وإن كلاً من تلك الأبناء مستحق لاعتبار يختص به ، وأن ينبهوا كي لا يغلبه السرور والغفلة " (2) .

ويقول في موضع آخر: "إن في التكرير تقريراً للمعاني في الأنفس، وتثبيتاً لها في الصدور. ألا ترى أنه لا طريق إلى تحفظ العلوم إلا ترديد ما يُرام تحفظه منها. وكلما زاد ترديده كان أمكن له في القلوب، وأرسخ له في الفهم، وأثبت للذكر، وأبعد من النسيان؟" (3) .

2- نفاة التكرار :

إن الذين نفوا وجود التكرار في القرآن يرون أن المقصود من كل كلمة تكرر لفظها في القرآن، هو غير نفس تلك الكلمة في موضع آخر. فإذا تكررت كلمة في القرآن مرتين، فالكلمة واحدة، لكن المعنى والمقصود اثنان. وإذا تكررت كلمة أو آية في القرآن خمس مرات، فالكلمة واحدة، لكن المعاني والمقاصد خمسة.

(1) البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، مجلد 3 ، ص (26 ، 27)

(2) الكشف ، الزمخشري ، مجلد 4 ، ص 435 .

(3) البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، مجلد 3 ، ص 20

ومن أشهر نفاة التكرار في القرآن الكريم :

أ- الخطيب الإسكافي (1) : أثبت بالدليل أنه لا تكرر في القرآن الكريم ضرب مثلاً على ذلك قوله تعالى : ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ { النبأ : 4 ، 5 } ، فالناظر إلى هاتين الآيتين يعتقد أن فيها تكراراً ، ولكن عند التأمل فيهما ، يجد أن الآية الأولى تختص بالعلم في الدنيا ، والآية الثانية تختص بالعلم في الآخرة ، فهو إذاً ليس بتكرار (2).

ب- سيد قطب : " يرد القصص في القرآن في مواضع ومناسبات ، وهذه المناسبات التي يساق القصص من أجلها ، هي التي تحدد مساق القصة ، والحلقة التي تعرض منها ، والصورة التي تأتي عليها ، والطريقة التي تؤدي بها ، تنسيقاً للجو الروحي والفكري ، والفني الذي تعرض فيه ، وبذلك تؤدي دورها الموضوعي ، وتحقق غايتها النفسية ، وتلقي إيقاعها المطلوب .

ويحسب الناس أن هناك تكراراً في القصص القرآني ، لأن القصة الواحدة يتكرر عرضها في سور شتى ، ولكن النظرة الفاحصة تؤكد أنه ما من قصة أو حلقة من قصة قد تكررت في صورة واحدة ، من ناحية القدر الذي يساق وطريقة الأداء في السياق ، وأنه حينما تكررت حلقة كان هنالك جديد تؤدي بنفي حقيقة التكرار (3) .

ج- فضل عباس : أما الإدعاء بوجود تكرار في آيات وألفاظ من كتاب الله ، فلا صحة له ، ونذكر لك بعض هذه الآيات التي ادعي أن فيها تكراراً ، مناقشين لها ، لتدرك ، أن كتاب الله خال من شبه التكرار (4) .

وإليك بعض الأمثلة التي توضح ذلك (5) :-

1) قال تعالى في شأن تحويل القبلة : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ { البقرة : 144 } ، وبعد هذه الآية يقول ربنا تبارك وتعالى : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ

(1) هو محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي أبو عبد الله ، عالم بالأدب واللغة ، من أهل أصبهان ، كان إسكافاً ، ثم عمل خطيباً بالرقي ، من مصنفاته : درة التنزيل وغرة التأويل ومبادئ اللغة ، توفي 420هـ . الأعلام ، الزركلي ، مجلد 6 ، ص 227 .

(2) انظر : درة التنزيل وغرة التأويل ، الخطيب الإسكافي ، ص 356 .

(3) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، مجلد 1 ، ص 64 .

(4) انظر : إعجاز القرآن ، فضل عباس ، ص 210 ، منشورات جامعة القدس المفتوحة 1996م .

(5) المرجع السابق ، ص (210 - 213) .

وَجَهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأْتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿البقرة : 150﴾ .

هذه الآيات الكريمة حينما يقرؤها القارئ ، يجد أن الأمر بتولية الوجه شطر المسجد الحرام قد ذكر أكثر من مرة ، فيذهب الكثيرون إلى ذلك للتأكيد . ولكننا حينما نمعن النظر نجد أن الآيات الكريمة لم تذكر للتأكيد فحسب ، وإنما كان لكل واحدة منها غرضها التي تؤديه ، وغايتها التي تقصد إليها ، فنحن نعلم خطورة قضية القبلة ، من حيث إنها جاءت تلبية لرغبة النبي - ﷺ - ومن حيث ما فيها من استقلال شخصية المسلمين في عبادتهم ، ولقد كان تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة أول نسخ في الإسلام ؛ لذا وجدنا هذه العناية شأن هذا التحويل ، ومع ذلك كان لكل آية مغزى خاص بها .

فالآية الأولى جاءت تبين للنبي - ﷺ - والمؤمنين ، إن هذه القبلة التي تمنيتموها ورغبتم فيها أجاكم الله لما طلبتم ، وأما الآية الثانية فلقد كان الأمر فيها لبيان قضية أخرى ، وهي أن هذه القبلة التي أمركم الله أن تتحولوا إليها لن تنسخ أبداً وهي القبلة الباقية ، وأما الآية الثالثة فجاءت تبين أن الهدف من هذا الأمر بالتحويل إلى القبلة ، من أجل أن تقطعوا دابر كل قول فلا يبقى للناس عليكم حجة .

وهكذا - إذن - نجد أن أمر التكرار لا يستقيم مع غاية الآيات الكريمة ولما اخترنا ذلك القول ، عللنا كل أمر بما يناسبه أخذاً من الآيات نفسها ، فالأمر الأول بالتولية شطر المسجد الحرام جاء عقب قوله تعالى : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾ ، وأما الأمر الثاني فقد جاء بعده قوله سبحانه : ﴿ وَأَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ﴾ ومعنى هذه الجملة الكريمة أنه حق ثابت لن ينسخ أبداً ، أما الآية الثالثة فالأمر فيها ظاهر ، فلقد ذكر بعدها ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾ (1) .

(2) في سورة عمران ذكر قوله تعالى : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ مرتين ، أولها في قوله تعالى : ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ { آل عمران : 28 } ، وثانيها في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ

(1) انظر: إعجاز القرآن ، فضل عباس ، ص 210 ، منشورات جامعة القدس المفتوحة 1996م .

مُحْضَرًا وَمَا عَمَلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿﴾ { آل عمران : 30 } ، وجاء كل من التحذيرين بعد قضية مهمة ، فجاء التحذير الأول بعد نهي المؤمنين عن موالاته الكافرين ، حيث ما أصاب المسلمين اليوم من ضعف إلا بسبب هذه الموالاته ، وجاء الآخر في سياق مشهد من مشاهد يوم القيامة ، فالتحذير الأول يترتب عليه العذاب الدنيوي من تفرق وذلة ، وأما التحذير الثاني فيترتب عليه العذاب الأخروي (1).

3) سورة الكافرون حيث قالوا بالتركرار فيها ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ { الكافرون : 1- 6 } ، فأول السورة نداء للكافرين ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ ، وآخر آية حكم ونتيجة ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ ، وما بين هاتين الآيتين أربع آيات يمكن أن نقسمها إلى مجموعتين ، أولاً : قوله تعالى ﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ وقوله : ﴿ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴾ فالآيتان تشيران إلى أن النبي - ﷺ - لا يعبد ما يعبده الكافرون .

4) قوله تعالى : ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ ، وهي تنفي عبادة المشركين لما يعبد النبي - ﷺ - .

والذين ذهبوا إلى التكرار قالوا إنه للتأكيد ، ولكن الجمهور من العلماء ذهبوا إلى عدم التكرار في السورة الكريمة (2).

(1) انظر : إجاز القرآن ، فضل عباس ، ص 211 ، منشورات جامعة القدس المفتوحة 1996م .
(2) انظر : المرجع السابق ، ص 212 .

الخلاصة

يتضح من خلال الوقوف على أقوال العلماء من مؤيدين ومعارضين للتكرار للفاصلة القرآنية ما يلي :

1- إن ما عابوه من التكرار وهو ما كان مستغنى عنه غير مستفاد به ليس في القرآن شيء منه ؛ لأنه يكون فضلاً من القول .

2- اتفاق العلماء على أن القصة في القرآن الكريم قد تتكرر من حيث كونها قصة لا من حيث الألفاظ ، فنجد أن القرآن يعرض ما يتناسب مع السياق القرآني من هذه القصة يقول سيد قطب : حين يقرأ الإنسان هذه الحلقات يجد أنها مناسبة للسياق الذي وردت فيه ، سواء في اختيار الحلقة التي تعرض هنا أو هناك ، أو في طريقة عرضها .

3- إن المتدبر لآيات العقيدة يجد أنها خالية من التكرار ، لأن كل موضع قررت في العقيدة نجد فيه معنى وفائدة جديدة لا نجدها في الموضع الآخر ، ويقول الإمام الغزالي (1) وهو يتحدث عن أسماء يوم القيامة وما فيها من أهوال ، يقول - رحمه الله - " ولو كنت متفكراً فيما تقرؤه لكنت جديراً بأن تنشق مرارتك مما شاب منه شعر سيد المرسلين - ﷺ - وإذا قنعت بحركة اللسان فقد حرمت ثمرة القرآن فالقيامة أحد ما ذكر فيه ، وقد وصف الله بعض دواهيها : القيامة وأكثر من أساميها ، لنقف بكثرة أساميها على كثرة معانيها ، فليس المقصود بكثرة الأسامي تكرير الأسمي والألقاب ، بل الغرض تنبيه أولي الأبواب ، فتحت كل اسم من أسماء القيامة سر وفي كل نعت من نعوتها معنى ، فاحرص على معرفة معانيها (2)

(1) هو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، أبو حامد ، حجة الإسلام : فيلسوف متصوف ، له نحو مائتي مصنف ، مولده ووفاته في الطابران ، ولد سنة 450 هـ وتوفي سنة 505 هـ ، من كتبه : إحياء علوم الدين ، تهافت الفلاسفة . انظر الأعلام ، الزركلي ، مجلد 7 ، ص 22 له نحو مائتي مصنف ، مولده ووفاته في الطابران ، ولد سنة 450 هـ وتوفي سنة 505 هـ ، م

(2) إحياء علوم الدين ، الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، مجلد 4 ، ص 549 ، دار إحياء الكتب العربية بيروت ، لبنان . ،

المبحث الرابع

أشهر من كتب حول الفاصلة القرآنية

لقد انتبه العلماء إلى الفاصلة القرآنية قديماً وحديثاً ، وسوف نتناول أقوال العلماء حول الفاصلة القرآنية كما يلي : -

المطلب الأول : الفاصلة القرآنية عند العلماء القدامى :

1- الإمام الرماني : حيث تكلم عن الفاصلة القرآنية في كتابه (النكت في إعجاز القرآن)

فقال : " الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إيفهام المعاني والواصل بلاغة ، والأسجاع عيب ، وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني ، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها (1) .

ثم نجده يقسم الفواصل على وجهين فيقول : " والواصل على وجهين : أحدهما على الحروف المتجانسة والآخر على الحروف المتقاربة ، فالحروف المتجانسة كقوله تعالى : ﴿ طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكر لمن يخشى ﴾ { طه : 1 ، 3 } . الآيات . وكقوله : ﴿ والطور وكتاب مسطور ﴾ { الطور : 1 ، 2 } .. الآيات ، وأما الحروف المتقاربة فكالميم مع النون ، كقوله تعالى : ﴿ الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ﴾ { الفاتحة : 3 ، 4 } ، وكالدال مع الباء نحو : ﴿ ق والقرآن المجيد ﴾ { ق : 1 } ، ثم قال : ﴿ هذا شيء عجب ﴾ { ق : 2 } ، وإنما حسن في الفواصل الحروف المتقاربة ، لأنه يكتنف الكلام من البيان ما يدل على المراد في تمييز الفواصل والمقاطع ، لما فيه من البلاغة وحسن العبارة " (2) .

2- الزركشي : وعرف الفاصلة القرآنية بقوله : " وهي كلمة آخر الآية ، كقافية الشعر وقرينة السجع " .

نجده يقف على تعريف الفاصلة عند العلماء ، ويفرق بين السجع والفاصلة ، بل نجده ينفى السجع عن القرآن الكريم حيث قال : ويمتنع استعمال القافية في كلام الله ؛ لأن الشرع لما سلب عنه اسم الشعر وجب سلب القافية أيضاً عنه لأنها منه ، وخاصة به في الاصطلاح ، وكما يمتنع استعمال القافية في القرآن ، لا تطلق الفاصلة في الشعر ، لأنها صفة لكتاب الله .

(1) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ص 97

(2) المرجع السابق ، ص 98

ثم نجده يتحدث عن إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل قائلاً : " واعلم أن إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل حيث تطرد متأكد جداً ، ومؤثر في اعتدال نسق الكلام وحسن موقعه من النفس تأثيراً عظيماً " .

ثم يتحدث عن ختم مقاطع الفواصل بحروف المد واللين فيقول : " قد كثر في القرآن الكريم ختم كلمة المقطع من الفاصلة بحروف المد واللين وإلحاق النون ، ثم نجده يبين أن مبنى الفواصل على الوقف ؛ ولهذا شاع مقابلة المرفوع بالمجرور وبالعكس وكذا المفتوح والمنصوب ، ثم بعد ذلك يقسم الفواصل باعتبار المتماثل والمتقارب في الحروف وباعتبار المتوازي والمتوازن والمطرف ، ثم بين أنه قد تجتمع فواصل في موضع واحد ويخالف بينها ، وقد تختلف الفاصلتين في موضعين والمحدث عنه واحد لحكمة عظيمة وفي المقابل قد تتفق الفاصلتين والمحدث عنه مختلف وقد تكون الفاصلة لا نظير لها في القرآن ؛ كقوله تعالى بعد الأمر بغض البصر في سورة النور : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ { النور : 30 } ، وقوله تعالى بعد الأمر بطلب الدعاء والإجابة : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ { البقرة : 186 } (1) .

3- الإمام الباقلاني : حيث تحدث عن الفاصلة القرآنية فقال : " ثم الفواصل قد تقع على حروف متجانسة ، كما تقع على حروف متقاربة ، ولا تحتل القوافي ما تحتل الفواصل ، لأنها ليست في الطبقة العليا في البلاغة ، لأن الكلام يحسن فيها مجانسة القوافي وإقامة الوزن " (2) .

4- السيوطي : حيث تحدث في النوع التاسع والخمسين من كتابه (الإتقان) ، عن فواصل الآيات فذكر عدة تعريفات للعلماء في الفاصلة القرآنية ثم ذكر بعد ذلك طرق معرفة الفواصل ، حيث ذكر أن لمعرفة الفواصل طريقان : توقيفي وقياسي ، فالتوقيفي : هو ما وقف عليه النبي - ﷺ - دائماً .

والقياسي : هو ما اجتهد فيه العلماء قياساً على ما وقف عليه النبي - ﷺ - .

(1) انظر : البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، مجلد 1 ص (53 - 100)

(2) إعجاز القرآن ، الباقلاني ، ص 271 .

ثم نجده يتحدث عن الفائدة من الفاصلة وبيّن أن الهدف منها تحسين الكلام ، ثم يعرض بعد ذلك لسؤال : هل يجوز استعمال السجع في القرآن ؟ ، وبيّن رأي الجمهور على عدم جواز ذلك .

ثم يبيّن أن فواصل القرآن لا تخرج عن أحد أربعة أشياء : التمكين ، والتصدير ، والتوشيح ، والإيغال ، ثم يتحدث بعد ذلك عن أقسام الفواصل حيث قسمها إلى : مطرف ، ومتوازن ، ومتوازي ، ومرصع ، ومتمائل (1) .

المطلب الثاني : الفاصلة القرآنية عند العلماء المحدثين :-

1- سيد قطب : يعد سيد قطب من أكثر الدارسين المحدثين توسعاً في دراسة أوجه التناسب في النظم القرآني ، وقد تناول هذا الموضوع ضمن حديثه عن (التصوير الفني في القرآن) . وبدأ حديثه في هذا الموضوع بتقديم عرض موجز لما سبق أن اكتشفه العلماء من ألوان التناسب القرآني ومن ذلك :

(أ) الإيقاع الموسيقي الناشئ من تخير الألفاظ ونظمها في نسق خاص .

(ب) النكت البلاغية التي تنبه إليها العلماء : كالتعقيبات المنفقة مع السياق ، كأن تجيء الفاصلة : { وهو على كل شيء قدير } ، بعد كلام يثبت القدرة ، { وإن الله عليم بذات الصدور } ، بعد الكلام عن العلم المستور ، وكأن يعبر بلفظ الرب في مواضع التربية والتعليم ، مثل : قوله تعالى : ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ { العلق : 1 } ، بينما يعبر بلفظ الله في مواضع التأليه والتعظيم مثل : قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ { لقمان : 34 } .

(ج) ثم تحدث عن ألوان أخرى هي أبعد وأرقى من الأولى فوقف على موضوع التناسب الإيقاعي : حيث أشار إلى أن في القرآن إيقاعاً موسيقياً متعدد الأنواع ، يتناسق مع الجو ويؤدي وظيفة أساسية في البيان وتحدث عن نظام الفواصل وتنوعه في السور المختلفة ، وفي السورة الواحدة ، تبعاً لتنوع المواقف والأغراض (2) .

2- محمد عبد الله دراز : لقد وقف في معرض حديثه عن القواعد في دراسة التناسب المعنوي فتحدث : " عن الجمع بين الأجناس المختلفة والوقوف على نهج القرآن

(1) انظر : الإيتقان ، السيوطي ، جزء 3 ص (247-266) .

(2) انظر : التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب ، ص (84 - 94)

الذي يعمد إلى الأضداد يجاور بينها أو ربما جاور بين شيئين في الوضع المكان دعامة لاقتراهما في النظم (1).

3- **مصطفى صادق الرافعي** : حيث وقف في كتابه (إعجاز القرآن) على مدى أهمية الحروف وأصواتها وتحدث عن المناسبة في الفاصلة القرآنية قائلاً : " وتراها أكثر ما تنتهي بالنون والميم ، وهما الحرفان الطبيعيان في الموسيقى نفسها ، أو بالمد ، وهو كذلك طبيعي في القرآن ، فإن لم تنته بواحدة من هذه كأن انتهت بسكون حرف من الحروف الأخرى ، كان ذلك متابعة لصوت الجملة وتقطيع كلماتها ، ومناسبة للون المنطق بما هو أشبه وأليق بموضعه ، وعلى أن ذلك لا يكون أكثر ما أنت واجده إلا في الجمل القصار ، ولا يكون إلا بحرف قوي يستتبع القلقة أو الصفير أو نحوهما مما هو ضروب أخرى من النظم الموسيقي .
وانصرف اهتمام الرافعي إلى أمرين :

أ) تناسب الأصوات : فأوضح بطريقة تطبيقية كيف تتناسب الأصوات والحروف والحركات في النظم القرآني ، وكيف يؤدي كل عنصر من هذه العناصر وظيفته الخاصة في لحن موسيقي متناسب النغمات لذلك ذهب إلى أن الروعة التي داخلت نفوس العرب من سماع القرآن ، منبعها : " أنهم رأوا حروفه في كلماته ، وكلماته في جملة ألقاناً لغوية رائعة كأنها لا تتلافها وتناسبها قطعة واحدة .

يبدو من ذلك أن اهتمام الرافعي انصرف إلى التناسب الصوتي واللفظي في القرآن الكريم ، وكان يؤمن بأن حروف القرآن مرتبة باعتبار من أصواتها ومخارجها ، وتناسبها في الجهر والهمس والشدة والرخاوة ، والتفشي والتكرير(2).

ب) جمال تناسب الفواصل : انتبه الرافعي إلى فواصل القرآن الكريم ، فأكد قيمتها في جمال النظم الموسيقي فأشار إلى أنها : " متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقاً عجبياً ، يلائم نوع الصوت الذي يساق عليه ... وتراها أكثر ما تنتهي بالنون والميم ، وهما الحرفان الطبيعيان في الموسيقى نفسها ، أو بالمد ، وهو كذلك طبيعي في القرآن " .

(1) انظر : النبأ العظيم ، محمد دراز ، ص (145 - 163)

(2) انظر : إعجاز القرآن ، الرافعي ، ص (227 - 238) .

ثم يقول : " وانفرد القرآن بهذا الوجه للعجز ، فتألفت كلماته من حروف لو سقط واحد منها ، أو أبدل بغيره ، أو أقحم معه حرف آخر ، لكان ذلك خللاً بيناً في نسق الوزن ، وجرس النغمة ، في حس السمع وذوق اللسان ، وفي انسجام العبارة وبراعة المخرج ، وتساند الحروف وإفشاء بعضها إلى بعض ولرايت لذلك هجنة في السمع ، كالذي تنكره من كل مرئي لم تقع أجزاءه على ترتبها ، ولم تتفق على طبقاتها " (1) .

ومن هنا يتبين أن الرافي يعد أول من عني من المحدثين بقيمة الأصوات اللغوية ، وجمال نظمها ، بقيمة الألفاظ وحسن تأليفها في النظم القرآني .

4- **فضل عباس** : حيث تناول الفاصلة القرآنية في كتابه (إعجاز القرآن) فبين أنهم أطلقوا على ما ختمت به الآية الكريمة فاصلة ، كما سموا ما ختم به بيت الشعر قافية . ثم نجده يتحدث عن تناسب الفاصلة مع معنى الآية وموضوعها ويقسم الفواصل من حيث غرضها الذي جاءت من أجله إلى : فواصل أمرها ظاهر لا تحتاج إلى بيان وأخرى تحتاج إلى تأمل وتدبر (2) .

فتحدث قائلاً عن مناسبة الفاصلة بأنها جاءت متسقة مع موضوع الآية ، وليس الأمر عشوائياً فقال : " ومما يدل على إحكام الفاصلة في كتاب الله تعالى إحكاماً فيه دقة الصنعة ، وإحكام الروعة أننا نجد في القرآن على طوله وكثرة آياته ، فهي تربوا على ستة آلاف آية ، تذكر فيها الفاصلة مرة واحدة أو مرتين " (3) .

5- **مناع القطان** : حيث بين أن القرآن الكريم تميز بمنهج فريد في فواصله ، وبين أسباب تسمية الفاصلة بهذا الاسم لأن الكلام ينفصل عنها ، ثم نجده يفرق بين الفواصل والسجع فيقول : " والذي أراه أنه إذا كان المراد بالسجع مراعاة موالاته الكلام على وزن واحد دون مراعاة المعنى فإن هذا تكلف ممقوت في كلام الناس فضلاً عن كلام الله . أما إذا روعيت المعاني وجاء الاتفاق في الوزن تابعاً لها دون تكلف فهذا ضرب من ضروب البلاغة ، قد يأتي في القرآن كما يأتي في غيره ، وإذا سمينا هذا في القرآن بالفواصل دون السجع فذلك لتلافي إطلاق السجع على

(1) إعجاز القرآن ، الرافي ، ص 217 .

(2) انظر : إعجاز القرآن ، فضل عباس ، من منشورات جامعة القدس المفتوحة ، ص (199 - 206) .

(3) انظر : المرجع السابق ، ص 207 .

القرآن بالمعنى الأول " ، ثم يتحدث عن أنواع الفواصل في القرآن الكريم ويقسمها إلى أربعة أنواع : المتماثلة ، المتقاربة ، المتوازي ، المتوازن (1).

(1) انظر : مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان ، ص (136 – 138) .

الفصل الثالث

الظواهر البلاغية في فواصل سورة النساء

ويشتمل على أربعة مباحث :

المبحث الأول : مقدمات حول سورة النساء ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : سورة النساء ومحورها والجو الذي نزلت فيه

المطلب الثاني : اختيار الفواصل القرآنية في سورة النساء

المبحث الثاني : مناسبة فواصل الآيات لموضوع الآية ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الآيات التي تشتمل فواصلها على أسماء الله الحسنى وعلاقتها بموضوع الآية .

المطلب الثاني : الآيات التي لا تشتمل فواصلها على أسماء الله الحسنى وعلاقتها بموضوع الآية .

المبحث الثالث : الظواهر البلاغية في فواصل الآيات ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : بناء الفاصلة القرآنية

المطلب الثاني : التقديم والتأخير في الفاصلة القرآنية .

المطلب الثالث : التكرار في فواصل الآيات .

المبحث الرابع : خروج الكلام عن مقتضى الظاهر ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر في فواصل الآيات

المطلب الثاني : الإظهار في مواضع الإضمار

المطلب الثالث : الأغراض البلاغية للخبر والأمر والاستفهام في فواصل الآيات

الفصل الثالث

الظواهر البلاغية في فواصل سورة النساء

المبحث الأول

مقدمات حول سورة النساء

المطلب الأول : سورة النساء ومحورها والجو الذي نزلت فيه : -

أولاً : محور السورة :

لكل سورة من القرآن الكريم شخصيتها الخاصة ، وبصمتها التي تميزها عن غيرها ، ومحورها الذي تلتقي عنده جميع موضوعاتها ، فلو وقفنا على سورة النساء نجد أنها تعمل على محو الجاهلية بكل تصوراتها وترسي في المقابل المنهج الرباني ، الذي يكشف عن مساوئ الجاهلية ، ثم إنها تعمل على التعريف بأعداء هذا المجتمع سواء كانوا من أهل الكتاب ، أو كانوا من المنافقين ، فتعمل السورة جاهدة على كشف مخططاتهم ومكائدهم ، ونستطيع القول بأن محور السورة هو : بناء الفرد والأسرة والمجتمع وفق المنهج الإسلامي ونبذ المجتمع الجاهلي بتصورات الخاطئة (1).

ثانياً : أهداف السورة (2)

- 1- دعت السورة إلى المحافظة على كرامة المرأة و إعطائها حقوقها التي فرضها الله تعالى ، كالمهر والميراث ، ودعت إلى الحفاظ على المجتمع من الفاحشة .
- 2- تعرضت بالتفصيل لأحكام المواريث ، حيث حددت نصيب كل فرد ، على الوجه الدقيق الذي يحقق العدالة والمساواة .
- 3- تناولت تنظيم العلاقات الزوجية وبينت حق الزوج على الزوجة وحق الزوجة على الزوج ، ووضعت طرق العلاج في حال الخلاف والشقاق .
- 4- انتقلت من الحديث عن دائرة الأسرة إلى دائرة المجتمع وما يلزمه .
- 5- انتقلت إلى الاستعداد للأمن الخارجي من أجل الحفاظ على الأمة واستقرارها ، فأمرت بأخذ العدة والاستعداد لمكافحة الأعداء .
- 6- وضعت بعض قواعد المعاملات الدولية بين المسلمين والدول الأخرى في السلم والحرب .

(1) انظر : في ظلال القرآن ، سيد قطب ، مجلد 1 ، ص 555 .

(2) انظر : المرجع السابق ، مجلد 1 ، ص 556 وما بعدها .

7- كشفت المنافقين على حقيقتهم وحذرت من أخطارهم ومكائدهم .

8- نبهت إلى خطر أهل الكتاب وبخاصة اليهود ، وختمت ببيان ضلالات النصارى في

أمر المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام .

ثانياً : ترتيب السورة وعدد آياتها ومكيثها أو مدنيثها :-

وهي السورة الرابعة من القرآن الكريم وهي أطول سور القرآن بعد سورة البقرة وترتيبها في النزول بعد سورة الممتحنة (1). وعدد آياتها مائة وست وسبعون آية (2) وقد أجمع العلماء على مدنية سورة النساء واستثنى بعضهم قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ { النساء : 58 } والحق كما قال الدكتور فضل عباس أنها مدنية وذلك بالرجوع إلى ضوابط المكي والمدني حيث أن ما نزل بعد الهجرة فهو مدني وإن نزل في مكة (3) والدليل على مدنية سور النساء ما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : " لقد نزل على محمد بمكة وإني لجارية ألعب : بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر و ما نزلت سور البقرة و النساء إلا وأنا عنده " (4) . أي عند رسول ﷺ - حيث بدأت عائشة - رضي الله عنها - حياتها مع النبي - ﷺ - في شوال من السنة الأولى للهجرة (5) .

ثالثاً : جو نزول السورة :-

بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وإقامته الدولة الإسلامية في المدينة المنورة ، أخذ أعداء الله وأصحاب المنهج الجاهلي يخططون للإطاحة بالدولة الإسلامية ؛ ولكن كان أمر الدولة الإسلامية في كل يوم يزداد رفعة ، ولقد كان بداية نزول سورة النساء في السنة الثالثة للهجرة ، وامتد نزولها إلى السنة الثامنة للهجرة ، وخلال هذه السنوات كانت الدولة الإسلامية كل يوم في صعود وانتصار ؛ (6) لذلك لو نظرنا إلى فواصل

(1) انظر : التفسير الكبير ، للرازي ، جزء 9 ، ص 157 ، في ظلال القرآن ، سيد قطب ، جزء 4 ، ص 203 .

(2) انظر : الإتقان ، السيوطي ، جزء 1 ، ص 211 ، التفسير المنير ، الزحيلي ، جزء 4 ص 219 (3) انظر : إتقان البرهان في علوم القرآن ، للدكتور فضل عباس جزء 1 ص 382 ، دار الفرقان ، عمان - الأردن ، الطبعة الأولى 1997م .

(4) صحيح البخاري بشرح ابن حجر العسقلاني ، مجلد 9 ، ص 45 ، كتاب القرآن ، باب تأليف القرآن ، حديث (4993) .

(5) انظر : التفسير المنير ، وهبة الزحيلي ، جزء 4 ص 219 .

(6) انظر : في ظلال القرآن ، سيد قطب ، جزء 1 ، ص 554 .

سورة النساء نجد أن معظمها تتناغم مع هذه المرحلة حيث أن معظم فواصلها جاءت على حرف الألف الذي يدل على الارتقاء والصعود والشموخ ، إلا أنه وفي بعض الأحيان كانت تمر على المسلمين أوقات عصيبة ، مثل حصار الأحزاب للمدينة المنورة ، حيث أصاب المسلمون ألوانا من العذاب من شدة الجوع والخوف ، فكانت بعض فواصل هذه السورة تشير إلى هذه المرحلة العصيبة التي تحتاج من المسلمين إلى الصبر والتحمل ، فكانت بعض فواصل السورة أحيانا تنتهي بالميم وفي أخرى تنتهي بالواو ، فحرف الميم فيه انطباق الشفتين ، وحرف الواو من حروف العلة الذي يستخدمه المريض عند تألمه ، وكلا الحرفان يبين مدى المعاناة والألم الذي أصاب المسلمين ، ثم بعد ذلك يأتي صلح الحديدية الذي هو بمثابة نصر للإسلام .

رابعاً : مناسبة سورة النساء لما قبلها وما بعدها :-

1- مناسبة سورة النساء للبقرة :-

وأقول : هذه السورة أيضاً شارحة لبقية مجملات سورة البقرة⁽¹⁾ .

(1) إنه أجمل في سورة البقرة : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ {البقرة : 35} ، وبين هنا أن زوجته خلقت منه في قوله ﴿ خَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ {النساء : 1} .
(2) أجمل في سورة البقرة آية اليتامى ، آية الوصية ، والميراث ، والوارث ، في سورة البقرة قوله : ﴿ وَعَلَى الْوَارِثِ مِنْ ذَلِكَ ﴾ {البقرة : 233} ، وفصل ذلك في هذه السورة أبلغ تفصيل ، فنجده يحدد بالضبط نصيب أصحاب الفروض وغيرهم⁽²⁾ .

(3) قال تعالى في سورة البقرة : ﴿ وَالْأُمَّةُ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ ﴾ {البقرة : 221} ، فذكر نكاح الأمة إجمالاً ، وفصل هنا شروطه ، فأباح نكاح الإماء المؤمنات ، واشترط نكاحهن بموافقة أسيادهن ، وأمر أن ندفع لهن المهور عن طيب نفس ولا نبخس منه شيئاً استهانة بهن⁽³⁾ .

(4) ذكر الصداق في سورة البقرة مجملاً بقوله : ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً ﴾ {البقرة : 229} ، وشرحه هنا مفصلاً ، فحذر تعالى من أخذ شيء

(1) انظر : أسرار ترتيب القرآن ، للسيوطي ، ص (70 - 71)

(2) انظر : المرجع السابق ، ص 71

(3) انظر : المرجع السابق ، ص 71

من المهر بعد الطلاق ولو كان المهر كبيراً يبلغ القنطار فلا تأخذوا ولو قليلاً من ذلك المهر ، وكيف يباح لكم ذلك وقد استمتعتم بهن بالمعاشرة الزوجية (1).

2- مناسبة سورة النساء لآل عمران :

(1) إن سورة آل عمران ختمت بالأمر بالتقوى ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ { آل عمران : 200 } وافتتحت هذه السورة به وذلك من أكد وجوه المناسبات في ترتيب السور ، وهو نوع من أنواع البديع يسمى تشابه الأطراف (2) .

(2) إن في آل عمران ذكرت الغزوة التي بعد أحد وحمراء الأسد ، بقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ﴾ { آل عمران : 172 } وأشير إليها هنا بقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ { النساء : 104 } (3).

(3) إنه لما ذكر في آل عمران قصة خلق عيسى بلا أب ، وأقيمت له الحجة بآدم ، وذلك تبرئة لأمه ، خلافاً لما يزعم اليهود ، وتقريراً لعبوديته ، خلافاً لما يزعم النصارى ، ذكر في هذه السورة الرد على الفريقين معاً فرد على اليهود بقوله : ﴿ وَبَكَرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴾ { النساء : 156 } ، وعلى النصارى بقوله : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ { النساء : 171 } ، وإلى قوله : ﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ ﴾ { النساء : 172 } ، (4) .

(4) إنه لما ذكر في آل عمران : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِي مَتَوْفِيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ { آل عمران : 55 } ، رد هنا على من زعم قتله بقوله ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ

(1) انظر : أسرار ترتيب القرآن ، للسيوطي ، ص 71

(2) انظر : جواهر البيان في تناسب سور القرآن ، عبد الله محمد الغماري ، ص 21 ، مكتبة القاهرة ، الطبعة الثالثة 2006م ..

(3) انظر : أسرار ترتيب القرآن ، للسيوطي ، ص 71 .

(4) المرجع السابق ، ص 72 .

إِلَّا اتَّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا {157} بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿﴾
النساء : 157 ، 158 ، { (1) .

(5) إنه لما قال في آل عمران في المتشابهة : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ { آل عمران : 7 } ، قال هنا ﴿ لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ { النساء : 162 } ، (2) .

(6) : إنه لما قال في آل عمران : ﴿ زَيْنٌ لِّلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ { آل عمران : 14 } ، فصل هذه الأشياء في السورة التي بعدها على نسق ما وقعت في الآية ، ليعلم ما أحل الله من ذلك فيقتصر عليه ، وما حرم فلا يتعدى إليه لميل النفس إليه (3) .

3- علاقة سورة النساء بالمائدة:

لما ختم سورة النساء أمر بالتوحيد والعدل بين العباد ، أكد ذلك بقوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ { المائدة : 1 } (4)

4- مناسبة أول سورة النساء لآخرها:

قال الرازي في مناسبة سورة النساء أولها لآخرها : " واعلم أن في هذه السورة لطيفة عجيبة ، وهي أن أولها مشتمل على بيان كمال قدرة الله تعالى فإنه قال ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ { النساء : 1 } وهذا دال على سعة القدرة ، وآخرها مشتمل على بيان كمال العلم وهو قوله : ﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ { النساء : 176 } وهذان الوصفان بهما تثبت الربوبية والألوهية والجلالة والعزة " (5) .

(1) انظر : أسرار ترتيب القرآن ، للسيوطي ، ص 72 .

(2) انظر : المرجع السابق ، ص 72 .

(3) انظر : المرجع السابق ، ص 72 .

(4) انظر: جواهر البيان في تناسب سور القرآن ، عبد الله محمد الغماري ، ص 22، مكتبة القاهرة ، الطبعة الثالثة ، 2006 .

(5) المرجع السابق ، الجزء 21 : ص 122 .

المطلب الثاني : اختيار الفواصل القرآنية في سورة النساء :-

أولاً : دراسة الفواصل في السورة

للفواصل دلالتها على المقاطع ، وتعمل على تحسين الكلام ، وترتبط بما قبلها من الكلام ارتباطاً وثيقاً ، ولو حذفت لاختل المعنى ، لذلك لو نظرنا في سور القرآن الكريم فمنها السور التي جاءت فواصلها كلها على حرف واحد ، ومن ذلك سورة المنافقين ، فإن فواصلها جاءت على حرف النون ، وسورة الفيل فواصلها جاءت على حرف اللام ، وكذلك سورة الناس فواصلها جاءت على حرف السين ، وقد يأتي في السورة الواحدة أكثر من فاصلة ، مثل سورة الإسراء فإن فواصلها وإن جاءت على الألف ، فقد جاءت فيها فاصلة على غير الألف وهي الراء في قوله تعالى : إنه هو السميع البصير . وعند الوقوف على فواصل سورة النساء نجد أنها في معظمها تسير على فاصلة واحدة وهي الألف ، وجاءت فواصل على حروف أخرى في مواضع محدودة ويمكن حصرها في الآتي :

1- جاءت فاصلة على حرف اللام في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ

الْكِتَابِ يَشْتُرُونَ الضَّلَالََةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴾ { النساء : 44 }

2- آية واحدة على النون في قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ

يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ { النساء : 14 }

3- خمس آيات على الميم :

(أ) قوله تعالى : ﴿... وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ

وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاء فِي التُّلْثِ مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ

يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ { النساء : 12 }

(ب) ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ { النساء : 13 }

(ج) ﴿... فَإِذَا أَحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ

ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

{ النساء : 25 }

(د) ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

{ النساء : 26 }

هـ ﴿... وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ { النساء : 176 }

و) وقد يكون القرآن خاليا من المقاطع في بعض الآيات ، لكنه لا ينزل في مستواه عن مستواه الأعلى ، ومن ذلك كثير من آيات الأحكام كما في قوله تعالى : ﴿... كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنِ آبَائِكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلِكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ السُّنُنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورِثُ كَاللَّهِ أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ { النساء : 11 ، 12 } فبالرغم من طول هاتين الآيتين ، ومع ذلك لا يوجد فيها إلا مقطعان وليس من الفواصل المتقاربة ولا المتماثلة ، وبرغم ذلك نجد أن الألفاظ متجانسة والمعاني متلاقية ، ولم ينزل بمرتبة الكلام كثرة ذكر الأرقام ، بل بقي على صفة العلو⁽¹⁾ .

4- آية واحدة على الواو : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِمَّنِّي وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ { النساء : 3 } .

ثانياً : علاقة الفاصلة بسياقها من خلال سورة النساء :

من خلال الوقوف على آيات السورة يتبين أن الفاصلة القرآنية تأتي في مكانها المناسب ، ولا تخرج عن أحد الأمور التالية :

1- التمكين : أن تأتي الفاصلة متمكنة في مكانها ومنه قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ { النساء : 1 } ، بعد أن تحدث عن تقوى الله وخلق الناس من نفس واحدة جاءت الفاصلة مناسبة في مكانها حيث أن الرقيب الذي يحفظ عليك جميع أفعالك ، ومن كان كذلك يجب أن يخافه الناس⁽²⁾ .

(1) انظر : الفاصلة القرآنية ، عبد الفتاح لاشين ، ص 6 .

(2) انظر : التفسير الكبير ، الرازي ، مجلد 5 ، ص 173 ..

2- التصدير : وهو أن تكون لفظة الفاصلة تقدمت في الآية وهو ما يسمى رد العجز على الصدر ومنه قوله تعالى : ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ { النساء : 166 } .

3- الإيغال : ومنه قوله تعالى :

- ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ { النساء : 14 } ، حيث أن الحديث كان عن عصيان الله ورسوله ، فكان يكفي أن يبين عاقبة هذا العصيان وهو دخول النار ولكنه زاد عليه ببيان الخلود في النار والوعد بالعذاب المهين .

- ومنه قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ { النساء : 58 } ، فالآية قد تجاوزت المعنى المطلوب ، واكتمل المعنى بقوله تعالى : (أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ) فاحتاج بعد ذلك فاصلة تناسب المعنى .

ثانياً : أمثلة على اتحاد الموضوع مع اختلاف الفواصل:-

1- قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ { النساء : 48 } وقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ { النساء : 116 } ختم الآية مرة بقوله (فقد افترى) وأخرى بقوله (فقد ضل) لأن الآية الأولى نزلت في اليهود ، وهم الذي افتروا على الله ما ليس في كتابهم ، والثانية نزلت في الكفار ، ولم يكن لهم كتاب ، فكان ضلالهم أشد (1) .

2- قوله تعالى : ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ {128} وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُواهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ {129} { النساء : 128، 129 } ما السبب في ختم الآية الأولى بقوله (فإن الله كان بما تعملون خبيراً) وختمت الثانية بقوله تعالى : (فإن الله كان غفوراً رحيماً) والسبب في ذلك أن الفاصلة في كل من الآيتين جاءت مناسبة لموضوعها

(1) انظر : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، تحقيق الأستاذ محمد علي النجار ، ص 174 ، المكتبة العلمية ، بيروت .

، فلما كان الحديث في الآية الأولى عن المرأة وخوفها من زوجها أن يتركها أو يقتل عليها في النفقة بسبب بغضها ، فلها أن تسقط عنه حقها أو بعضه من نفقة أو مبيت أو غير ذلك ، وله أن يقبل ذلك منها ، فالوفاق أحب إلى الله من الفراق ، فالله تعالى يعلم مشقة الصبر على ما تكرهون منهن ، وسيجزىكم على ذلك أوفر الجزاء ، فناسب أن تختم الآية بقوله (فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) . والسبب في ختم الآية الثانية : لما كان العدل بين النساء في أمر المحبة غير مستطاع ؛ لأن ذلك ليس إليهم دعاهم إلى العدل في الأمور المستطاعة ، وحذرهم من الميل إلى إحدى الزوجات في حالة الزواج بأكثر من واحدة ، برغم ذلك وعدمهم بالمغفرة والرحمة إذا اتقوا الله فيما يملكون لذلك جاءت فاصلة الآية غفورا رحيمًا وكانت في قمة التوفيق والتناسق مع موضوع الآية (1) .

ثالثاً : اتفاق الفواصل مع اختلاف الموضوع

إن المتأمل لسورة النساء يجد أن كثيرا من الفواصل متشابهة مع اختلاف الموضوع الذي تتحدث عنه وذلك كما يلي :

1- نجد أن الفاصلة (وكان الله عليما حكيما) قد جاءت في خمسة مواضع على النحو التالي : قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ { النساء : 17} .
تتحدث الآية عن التوبة بصفة عامة ، فهو عليم بمن يطيع ، حكيم حيث يضع الأشياء مواضعها . (2)

قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ { النساء : 92 } ، الحديث هنا عن توبة القتل الخطأ ، فهو عليم بمن قتل خطأ ، حكيم حيث جعل الكفارة للقتل الخطأ . (3)

(1) انظر : الفاصلة القرآنية ، عبد الفتاح لاشين ، ص (140، 141) ، دار المريخ .

(2) انظر : البحر المحيط ، أبي حيان ، مجلد 3 ، ص 209 .

(3) انظر : المرجع السابق ، مجلد 3 ، ص 328 .

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونًا فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُ كَمَا تَأْمُونُ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ { النساء : 104 } ففي حالة القتال فإنكم تجدون من الآلام الشيء الكثير ، وفي المقابل أعداء الله يجدون منكم ، ولكن تصبرون على الآلام ؛ لأنكم تعلمون عظم الثواب فالله عليم بما تجدونه من الآلام ، حكيم فيما أمر. (1)

قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ { النساء : 111 } لما كان الحديث عن الذنوب ووبالها ، ناسب أن يختم بقوله : عليما أي عليما بمن أذنب ، حكيمًا ومن حكمته أنه لا يعاقب بالذنب إلا صاحبه (2) .

قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ { النساء : 170 } لما كان الحديث عن صفات الله وملكه للسموات والأرض، ومن كانت تلك صفاته فهو غني عنكم ، فهو عليم بمن يؤمن به ، له حكمة في إرسال الرسل (3).

2- الفاصلة (وكان الله غفورا رحيمًا) قد وردت في ثلاثة مواضع :

قوله تعالى: ﴿ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ { النساء : 96 } لما كان الحديث عن القعود عن الجهاد وكان ذلك بعذر ناسب أن يختم بقوله غفورا رحيمًا (4).

قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَآغِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ { النساء : 100 } لما كان الحديث عن الهجرة وربما منع الإنسان من الهجرة فناسب أن يختم بقوله غفورا رحيمًا (5).

قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ { النساء : 152 } لما كان الحديث عن الإيمان

(1) انظر : الأساس في تفسير ، سعيد حوى ، مجلد2 ، ص1166

(2) انظر : المرجع السابق ، مجلد2 ، ص1179

(3) انظر : المرجع السابق ، مجلد2 ، ص1238

(4) انظر : البحر المحيط ، أبي حيان ، مجلد 3 ، ص 346 .

(5) انظر : المرجع السابق ، مجلد 3 ، ص 351.

بالله وجميع رسله بدون تفريق بينهم ، وكان الخطاب موجها للأمة الإسلامية ، فسوف يؤتيها الثواب الموعود لها وكان الله عفورا لذنوبهم رحيمًا بهم في الدنيا والآخرة⁽¹⁾ .

3- الفاصلة (وكفى بالله شهيدا) وردت في موضعين :

قوله تعالى: ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ { النساء : 79 } لما كان الحديث عن إرسال الرسول وقد كذبه الناس فناسب أن يختم بقوله وكفى بالله شهيدا ، أي على رسالتك⁽²⁾ .
قوله تعالى: ﴿ لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ { النساء : 166 } لما كان الحديث عن إنزال القرآن فشهد الله ما نزل للنبي حق⁽³⁾ .

4- الفاصلة (وكان الله عزيزا حكيما) وردت في موضعين :

قوله تعالى: ﴿ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ { النساء : 158 } لما كان الحديث عن رفع عيسى عليه السلام إلى السموات وهو متعذر على البشر ختم بقوله عزيزا حكيما ، أي لا يقدر على ذلك إلا من هذه صفاته⁽⁴⁾ .
قوله تعالى: ﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ { النساء : 165 } ، لما كان الحديث عن إرسال الرسل ولا يقدر على ذلك إلا الله ناسب أن يختم بقوله عزيزا حكيما⁽⁵⁾ .

5- الفاصلة (وكفى بالله وكيلا) وردت في ثلاثة مواضع :

قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ { النساء : 81 } ،
عندما كان الحديث عن المنافقين وعدم طاعتهم للنبي دعاهم للتوكل على الله⁽⁶⁾ .
قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ { النساء : 132 } ، لما كان الله وحده مالك السموات والأرض فاتخذوه وكيلا في شئونكم كلها⁽⁷⁾ .

(1) انظر : الأساس في تفسير ، سعيد حوى ، مجلد2 ، ص1219

(2) انظر : المرجع السابق ، مجلد2 ، ص1238

(3) انظر : البحر المحيط ، أبي حيان ، مجلد 3 ، ص 416 .

(4) انظر : المرجع السابق ، مجلد 3 ، ص 407 .

(5) انظر : الأساس في تفسير ، سعيد حوى ، مجلد2 ، ص1237

(6) انظر : البحر المحيط ، أبي حيان ، مجلد 3 ، ص 317 .

(7) انظر : الأساس في تفسير ، سعيد حوى ، مجلد2 ، ص1196

قوله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ {النساء : 171} ، لما حاجت الآيات أهل الكتاب في عيسى عليه السلام وأثبتت الوجدانية لله ، ومن كانت هذه صفاته كافي جميع مخلوقاته فلا حاجة إلى صاحبة ولا ولد (1).

(1) انظر : البحر المحيط ، أبي حيان ، مجلد 3 ، ص 351.

المبحث الثاني

مناسبة فواصل الآيات لموضوع الآية

المطلب الأول : الآيات التي تشتمل فواصلها على أسماء الله الحسنى وعلاقتها بموضوع الآية :-

لما كانت الكثير من الفواصل القرآنية تشتمل على أسماء الله الحسنى فلا بد من الوقوف على معاني هذه الأسماء ، لذلك سنقف على مدلولات هذه الأسماء وهي كالتالي :-

أولاً : معاني أسماء الله الحسنى :

1- البصير : قال ابن القيم :

وهو البصير يرى دبيب النملة الس ويرى مجاري القوت في أعضائها ويرى خيانات العيون بلحظها وداء تحت الصخر والصوان ويرى نياط عروقها بعيان ويرى كذاك تقلب الأجفان⁽¹⁾ من الفعل بصر ، على وزن فعيل ، جاء في لسان العرب : " أبصرت الشيء : إذا رأيته ، ومن أسماء الله تعالى البصير ، وهو الذي يشاهد الأشياء كلها ، ظاهرها وخافئها بغير جارحة⁽²⁾ ، والمولى سبحانه بصير ، فهو يبصر بكيفية لا ندركها نحن البشر ، " وهو منزّه عن أن يكون له حدقة وأجفان ، ومقدس على أن يرجع إلى انطباع الصور والألوان " ⁽³⁾ .

2- التواب : قال ابن القيم :

وكذلك التواب من أوصافه إذن بتوبة عبده وقبولها والتوب في أوصافه نوعان بعد المتاب بمنة المنان⁽⁴⁾ صيغة مبالغة على وزن فعال ، وجاء في لسان العرب : " التوبة الرجوع من الذنب ، وتاب إلى الله يتوب توباً وتوبة ومتاباً : أناب ورجع عن المعصية إلى الطاعة⁽⁵⁾ . فالعبد يكون تواباً إذا أكثر من التوبة ، والله تواب لأنه يعود على العبد بالمغفرة .

(1) شرح أسماء الله الحسنى ، ابن قيم الجوزية ، ص 166

(2) لسان العرب ، ابن منظور ، مجلد 2 ، ص 93

(3) المقصد الأسنى ، ص 91

(4) شرح أسماء الله الحسنى ، ابن قيم الجوزية ، ص 242

(5) لسان العرب ، ابن منظور ، مجلد 2 ، ص 244 .

3- الحسيب : قال ابن القيم :

وهو الحسيب حماية وكفاية
والحسب كافي العبد كل أوان (1)
جاء في لسان العرب : أن الحسيب تعني : " الكافي ، فعيل بمعنى يفعل من أحسبني الشيء ، إذا كفاني ، وأحسبته وحسبته بالتشديد : أعطيته ما يرضيه حتى يقول حسبي ، والحسب : العد والإحصاء ، وكفى بالله حسيباً يكون بمعنى محاسباً ويكون بمعنى كافياً " (2) فالله - سبحانه وتعالى - حسيب لأنه كاف جميع خلقه من جهة ، ثم إنه يحاسبه من جهة أخرى .

4- الحكيم : قال ابن القيم :

وهو الحكيم وذا من أوصافه
نوعان أيضاً ما هما عدمان (3)
جاء في لسان العرب أن : " الحكيم ذو الحكمة ، والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء لأفضل العلوم ، وأن الحكم والحكيم ، هما بمعنى الحاكم ، وهو القاضي ، وهو فعيل بمعنى فاعل ، وفيه أيضاً أن الحكيم المتقن للأمور ، أحكم الأمر أي أتقنه (4) .

إن حكمة الله تعالى مطلقة ، ليست كحكمة البشر لأن " الحكمة من الله تعالى معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الأحكام ، ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات (5) . " والحكيم هو العادل في التقدير والمحسن في التدبير ، ذو الحكمة البالغة الذي يضع كل شيء موضعه بحسب المصلحة (6) . وجاء في الأسماء والصفات للبيهقي ، أن الحكيم : " هو المحكم لخلق الأشياء ، صرف عن مفعل إلى فعيل ، معنى الإحكام لخلق الأشياء ، إنما ينصرف إلى إتقان التدبير فيها ، وحسن التقدير لها " (7) .

(1) شرح أسماء الله الحسنى ، ابن قيم الجوزية ، ص 250

(2) انظر : لسان العرب ، ابن منظور ، مجلد 4 ، ص 112

(3) شرح أسماء الله الحسنى ، ابن قيم الجوزية ، ص 188

(4) لسان العرب ، ابن منظور ، مجلد 4 ، ص 186

(5) معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم ، الأصفهاني ، ص 142 .

(6) النور الأسمى في أسماء الله الحسنى ، سليمان سامي محمود ، ص 75 ، دار الصابوني ، القاهرة .

(7) الأسماء والصفات ، البيهقي ، ص 34 .

5- الحليم : قال ابن القيم :

وهو الحليم فلا يعاجل عبده بعقوبة ليتوب من عصيان⁽¹⁾ جاء في لسان العرب : " أن الحليم الذي لا يستخفه عصيان العصاة ، ولا يستفزه الغضب عليهم " ⁽²⁾ والحليم من الحلم : أي العقل والأناة والصبر فهي نقيض السفه . والله تعالى حليم لأنه لا يحبس إنعامه وفضله عن عباده ، لأجل ذنوبهم والصافح مع العجز لا يستحق اسم الحليم ، إنما الحليم هو الصفح مع القدرة ⁽³⁾ . فكم يرى - سبحانه - عصيان العصاة ، ولا يسارع للانتقام ؛ لأنه الحليم .

6- الخبير : وهو من الفعل خبر ، " وخبرتُ الأمرُ أخبره ، أعرفته على حقيقته " ⁽⁴⁾ . وهي صيغة تدل على الكثرة " والخبرة أبلغ من العلم لأنها علم وزيادة ، فالخبير بالشيء من علمه ، وقام بمعالجته وبيانه وتجربته وامتحانه ، فأحاط بتفاصيله الدقيقة ، وألم بكيفية وصفه على الحقيقة ⁽⁵⁾ . وهو الذي أحاط علمه بالظاهر والبواطن والإسرار والإعلان ، وبالواجبات ، والمستحيلات والممكنات " ⁽⁶⁾ .

7- الرحيم : والرحمة تعني الرقة والتعطف ، والمرحمة مثله ، وقد تراحم القوم رحم بعضهم بعضاً ، ورحيم على وزن فعيل بمعنى فاعل ، كما قالوا سميع بمعنى سامع ، وقدير بمعنى قادر ⁽⁷⁾ . والرحيم اسم يشترك فيه البشر ، لكن رحمة الله مطلقة ، ورحمة الله تامة وعامة ، أما تمامها فمن حيث أنه أراد قضاء حاجات المحتاجين وقضاها ، وأما عمومها فمن حيث شمولها المستحق وغير المستحق " ⁽⁸⁾ .

" والرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم ، وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة ، وإذا وصف البارئ بها فليس يراد بها إلا

(1) شرح أسماء الله الحسنى ، ابن قيم الجوزية ، ص 152

(2) لسان العرب ، ابن منظور ، مجلد 4 ، ص 210

(3) الأسماء والصفات ، البيهقي ، ص 68 .

(4) لسان العرب ، ابن منظور ، مجلد 5 ، ص 10

(5) أسماء الله الحسنى الثابتة في القرآن والسنة ، ص 67

(6) شرح أسماء الله الحسنى ، ابن قيم الجوزية ، ص 318

(7) لسان العرب ، ابن منظور ، مجلد 6 ، ص 124 .

(8) المقصد الأسنى ، مجلد 1 ، ص 62 ،

الإحسان المجرد دون الرقة ، وعليه روي أن الرحمة من الله إنعام وإفضال ، ومن الأدميين رقة وتعطف " (1) .

8- الرقيب : قال ابن القيم :

وهو الرقيب على الخواطر واللوا حظ كيف بالأفعال بالأركان (2)

جاء في لسان العرب : " أن الرقيب على وزن فعيل ، وهو الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء ، ورقب الشيء يرقبه ، وراقبه مراقبة أي حرسه ، ورقيب القوم حارسهم " (3) فانه - سبحانه وتعالى - رقيب لأنه يحفظ عباده ويحرسهم ولا يغيب عنه شيء في الأرض ولا في السماء . قال الغزالي : " هو العليم الحفيظ من راعى الشيء حتى لم يغفل عنه ، لاحظته ملاحظة دائمة ولازمه لزوماً (4)

9- السميع : قال ابن القيم :

وهو السميع يرى ويسمع كل ما في الكون من سر ومن إعلان (5) وهو على وزن فعيل من الفعل سمع : " السمع ما وقر في الأذن شيء تسمعه ، والله - سبحانه - سميع لا يعزب عن إدراكه مسموع وإن خفي فهو يسمع من غير جارحة (6) وفي اللسان : " ولست أنكر من كلام العرب أن يكون السميع سامعاً ومسمعاً (7) . والسمع لله تعالى مطلق ، متمم بالكمال لأنه : " لا يقف سمع الله عند ما به تنطق الشفتان ، أو يتحرك به اللسان بل يتجاوز ذلك إلى الإحاطة بما تهتف به الضمائر ، وما تتناجى به السرائر ، وما يجول بالخواطر (8)

10- الشكور : قال ابن القيم :

وهو الشكور فلن يضيع سعيهم لكن يضاعفه بلا حسابان (9) الذي يشكر القليل من العمل (10) ، ويغفر الكثير من الزلل ، الذي لا يضيع سعي العاملين لوجهه بل يضاعفه أضعافاً مضاعفة ، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً ،

(1) معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم ، ص 216

(2) شرح أسماء الله الحسنى ، ابن قيم الجوزية ، ص 207

(3) لسان العرب ، ابن منظور ، مجلد 6 ، ص 199 .

(4) المقصد الأسنى ، ، ص 118 .

(5) شرح أسماء الله الحسنى ، ابن قيم الجوزية ، ص 161

(6) لسان العرب ، ابن منظور ، مجلد 7 ، ص 256 .

(7) المرجع السابق نفسه ، ص 256 .

(8) النور الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى ، سليمان سامي محمود ، ص 45 .

(9) شرح أسماء الله الحسنى ، ابن قيم الجوزية ، ص 138

(10) المرجع السابق ، ص 138

وقد أخبر في كتابه وسنة نبيه بمضاعفة الحسنه الواحدة بعشر إلى سبعمائة إلى أضعاف كثيرة ، وذلك من شكره لعباده " (1) .

11-الشهيد : هو الحاضر الذي لا يغيب عن علمه شيء ، " وهو على وزن فعيل ، وهو من أبنية المبالغة ، فإذا اعتبر العلم مطلق فهو العليم ، وإذا أضيف إلى الأمور الباطنة فهو الخبير ، وإذا أضيف إلى الأمور الظاهرة فهو الشهيد (2) .
فإنه شهيد على كل شيء لأنه حاضر ، ليس حضوراً مكانياً ولا زمانياً وإنما حضور يليق بجلاله .

12-العزير : العز في اللغة : " القوة والشدة والغلبة ، والعزة : الرفعة والامتناع (3) ، ومن أسمائه العزير : أي الغالب الذي لا يغلبه أحد ، وعز : بمعنى قل . جاء في لسان العرب : " عز الشيء يعز عزاً وعز وهو عزيز : قل حتى كاد لا يوجد (4) .

" العزير : هو الخطير الذي يقل وجود مثله ، وتشتد الحاجة إليه ، ويصعب الوصول إليه فما لم يجتمع هذه المعاني لم يطلق عليه اسم العزير وشدة الحاجة إن يحتاج إليه كل شيء في كل شيء ، وليس ذلك على الكمال إلا الله ، فهو العزير المطلق (5) .

13-العفو : قال ابن القيم :

وهو العفو فعفوه وسع الورى
العفو على وزن فعول : وهو التجاوز عن الذنب ، وترك العقاب ، وأصله المحو والطمس ، وهو من أبنية المبالغة يقال : عفا يعفو عفواً .
وكل من استحق عقوبة فتركها فقد عفوت عنه ، وهو مأخوذ من عفت الرياح الآثار إذا درستها ومحتها " (7) أي أن الله سبحانه وتعالى يمحو السيئات ، ويتجاوز عن المعاصي فهو لا يسقط العقوبة عن عبده فحسب بل يمحو أثر الذنب.

(1) شرح أسماء الله الحسنى ، ابن قيم الجوزية ، ص 139

(2) لسان العرب ، ابن منظور ، مجلد 8 ، ص 15 .

(3) المرجع السابق ، مجلد 10 ، ص 134

(4) المرجع السابق ، مجلد 10 ، ص 135

(5) المقصد الأسنى ، ص 73 .

(6) شرح أسماء الله الحسنى ، ابن قيم الجوزية ، ص 303

(7) العرب ، ابن منظور لسان العرب ، ابن منظور ، مجلد 10 ، ص 210

14-**العلي** : على وزن فعيل بمعنى فاعل فهو صفة مشبهة للموصوف بالعلو ، وفي كتب اللغة أن العلي هو الشريف الذي ليس فوقه شيء ، وعلو كل شيء أرفعه⁽¹⁾ . والله تعالى (علي) : " لأنه يعلو أن يحيط به وصف الواصفين ⁽²⁾) ، وهو علي ؛ لأنه علي بذاته فوق جميع خلقه ⁽³⁾) ، وعلوه تعالى مطلق ليس كعلو البشر ، إذ مهما علا البشر تضل درجته أعلى من درجتهم .

15-**العليم** : قال ابن القيم :

وهو العليم أحاط علما بالذي وبكل شيء علمه سبحانه وكذا يعلم ما يكون غدا وما وكذلك أمر لم يكن لو
في الكون من سر ومن إعلان فهو المحيط وليس ذا نسيان قد كان والموجود في ذا الآن كان كيف يكون ذا إمكان⁽⁴⁾

جاء في الكليات أن العلم هو : " معرفة الشيء على ما هو به ، والمعنى الحقيقي للفظ العلم هو الإدراك " . ⁽⁵⁾ والعليم هو العالم بالسرائر والخفيات التي لا يدركها علم الخلق ، وجاء على وزن فعيل للمبالغة في وصفه للعلم ⁽⁶⁾ . وعلم الله تعالى واسع يسع كل أفعال الخلق وحركاتهم وسكناتهم . وعلم الله غير مستفاد من الأشياء ، بل الأشياء مستفادة منه ، وعلم العبد بالأشياء تابع للأشياء وحاصل بها ⁽⁷⁾

16-**الغفور** : قال ابن القيم :

وهو الغفور فلو أتى بقرابها لأتاه بالغفران ملء قرابها
من غير شكر بل من العصيان سبحانه هو واسع الغفران ⁽⁸⁾

الغفر في اللغة : التغطية والستر ، وغفر الله ذنوبه أي سترها ⁽⁹⁾ ، والغافر والغفار والغفور جميعها أسماء للمولى - جل ثناؤه - منها ما هو للمبالغة ، كالغفور والغفار

(1) شرح الأسماء الحسنى الثابتة في القرآن والسنة ، محمود عبدالرزاق الرضواني ، ص 54 ، مكتبة دار الرضوان ، مصر ، الطبعة الأولى 2004 م .
(2) معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم ، ص 386 .
(3) شرح الأسماء الحسنى الثابتة في القرآن والسنة ، ص 43
(4) شرح أسماء الله الحسنى ، ابن قيم الجوزية ، ص 171
(5) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي ، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري ، ص 610 ، مؤسسة الرسالة
(6) الأسماء والصفات ، البيهقي ، ص 135 ، تحقيق عبد الله بن عامر ، دار الحديث ، القاهرة .
(7) المقصد الأسنى ، مجلد 1 ، ص 87 .
(8) شرح أسماء الله الحسنى ، ابن قيم الجوزية ، ص 242
(9) لسان العرب ، ابن منظور ، مجلد 11 ، ص 64 .

، والغفران والمغفرة من الله هو أن يسان العبد من أن يمسه العذاب (1) . والغفور هو الذي يستر المذنبين في كل حين ، وكلما دعوه ليغفر لهم ذنوبهم غفر لهم " والغفران يقتضي إسقاط العقاب ، ونيل الثواب ، ولا يستحقه إلا المؤمن ، ولا يستعمل إلا في البارئ تعالى " (2) . فمن هنا يتضح الفرق الدقيق بين اسمه تعالى الستير وبين الغفور ، إذ أن الستر أخص من الغفران ، إذ يجوز أن يستتر ولا يغفر (3) .

17- التقدير : قال ابن القيم

وهو التقدير وليس يعجزه إذا ما رام شيئاً قط ذو سلطان (4) وهو على وزن فعيل ، من الفعل قدر ، وجاء في لسان العرب : " التقدير و القادر من صفات الله عز وجل يكونان من القدرة ، أو من التقدير ، والله سبحانه مقدر كل شيء وقاضيه ، وقدر على الشيء قدرة أي ملكه ، فهو قادر وقدير (5) ، " الله سبحانه وتعالى هو التقدير كمال القدرة ، بقدرته أوجد الموجودات ، وبقدرته دبرها ، وبقدرته سواها وأحكمها " (6) والقادر المطلق الذي يخترع كل موجود اختراعاً ينفرد به ويستغني فيه عن معاونته غيره ، وهو الله تعالى ، وأما العبد فله قدرة على الجملة لكنها ناقصة إذ لا يتناول إلا بعض الممكنات " (7) .

18- الكبير : تعني : " العظيم الجليل ، الكبير أي ذي الكبرياء ، أصلها الكبر بالكسر ، وهي العظمة ، يقال كَبُرَ بالضم يكبر إذا عظم (8) . " فالمولى كبير في ذاته ، كبير في أفعاله ، كبير في صفاته ، وهو بهذا المعنى ينفرد لذات الله فهو الكبير في ملكه الكبير في رحمته (9) .
فإن الله تعالى هو الكبير وما عداه في هذا الكون صغير حقير .

(1) معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم ، ص 405

(2) الكلبيات ، أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي ، ص 666

(3) المرجع السابق ، ص 666 .

(4) المرجع السابق ، ص 89

(5) لسان العرب ، ابن منظور ، مجلد 12 ، ص 36 .

(6) شرح أسماء الله الحسنى ، ابن قيم الجوزية ، ص 328 .

(7) المفصل الأسنى ، ص 96 .

(8) لسان العرب ، ابن منظور ، مجلد 3 ، ص 10 .

(9) أسماء الله الحسنى ، محمد متولي الشعراوي ، مجلد 11 ، ص 102 ، أخبار اليوم قطاع الثقافة ، القاهرة ، مصر .

19- الله : هو المألوه المعبود ، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين ، لما اتصف به من صفات الألوهية .

" وهو يدل على ذات الله تعالى وعلى أفعاله الحكيمة ، وعلى أسمائه الحسنی كلها ، فهو الاسم الذي يجمع كل أسماء الله تعالى (1) .

وقال ابن قيم الجوزية (2) : " اسم الله مستلزم لجميع معني الأسماء الحسنی دال عليها بالإجمال والأسماء الحسنی تفصيل وتبين لصفات الإلوهية التي اشتق منها اسم الله ، واسم الله دال على كونه مألوهاً معبوداً تأله الخلائق محبة وتعظيماً وخضوعاً وفرحاً إليه في الحوائج والنوائب . (3)

20- المحيط : جاء في لسان العرب : ، " أن فعله حوط أو حاط يحوط حوطاً وحيط ، أي : حفظه وتعهده ، " (4) والإحاطة على وجهين أحدهما : الأجسام ، نحو أحاط بمكان كذا . أو تستعمل في الحفظ (5) . والمولى محيط لأنه أحاط بعباده فلا يستطيعون الفرار منه (6) .

21- المقيت : المقيت في اللغة : " الذي يعطي كل شيء قوته ، والقوت : ما يمسك الريق من الرزق ، وأنا أقوته أي : أعوله برزق قليل ، يقال : ما عنده قوت ليلة ، أي ما يقوم به بدن الإنسان من الطعام . وقيل : المقيت هو الحفيظ الذي يعطي الشيء على قدر الحاجة من الحفظ (7) .

22- النصير : وهي من نصر بمعنى : " والنصر إعانة المظلوم نصرة على عدوه (8) ، وقيل : " النصير فعيل بمعنى فاعل أو مفعول ، لأن كل واحد من المتناصرين ناصر ومنصور ، وقد نصره إذا أعانه على عدوه (9) .

(1) المقصد الأسنى في تفسير أسماء الله الحسنی، أحمد بن فهد أبو العباس الحلبي ، ص 35 ، .
(2) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، أبو عبدالله شمس الدين ، أحد كبار العلماء ، مولده ووفاته في دمشق ، تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله ، بل ينتصر له في جميع ما يصدر عنه ، وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه ، وسجن معه في قلعة دمشق ، من كتبه : إعلام الموقعين ، مفتاح السعادة ، طريق الهجرتين ، ولد سنة 691هـ وتوفي سنة 751هـ .
الأعلام ، الزركلي ، مجلد 6 ، ص 56 .

(3) شرح أسماء الله الحسنی ، ابن قيم الجوزية ، ص 104 ، جمع أحمد بن شعبان بن أحمد ، مكتبة الصفا ، الطبعة الأولى ، 2006م .

(4) لسان العرب ، ابن منظور ، مجلد 4 ، ص 272 .

(5) مفردات ألفاظ القرآن الكريم ، ص 152 .

(6) شرح أسماء الله الحسنی ، ابن قيم الجوزية ، ص 366 .

(7) لسان العرب ، ابن منظور ، مجلد 12 ، ص 214 .

(8) المرجع السابق ، مجلد 5 ، ص 210 .

(9) النهاية في غريب الأثر ، مجلد 3 ، ص 143 .

23- **الواسع** : جاء في كتب اللغة : " أن السعة نقيض الضيق ، وهو كذلك الغنى والرفاهية . ووسع عليه : رفهه وأغناه . والمولى واسع لأنه وسع رزقه جميع خلقه ، ووسعت رحمته كل شيء وغناه كل فقر⁽¹⁾ .

وقيل : " الغني الذي وسع غناه مفقر عباده ، ووسع رزقه جميع خلقه " ⁽²⁾.

24- **الوكيل** : الوكيل : هو المقيم الكفيل بأرزاق العباد . وهو من الفعل وكل يقال : وكل فلان فلاناً إذا إستكفاه أمره ثقة بكفايته أو عجزاً عن القيام بأمر نفسه ⁽³⁾ ، والله هو الوكيل لأن أمر الخلائق كلها موكولة إليه . فهو الوكيل المتولي لتدبير خلقه ، بعلمه ، وكمال قدرته ، وشمول حكمته ، الذي تولى أوليائه ، فيسرهم ليسرى وجنبهم العسرى ، كفاهم الأمور ، فمن اتخذه وكيلاً كفاه ⁽⁴⁾.

ومن معاني المقيت : القادر المطلع ، وهو راجع إلى العلم والقدرة ⁽⁵⁾.

25- **والولي** : يعني : " الناصر ، وقيل المتولي لأمر العالم والخلائق ، القائم بها ، والولاية : النصر ⁽⁶⁾ . والولي من أبنية المبالغة فعيل ، " والولي والمولى يستعملان في ذلك كل واحد منهما يقال في معنى الفاعل : أي الموالي وفي معنى المفعول : أي الموالي ⁽⁷⁾ .

" والولي المتولي لأمر خلقه القائم على تدبير ملكه ⁽⁸⁾ .

ثانياً : فواصل الآيات التي تشتمل على أسماء الله الحسنى وعلاقتها بموضوع الآية:-

أولاً : مناسبة الآيات التي تشتمل فواصلها على اسم واحد لموضوع الآية :

1- **الرقيب**: ورد اسم الله في موضع واحد في سورة النساء هو قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ { النساء : 1 } وختم الآية بهذا الاسم (الرقيب) مناسب ، حيث به يتم دفع توهم

(1) لسان العرب ، ابن منظور ، مجلد 15 ، ص 211 .

(2) أسماء الله الحسنى الثابتة في القرآن والسنة ، ص 43 .

(3) لسان العرب ، ابن منظور ، مجلد 15 ، ص 272 .

(4) شرح أسماء الله الحسنى ، ابن قيم الجوزية ، ص 336 .

(5) انظر : المقصد الأسنى ، ص 113 .

(6) المرجع السابق ، مجلد 15 ، ص 281 .

(7) مفردات ألفاظ القرآن الكريم ، ص 606 .

(8) أسماء الله الحسنى الواردة في الكتاب والسنة ، ص 76 .

من يرى أن كثرة العباد ووجوده بينهم يمكن أن ينجيه من رقابة الله التي تحصي كل أعماله لتحاسبه عليها ، فناسب أن يختم بالرقيب الذي لا تعجزه الكثرة ، فالرقيب هو الذي يحفظ عليك جميع أفعالك ، ومن هذا صفته فإنه يجب أن يخاف ويخشى (1) .

2- الحسيب : ورد الحسيب في سورة النساء في موضعين ، الأول قوله تعالى : ﴿ وَابْتُلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ { النساء : 6 } مناسبة الفاصلة لموضوع الآية : لما كانت الأموال مظنة لميل النفوس ، والحب للشيء يعمي ويصم ؛ ختم الآية بقوله وكفى بالله حسيبا : أي محاسباً بليغاً في الحساب ، فهو أبلغ تحذير له وللأيتام من الخيانة والاعتداء على حقوق الغير (2) .

والمأمل للآية يجد أن (الحسيب) مناسبة في سياقها ، فالحديث في الآية يدور عن الأيتام وحقوقهم المالية ، وهذه أموال محسوبة لا تنقص ، وهي مسألة حسابية يناسبها أن تكون فاصلة الآية (الحسيب) الذي يحاسب جميع عباده ، بما فيهم الوصي على اليتيم ، قال الإمام الألويسي في تفسيره لهذه الآية : " كفى به تعالى محاسباً لكم ، فلا تخالفوا ما أمرتم به ، ولا تجاوزوا ما حد لكم ، ولا يخفى موقع المحاسب هنا ، لأن الوصي يحاسب على ما في يده " (3) والموضع الثاني في: قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ {النساء:86} قال البقاعي : " أي محصياً لجميع المتعددات دقيقها وجليلها ، كافياً لها في أقواتها ومثوباتها ، محاسباً بها ، مجازياً عليها وذلك كله شأن المقيت " (4) : وقال سعيد حوى : " أي يحاسب على كل شيء من التحية وغيرها " (5) وقال أبو حيان : " محاسباً

(1) انظر : التفسير الكبير ، الفخر الرازي ، مجلد 5، ص173

(2) انظر : نظم الدرر ، البقاعي ، مجلد 2 ، ص 217 .

(3) روح المعاني ، الألويسي ، مجلد 3 ، ص 326

(4) نظم الدرر ، البقاعي ، مجلد 2 ، ص 292

(5) الأساس في التفسير ، سعيد حوى ، مجلد 2 ، ص 1137

من الحساب أو محسباً من الإحساب وهو الكفاية" (1) ، وقال السعدي : " فيحفظ على العباد أعماله ، حسنهما ، وسيئها ، صغيرها وكبيرها ، ثم يجازيهم بما اقتضاه فضله وعدله ، وحكمه المحمود " (2) .

والمناسبة لموضوع الآية في غاية الوضوح : لما أمرنا تعالى أن نرد التحية بأحسن منها ، أو نرد التحية بمثلها ، وكان هذا الأمر خاضعاً للحساب ، ناسب ختم الآية بالحسب ، لأن الله حسيب لكل شيء ، قال القرطبي : حسيب فعيل من الحساب ، وحسنت هذه الصفة هنا ، لأن معنى الآية ، في أن يزيد الإنسان أو ينقص ، أو يوفي قدر ما يجيء به " (3) .

3- الرحيم : ورد اسم الرحيم مفرداً في فواصل الآيات في سور النساء في موضع واحد هو قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ { النساء : 29} فأكل الأموال بالباطل بين البشر فيه ظلم وقسوة ومشقة ، وقتل النفوس فيه شدة وألم وعناء ، والنهي عنهما لا يكون إلا من تمام الرحمة ، يقول الفخر الرازي : " ثم بين تعالى أنه رحيم بعباده ، ولأجل رحمته نهاهم عن كل ما يستوجبون به مشقة أو محنة ، وقيل أنه أمر بني إسرائيل بقتلهم أنفسهم ليكون توبة لهم ، وتمحيصاً بخطاياهم ، وكان بكم يا أمة محمد رحيماً حيث لم يكلفكم تلك التكاليف الصعبة " (4). وكذلك يقول الألوسي : " إن الله كان بكم رحيماً ، تعليل للنهي ، والمعنى إنه تعالى لم يزل مبالغاً في الرحمة ، ومن رحمته بكم نهيكم عن أكل الحرام ، وإهلاك الأنفس ، وقيل معناه : أنه كان بكم يا أمة محمد رحيماً ، إذ لم يكلفكم قتل الأنفس في التوب كما كلف بني إسرائيل بذلك (5) . وهناك فرق بين الرؤوف والرحيم حيث جاء في لسان العرب : أن الرأفة أشد من الرحمة (6)

(1) البحر المحيط ، أبي حيان ، مجلد 3 ، ص 323 .
(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المسمى تفسير السعدي ، أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي ، ص 149 ، المكتبة العصرية ، بيروت .
(3) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، مجلد 3 ، ص 267 .
(4) انظر التفسير الكبير ، الفخر الرازي ، مجلد 5 ، ص 75 .
(5) روح المعاني ، الألوسي ، مجلد 5 ، ص 16 .
(6) لسان العرب ، ابن منظور ، مجلد 6 ، ص 60 .

4- العليم : عند الوقوف على سورة النساء نجد أن اسم العليم ورد مفرداً في فواصل الآيات في مواضع خمس :

(1) قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا لِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا وَاللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ { النساء : 32 } عليم : عليم بمن يستحق الدنيا فيعطيه منها ، وبمن يستحق الآخرة فيوفقه لأعمالها ، وبمن يستحق الفقر فيفقره ، وبمن يستحق الخذلان فيخذله (1) .

(2) قوله تعالى : ﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴾ { النساء : 39 } فهذه الآية تدل بوضوح على أن الله تعالى يعلم ما هم عليه ، و ما سيكونون عليه ، وما سيقوم به من أفعال ، عليم : أي هو عليم بنياتهم الصالحة والفسادة ، و عليم بمن يستحق التوفيق منهم فيوفقه ويهديه للأعمال الصالحة فيرضى بها عنه ، وبمن استحق الطرد فيسخط عليه (2) . وقال سعيد حوى في تفسيره : " وهذا وعيد لهم لأنهم إن لم يؤمنوا ولم ينفقوا بأن الله مطلع عليهم وعالم بهم (3) ، وقال البقاعي : " أي بليغ العلم بهم وللإعلام بعظمة العلم بهم قدم الجار المفيد للاختصاص " (4) . وقال أبو حيان : خبر يتضمن وعيداً وتنبهاً على سوء بواطنهم ، وأنه تعالى مطلع على ما أخفوه في أنفسهم (5) .

(3) قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴾ { النساء : 70 } لما ذكر تعالى الطاعة ، وذكر جزاء من يطيع أتى بصفة العلم التي تتضمن الجزاء ، أي كفى به مجازياً لمن أطاع .

(4) قوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُنلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴾ { النساء : 127 } ومناسبة هذه الفاصلة في غاية

(1) انظر : مختصر ابن كثير ، الصابوني ، ، مجلد 1 ، ص 381 ، دار الحديث ، القاهرة ، .

(2) انظر : المرجع السابق ، مجلد 1 ، ص 391 .

(3) الأساس في التفسير ، سعيد حوى ، مجلد 2 ، ص 1060 .

(4) نظم الدرر ، البقاعي ، مجلد 2 ، ص 257 .

(5) البحر المحيط ، أبي حيان ، مجلد 3 ، ص 260 .

الوضوح يقول أبو حيان : " لما تقدم ذكر النساء ويتامى النساء ، والمستضعفين من الولدان والقيام بالقسط ، عقب ذلك بأنه تعالى يعلم ما يفعل من الخير بسبب من ذكر ، فيجازي عليه بالثواب الجزيل ، واقتصر على ذكر فعل الخير ، لأنه هو الذي رغب فيه وإن كان تعالى يعلم ما يفعل من خير ومن شر ، ويجازي على ذلك بثوابه وعقابه " (1) .

(5) قوله تعالى : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنَّ امْرَأً هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا التُّلْثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ { النساء : 176 } ومناسبة فاصلة الآية لموضوعها واضحة وضوح الشمس ، فلما كان الحديث عن بعض الأحكام الشرعية ، ومنها الكلاله وأحكامها ، ناسب ختم الآية بالعليم وهو دعوة لهم إلى أن يطمئنوا إلى أن الله تعالى عندما يشرع الأحكام ، فإنما يكون ذلك عن علمه بما يصلح للبشر .

5- الوكيل : ورد اسم الوكيل مفرداً في فواصل الآيات في سورة النساء في ثلاثة مواضع :

(1) قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ { النساء : 81 } فالآية تشير بوضوح إلى أن الوكيل هو الذي يتكفل بالحفظ والرعاية والحماية ، فلما كان الحديث عن المنافقين وما يبيتونه من سوء للنبي - ﷺ - أخبر الله تعالى بأنه عالم بما يضمرونه ويسرونه ، فناسب أن يختم بقوله (وكفى بالله وكيلاً) قال الإمام البيضاوي : " يكفيك مضرتهم ينتقم لك منهم " (2) . وقال ابن كثير : " أي كفى به ولياً وناصراً ومعيناً لمن توكل عليه أناب إليه " (3) .

(2) قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ { النساء : 132 } لما كانت ملكية كل ما في السماوات والأرض لله تعالى ،

(1) البحر المحيط ، أبي حيان ، مجلد 3 ، ص 379

(2) تفسير البيضاوي ، مجلد 1 ، ص 224

(3) مختصر ابن كثير ، الصابوني ، مجلد 1 ، ص 416 .

ناسب أن يختم الآية بقوله تعالى (وكفى بالله وكيلًا) أي وهو الوكيل الرازق الكافي لها جميعاً .

(3) قوله تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكفى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ { النساء : 171 } قال أبو حيان : " أي كافيًا في تدبير مخلوقاته وحفظها فلا حاجة إلى صاحبة ولا ولد ولا معين " (1) . وقال ابن كثير : " أي الجميع ملكه وخلقه وجميع ما فيها عبده ، وهم تحت تدبيره وتصريفه ، وهو وكيل على كل شيء ، فكيف يكون له منهم صاحبه وولد " (2) وقال : سيد قطب : " وهكذا لا يكتفي القرآن ببيان الحقيقة وتقريرها بشأن العقيدة إنما يضيف إليها إراحة شعور الناس من ناحية رعاية الله له ، وقيامه - سبحانه - عليهم وعلى حوائجهم ومصالحهم ؛ ليكلوا إليه أمرهم كله في طمأنينة " (3)

6- **المقيت** : يختلف هذا الاسم من أسماء الله الحسنى عن بقية الأسماء ، بأنه لم يرد في القرآن الكريم إلا في موضع واحد في سورة النساء وهو قوله تعالى : ﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْبِتًا ﴾ { النساء : 85 } قال ابن الجوزي في تفسيره : " وفي المقيت سبعة أقوال : أحدهما أنه المقدر ، والثاني أنه الحفيظ ، وبه قال قتادة والزجاج وقال هو الحفيظ أشبه لأنه مشتق من القوت وقال : قُتُّ الرجل أقوته قوتاً إذا حفظ عليه نفسه بإعطائه ما يقوته ، فمعنى المقيت الحافظ الذي يعطي الشيء على قدر حاجته من الحفظ ، والثالث : أنه الشهيد ، والرابع : أنه الحسيب ، والخامس : أنه الرقيب ، والسادس أنه الدائم ، والسابع : أنه معطي القوت " (4) . وقال الفخر الرازي : " وفي المقيت قولان : الأول : القادر على كل شيء ، والثاني مشتق من القوت وهو يطلق على معنيين : أولها المقيت وهو الحفيظ

(1) البحر المحيط ، أبي حيان ، مجلد 3 ، ص 418 .

(2) مختصر ابن كثير ، الصابوني ، مجلد 1 ، ص 469

(3) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، مجلد 2 ، ص 818 .

(4) زاد المسير في علم التفسير ، ابن الجوزي ، مجلد 2 ، ص 151 ، تحقيق محمد بن عبد الرحمن عبد الله ، دار الفكر للطباعة والنشر.

الذي يعطي الشيء على قدر الحاجة . وثانيها : أنه تعالى حافظ الأشياء شاهد عليها لا يخفى عليه شيء من أحوالنا " (1).

7- الخبير : ورد الخبير مفرداً في فواصل الآيات في سورة النساء في ثلاثة مواضع :

(1) قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ {النساء : 94} قال أبو حيان : " أي خبيراً بنياتكم وطلباتكم ، فكونوا محتاطين فيما تقصدونه ، متوخين أمر الله تعالى ، وهذا فيه تحذير ، فاحفظوا أنفسكم من موارد الزلل " (2) . وقال سعيد حوى : وهذا تهديد ووعد ، التهديد بعلم الله بما يخفى ، وما يظهر هنا يفيد النهي عن التهافت في القتل ، وأمر أن يكونوا محترزين محتاطين في ذلك " (3) . لما أمر تعالى المؤمنين بالتبيين والتثبت سبب نزول هذه الآية أن رجلاً من بني سليم مر بنفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يرعى غنماً له فسلم عليهم فقالوا : لا يسلم علينا إلا ليتعوذ منا ، فعمدوا إليه فقتلوه ، وأتوا بغنمه النبي ﷺ - (4) فنزلت هذه الآية تطلب من المؤمنين التثبت ، فناسب أن تختم الآية بقوله (والله بما تعملون خبيراً) فالله يعلم ما دق وما خفي وما يسرون وما يعلنون فكأن المولى يقول لهم إني بصير بأعمالكم ، وأعلم نواياكم ودوافع أعمالكم فالختم بالخبير فيه تنبيه وتحذير للمؤمنين .

(2) قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ {النساء : 128} ومناسبة فاصلة الآية لموضوعها جاءت في أوضح صورة ، فهي تدل على العلم بما لطف وخفي من الأشياء فناسب أن يأتي بصفة الخبير يقول أبو حيان : " ختم

(1) انظر : التفسير الكبير ، الفخر الرازي ، مجلد 5 ، ص 215 ،

(2) البحر المحيط ، أبي حيان ، مجلد 3 ، ص 344

(3) الأساس في التفسير ، سعيد حوى ، مجلد 2 ، ص 1155

(4) انظر : مختصر تفسير ابن كثير ، محمد الصابوني ، مجلد 1 ، ص 424

هذه الآية بصفة الخبير ، وهو علم ما يلطف إدراكه ويدق ؛ لأنه قد يكون بين الزوجين من خفايا الأمور ، ما لا يطلع عليه إلا الله تعالى ، ولا يظهران ذلك لكل أحد " (1) .

(3) قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوُوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ { النساء : 135 } فالخبير : هو العالم ببواطن الأمور وقال أبو حيان : " وهذا فيه وعيد لمن لوى عن الشهادة ، أو أعرض عنها " (2) . ويقول سيد قطب : " ويكفي أن يتذكر المؤمن أن الله خبير بما يعمل ، ليستشعر ماذا وراء هذا من تهديد خطير ، يرتجف له كيانه .. فقد كان الله يخاطب بهذا القرآن المؤمنين " (3)

8- النصير : ورد اسم النصير مفرداً في فواصل الآيات في سورة النساء في موضع واحد في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴾ { النساء : 45 } فمناسبة الآية جلية حيث بدأت بالعداوة ، فلا بد أن تنتهي بالنصرة ، فهناك أعداء كثر للمسلمين ، يكيّدون لهم ليل نهار دون توقف ، يريدون لهم أن يضلوا السبيل ، فانه ناصر المؤمنين ، وهو الذي سيدفع عداوة الكافرين ، ويرد كيدهم (4).

9- المحيط : ورد اسم المحيط في سورة النساء في موضعين كما يلي :
(1) قوله تعالى : ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ { النساء : 108 } في هذه الآية جاء الإنكار الشديد للمنافقين لكونهم يستخفون بقبائحهم من الناس حتى لا ينكروا عليهم ، وفي المقابل فإنهم يجاهرون الله تعالى بها ، لذلك ختم الآية بما يناسب فعلهم هذا بقوله : (وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا) وفي هذا تهديد ووعد لهم ففيه إشارة إلى أنه مطلع عليهم ، عالم بما في ضمائرهم وسرائرهم .

(1) البحر المحيط ، أبي حيان ، مجلد 3 ، ص 380 .

(2) المرجع السابق ، مجلد 3 ، ص 386 .

(3) انظر : في ظلال القرآن ، سيد قطب ، مجلد 6 ، ص 776

(4) البحر المحيط ، أبي حيان ، مجلد 3 ، ص 272

، قال الإمام القرطبي رحمه الله : " وهذا الاسم أكثر ما يجيء في عرض الوعيد ، وحقيقته الإحاطة بكل شيء " (1) ، قال أبو حيان : " نبه على أنه عالم بأقوالهم وأعمالهم ، وتضمن ذلك الوعيد الشديد والتفريع البالغ ، إذ كان تعالى محيطاً بجميع الأقوال والأعمال ، فكان ينبغي أن تستر القبائح عنه بعدم ارتكابها " (2) . لذلك قال الزمخشري : " وكفى لهذه الآية ناعية على الناس ما هم عليه من قلة الحياء ، الخشية من ربهم ، مع علمهم أن كانوا مؤمنين أنهم في حضرته لا سترة ولا غفلة ولا غيبة ، وليس إلا الكشف الصريح والافتضاح " (3) .

(2) قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴾ { النساء : 126} لما كان الجميع ملكه وعبيده وخالقه وهو المتصرف في جميع ذلك لا راد لما قضى ، ولا معقب لما حكم ، ولا يسأل عما يفعل لعظمته وقدرته ، ناسب ذلك ختم الآية بقوله وكان الله بكل شيء محيطاً (قال ابن كثير : " أي علمه نافذ في جميع ذلك لا تخفى عليه خافية من عباده ، ولا يعزب عن علمه مثال ذرة في السماوات ولا في الأرض ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ، ولا تخفى عليه ذرة لما تراءى للناظرين وما توارى " (4) .

10- القدير : ورد اسم القدير مفرداً في سورة النساء في موضع واحد : قوله تعالى : ﴿ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴾ { النساء : 133} لما كانت الآيات تتحدث عن مظاهر قدرة الله سبحانه وتعالى ، ولما كان الذهاب بالناس والإتيان بآخرين حدث يحتاج إلى قدرة ، نجد أن الآية ختمت بالقدير ، الذي لا يقوى على ذلك ولا يستطيعه إلا هو جل في علاه ، يقول سيد قطب : " هو الذي لا يعجزه شيء ، ولا يفوته شيء ، ولا يحول دون إرادته شيء ، يخلق ما يشاء ، ويفعل ما يريد ، وهو قادر على ما يريده ، غالب على

(1) الجامع لأحكام القرآن الكريم ، القرطبي ، مجلد 15 ، ص 326

(2) البحر المحيط ، أبي حيان ، مجلد 3 ، ص 360

(3) الكشاف ، الزمخشري ، مجلد 1 ، ص 563 .

(4) مختصر ابن كثير ، الصابوني ، مجلد 1 ، ص 442 .

أمره ، لا تتعلق بإرادته قيود ولا حدود " (1) ويقول أبو حيان : قديراً : أي على ذهاب بكم والإتيان بآخرين " (2).

ثانيا : تجاور اسمين في فواصل الآيات وعلاقتها بموضوع الآية : -

1- العليم الحكيم : قد تجاور هذين الاسمين في سورة النساء في ثمانية مواضع :
(1) قوله تعالى : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ آبَاؤُهُ فَلِأُمَّهَ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمَّهَ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ { النساء : 11} لما كانت الآية تتحدث عن بعض أحكام الميراث ، وإعطاء بعض الورثة أكثر من بعض ، ناسب أن يختم الآية بقوله (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا) ليبين أنه تعالى حكم بذلك فهو العليم الحكيم الذي يضع الأشياء في مكانها المناسب ويعطي من المواريث كلاً ما يستحقه . يقول ابن القيم : " إن مشاهدة حكمة الله في أفضيته وأقداره التي يجريها على عباده باختيارهم وإرادتهم ، هي من ألطف ما تكلم فيه الناس وأدقه وأغمضه ، وفي ذلك حكم لا يعلمها إلا العليم الحكيم " (3) .

(2) قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ { النساء : 17} ، لما كان الحديث عن إتيان المعصية بجهالة ناسب أن تكون الفاصلة عليمًا حكيماً ، أي عليمًا بأنه أتى بتلك المعصية لسيطرة الجهالة والشهوة عليه، حكيماً يعلم أن العبد لما كان من صفته ذلك ، ثم إنه سارع بالتوبة فإنه تعالى يتوب عليه (4) .

(3) قوله تعالى : ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ

(1) انظر : في ظلال القرآن ، سيد قطب ، مجلد 6 ، ص 3631

(2) البحر المحيط ، أبي حيان ، مجلد 3 ، ص 381 .

(3) مفتاح دار السعادة ومنتور ولاية العلم والإرادة ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن قيم الجوزية ، ص 286 ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(4) التفسير الكبير ، الفخر الرازي ، مجلد 10 ، ص 6 .

بِهِ مِنْهُمْ فَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ
الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿﴾ { النساء : 24 } ، إنه تعالى لما ذكر في
هذه الآية أنواعا كثيرة من التكليف ، وبعض أمور الحلال والحرام ، ناسب أن
يختم بقوله عليما أي لا يخفى عليه خافية منها ، وحكيم أي لا يشرع الأحكام إلا
وفق حكمته ، وذلك يوجب التسليم لأوامره والانقياد لأمره (1)

4) قوله تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ
وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ { النساء : 26 } فجوهر الأمر في هذه الآية هو تبين
الأحكام للمجتمع المسلم ، ولا يكون التبين إلا من عليم حكيم (2) .

5) قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً
فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ
لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فِدْيَةٌ
مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً
مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ { النساء : 92 } ، لما كان الحديث عن كفارة
القتل الخطأ وكان ذلك ثقيلًا على الأنفس ناسب أن يختم بقوله عليما حكيمًا ، أي
عليما بأحوال نفوسكم وما يصلحها من التأديب ، حكيمًا فيما يشرعه لكم من
الأحكام (3) ، قال سعيد حوى : " فهو العليم إذ يأمر الحكيم إذ يقدر ويشرع " (4)

6) قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا
تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ { النساء : 104 }
لما كانت الآية تتحدث عن القتال وما يصيب المسلمين من الجراح والقتل
والآلام ، والله أعلم بمن يقاتل في سبيله وإعلاء كلمته ، ناسب أن يختم الآية
بقوله (وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) قال ابن كثير: " وهو أعلم وأحكم فيما يقدره و
يقضيه وينفذه ويمضيه من أحكامه الكونية والشرعية " (5) . قال أبو
السعود : " والجمع بين العلم والحكمة مع دخول العلم في الحكمة لعموم العلم

(1) التفسير الكبير ، الفخر الرازي ، مجلد 10 ، ص 55 .
(2) البحر المحيط ، أبي حيان ، مجلد 3 ، ص 237 .
(3) التفسير الكبير ، الفخر الرازي ، جزء 5 ، ص 337 .
(4) الأساس في التفسير ، سعيد حوى ، مجلد 2 ، ص 1145 .
(5) مختصر ابن كثير ، الصابوني ، مجلد 1 ، ص 433 .

ودلالة الحكمة على إتقان الفعل " (1) ، وقال البقاعي : " أي الأمر لكم بهذه الأوامر وهو المحيط بكل شيء علماً ، أي بالغ العلم لا يأمر إلا بما يكون بالغ الحسن ، مصلحاً للدين والدنيا ، حكيماً فهو يتقن لمن يأمره بالأحوال ، ويسدده في المقال والفعال ، فمن علم منه خيراً أراده ورقاه في درج السعادة ، ومن علم منه شراً كاده فنكس مبدأه ومعاده " (2).

(7) قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ { النساء : 111 } ومناسبة الآية وفي غاية الوضوح قال أبو حيان : " وختمها بصفة العلم لأنه يعلم جميع ما يكسب ، لا يغيب عنه شيء من ذلك ثم أتبعها بصفة الحكمة ، فيجازي على الإثم بما تقتضيه حكمته (3) .

(8) قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ { النساء : 170 } قال الفخر الرازي : أي علماً لا يخفى عليه من أعمال عباده المؤمنين والكافرين شيء وحكماً لا يضيع عمل عامل منهم ولا يسوي بين المؤمن والكافر والمسيء والمحسن " (4) . وقال سعيد حوى : علماً بمن يؤمن وبمن يكفر ، حكماً لا يسوي بينهما بالجزاء (5) .

وقال ابن كثير علماً بمن يستحق منكم الهداية ، فيهديه وبمن يستحق الغواية فيغويه ، حكماً في أقواله وأفعاله وشرعه " (6) .

2- العليم الحليم : ورد العليم الحليم متجاورين في سورة النساء في موضع واحد وهو قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ

(1) تفسير أبي السعود ، مجلد 6 ، ص 273

(2) نظم الدرر ، البقاعي ، مجلد 2 ، ص 310

(3) انظر : البحر المحيط ، أبي حيان ، مجلد 3 ، ص 361 . .

(4) التفسير الكبير ، الفخر الرازي ، جزء 11 ، ص 114 .

(5) الأساس في التفسير ، سعيد حوى ، مجلد 2 ، ص 1238 .

(6) مختصر ابن كثير ، الصابوني ، مجلد 1 ، ص 467

دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿12﴾ { النساء : 12} ، لما كان الحديث في الآية عن ما يفعله الموروث في مضارته بورثته في وصيته ودينه ، ناسب ذلك أن يختم بقوله عليم حليم ، أي عليم بمن جار أو عدل في وصيته ، حليم على الجائر لا يعاجله بالعقوبة⁽¹⁾ .

3- التواب الرحيم : ورد هذين الاسمين متجاورين في النساء في موضعين :

(1) قوله تعالى : ﴿وَالَّذَانَ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ فَادُّوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ { النساء : 16} لما كان الحديث عن توبة مرتكب الفاحشة وصلاحه في قوله (فإن تابا وأصلحا) ناسب ذلك أن يختم بقوله توابا رحيمًا ، أي يقابل التوبة بالتوبة والإصلاح بالرحمة .

(2) قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ { النساء : 64} لما كان الحديث عن الاستغفار وظلم النفس ناسب أن يقابل الاستغفار بالتوبة وظلم النفس بالرحمة.

4- الغفور الرحيم : ورد الغفور الرحيم متجاورين في سورة النساء ثمانية مواضع :

(1) قوله تعالى : ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ { النساء : 23} ، لما كان الحديث عن بعض أمور الجاهلية ، من الجمع بين الأختين وغيره ، ناسب ذلك أن يختم بقوله غفورا رحيمًا ، أي لا يواخذكم بما سلف منكم في زمن الجاهلية إذا أنتم التزمتم بالإسلام ، ومن مغفرته لكم أن يمحو من نفوسكم آثار الأعمال السيئة، ومن رحمته بكم أن شرع لكم من أحكام الزواج ما فيه المصلحة لكم⁽²⁾ .

(2) قوله تعالى : ﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فِتْيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَأَتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ

(1) البحر المحيط ، أبي حيان ، مجلد3، ص199.

(2) في رحاب التفسير ، عبد الحميد كشك ، جزء 4 ، ص868.

أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصَنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿النساء : 25﴾ لما كان الحديث عن الزواج بالإماء بين إباحته ومع ذلك أشار إلى البعد عنه ، لما فيه من استرقاق الولد ، وقد تميل النفس إلى هذا المباح لذلك ناسب أن يختم بقوله غفور رحيم ، أي لمن لم يصبر عن ذلك (1) .

(3) قوله تعالى : ﴿ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ { النساء : 96} لما كان الحديث عن الجهاد بالنفس والمال من أعظم الأعمال نجد أنه يفضل أهله العاملين على القاعدين ، ولما كان العامل لا يخلو من زلل في العمل وإن اجتهد ناسب أن يختم بقوله غفورا رحيمًا (2) .

(4) قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَآغَمَا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ { النساء : 100} لما أمر الله تعالى بالهجرة وربما اعتبر بعضهم أن تأخره في سير الهجرة يعتبر ذنبا وأن الهجرة لم تجبر تقصيره ، ناسب أن يختم بقوله غفورا لأي تقصير كان ، رحيمًا يكرم بعد المغفرة بأنواع الكرامات (3) .

(5) قوله تعالى : ﴿ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ { النساء : 106} وهذه الآية فيها لطف عظيم ، ووعد كريم للعصاة بالمغفرة إذا استغفروا الله . (4) .

(6) قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهُ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ { النساء : 110} ، لما كان الأمر بالاستغفار من الذنوب وغيرها ناسب أن يختم بقوله غفورا رحيمًا (5) .

(7) قوله تعالى : ﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُواهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ { النساء : 129} لما كان الحديث عن العدل بين الزوجات ، وربما لا يعدل الإنسان في ذلك ، جاء

(1) نظم الدرر ، البقاعي ، مجلد 2 ، ص 237.

(2) المرجع السابق ، مجلد 2 ، ص 302.

(3) المرجع السابق ، مجلد 2 ، ص 305.

(4) انظر : البحر المحيط ، أبي حيان ، مجلد 3 ، ص 359.

(5) انظر : المرجع السابق ، مجلد 3 ، ص 361.

التوجيه الإلهي بإصلاح ما مضى وتداركه بالتوبة ، وأن يتقي في المستقبل عن مثله ، حتى يتحصل على مغفرة الله ورحمته⁽¹⁾ .

(8) قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ { النساء : 152} لما كان الحديث عن الذين آمنوا ، ووعدهم بالثواب من قبله تعالى ، زادهم تبشيرا بالتجاوز عن سيئاتهم ، وبرحمته إياهم⁽²⁾ .

5- **العلي الكبير** : حيث وردت مرة واحدة في سورة النساء في قوله تعالى : ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنِ اطَّعْتُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴾ { النساء : 34} لما ذكر الله تعالى قوامة الرجال على النساء ونهى عن ظلم النساء ناسب أن يختم بـ (العلي الكبير) قال الإمام البقاعي في تفسير هذه الآية : " علياً كبيراً أي له العلو والكبر على الإطلاق ، بكمال القدرة ونفوذ المشيئة ، فهو لا يحب الباغي ، ولا يقره على بغيه ، وقدرته عليكم أعظم من قدرتم عليهن ، ومع ذلك يعفو عن عصاه ، وإن ملأ الأرض خطايا إذا أطاعه ، ولا يؤاخذ به شيء مما فرط في حقه ، بل يبذل سيئاته حسنات ، فلو أخذكم بذنوبكم أهلككم ؛ فتخلفوا ما قدرتم عليه من صفاته لتتالوا جليل هباته ، وخافوا سطوته ، واحذروا عقوبته بما له من العلو والكبر " ⁽³⁾ .

6- **عليماً خبيراً** : ورد اسمي العليم الخبير قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ {النساء : 35} لما كان الحديث عن الخلاف بين الأزواج ، حيث بين -تعالى - سبل الإصلاح ، ناسب أن يختم بقوله عليماً خبيراً ، أي عليماً فيما شرعه لكم من أحكام وخاصة هذا الحكم ، وبأحوال العباد وما يصلح لها ، خبيراً بما يقع بينهم ، بأسبابه الظاهرة والباطنة فلا يخفى عليه شيء⁽⁴⁾ .

7- **غفوراً** : ورد هذين الاسمين متجاورين في سورة النساء في موضعين :

(1) التفسير الكبير ، الفخر الرازي ، جزء 11 ، ص 68.

(2) البحر المحيط ، أبي حيان ، مجلد 3 ، ص 401.

(3) نظم الدرر ، البقاعي ، مجلد 2 ، ص 253 .

(4) المنار ، محمد رشيد رضا ، مجلد 5 ، ص 78.

(1) قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ {النساء : 43} لما كان الحديث عن مجموعة من الرخص ، والمرء عرضة للخطأ والزلل ، ناسب ذلك أن يختم بالعفو ، والعفو أبلغ من المغفرة ، لأن المغفرة من الغفر وهو الستر وستر الذنب بعدم الحساب والعقاب عليه لا ينافي بقاء أثر خفي له ، ومعنى العفو ذهاب الأثر ، بأن لا يبقى له أثر في النفس ظاهر ولا خفي ، وفاصلة الآية مبينة منشأ الرخصة واليسر الذي فيها وهو عفو الله تعالى (1) .

(2) قوله تعالى : ﴿ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ {النساء : 99} لما كانت الهجرة شديدة ، وكان ربما تركها بعض الأقوياء واعتذر بالضعف ، ولما كان الله أن يفعل ما يشاء ، فناسب أن يختم بالعفو الذي يمحو الذنب ولا يعاقب وقد يعاتب عليه ، وبالعفو الذي يزيل أثر الذنب بحيث لا يعاقب ولا يعاتب عليه(2) .

8- العزيز الحكيم : وهذان الاسمان وردا متجاورين في السورة ثلاثة مرات :

(1) قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ {النساء : 56}

(2) قوله تعالى : ﴿ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ {النساء : 158} لما

كانت الآية تتحدث عن عيسى عليه السلام ، وتبين أن اليهود لم يقتلوه ولم يصلبوه ؛ لأن الله رفعه إليه ، فناسب أن يختم بالعزيز ، لأن مسألة الرفع لا يقدر عليها إلا العزيز الذي لا يمانع ، وحكيم لأنه نجى عيسى -عليه السلام- بحكمته .يقول الفخر الرازي : " والمراد من العزة كمال القدرة ومن الحكمة كمال العلم ، فنبه بهذا على أن رفع عيسى عليه السلام من الدنيا إلى السماوات ، وإن كان كالمتعذر على البشر ، لكنه لا تعذر فيه بالنسبة إلى قدرتي وإلى حكمتي (3) ، يقول الطاهر ابن عاشور والتذليل بقوله : (وكان الله عزيزاً حكيماً) ظاهر الموقع

(1) المنار ، محمد رشيد رضا ، مجلد5 ، ص (122 ، 123)

(2) نظم الدرر ، البقاعي ، مجلد2 ، ص304.

(3) التفسير الكبير ، الفخر الرازي ، جزء 11 ، ص 103

لأنه لما عز فقد حق لعزه أن يعز أوليائه أو لما كان حكيماً فقد أتقن صنع هذا الرفع فجعله فتنه للكافرين ، وتبصرة للمؤمنين (1) ، يقول الإمام أبو حيان : " المراد من العزة كمال القدرة ، ومن الحكمة كمال العلم ، بهذا على أن رفع عيسى عليه السلام من الدنيا إلى السماوات وإن كان كالمتعذر على البشر لكن لا تعذر فيه النسبة إلى قدرتي وحكمتي ، وقيل عزيزاً لا يغالb ، لأن اليهود حاولت بعيسى أمراً وأراد الله خلافه ، وحكيماً واضح الأشياء في مواضعها ، فمن حكمته تخليصه من اليهود ورفعته إلى السماء لما يريد وتقتضيه حكمته تعالى " (2) .

(3) قوله تعالى : ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ {النساء : 165} يقول ابن عاشور ومناسبة التذليل بالوصفين في قوله (عزيزاً حكيماً) أما بوصف الحكيم فظاهرة ؛ لأن هذه الأخبار كلها دليل على حكمته تعالى ، وأما بوصف العزيز فلأن العزيز يناسب عزته أن يكون غالباً من كل طريق ، فهو غالب من طريق العبودية ، لا يسأل عما يفعل (3) .

9- السميع البصير : ورد هذين الاسمين متجاورين في سورة النساء في موضعين :

(1) قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ {النساء : 58} ومناسبة الفاصلة الآية لموضوعها جلية فلما كان كانت الآية تتحدث عن رد الأمانات وهي من الأشياء فناسب أن يختم بقوله بصيرا ، وعندما كان الحديث عن الأحكام الصادرة منكم ناسب أن يختم بقوله سميعاً (4) . يقول سيد قطب : " والتناسق بين الأمرين به من التكاليف ، وهو أداء الأمانات والحكم بالعدل بين الناس ، وبين كون الله سميعاً بصيراً مناسبة واضحة ولطيفة معاً ، فالله يسمع ويبصر قضايا العدل وقضايا الأمانة والعدل كذلك في حاجة إلى الاستماع البصير ، وإلى حسن التقدير ، وإلى مراعاة الملابسات والظواهر ، وإلى التعمق فيما وراء الملابسات والظواهر (5) .

(1) التحرير والتنوير ، الطاهر ابن عاشور ، مجلد 2 ، ص 24 ، الدار التونسية للنشر .

(2) البحر المحيط ، أبي حيان ، مجلد 3 ، ص 407 . .

(3) التحرير والتنوير ، الطاهر ابن عاشور ، مجلد 2 ، ص 44 .

(4) انظر : المرجع السابق نفسه ، أبي حيان ، مجلد 2 ، ص 290 .

(5) في ظلال القرآن سيد قطب ، مجلد 2 ، ص (689 ، 690) .

2) قوله تعالى : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ {النساء : 134} لما كانت الآية تخاطب المنافقين الذين لا يريدون بالجهد غير الغنيمة ، ناسب أن يختم بقوله سميعاً أي بأنه سميع لأقوالهم ، وبصير بأعمالهم ونياتهم⁽¹⁾.

10- الواسع الحكيم : وردت في سورة النساء في موطن واحد في قوله تعالى : ﴿وَإِنْ يَنْفَرَقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ {النساء : 130} لما كان الحديث في الآية يدور عن الطلاق ، فأحياناً تتعذر الحياة بين الزوجين ، فشرع الإسلام الطلاق لحكم عظيمة وفوائد جلييلة ، يقول الإمام الفخر الرازي : " والمعنى أنه تعالى لما وعد كل واحد منهما بأنه يغنيه من سعته ، وصف نفسه بأنه واسع ، وإنما جاز ذلك لأنه واسع الرزق ، واسع الفضل ، واسع الرحمة ، واسع القدرة ، واسع العلم ، فلو ذكر أنه سبحانه واسع في كذا لاختص ذلك بذلك المذكور ، وقوله حكيماً قال ابن عباس : " يريد فيما حكم ووعظ ، يريد فيما حكم على الزوج من إمساكها بمعروف أو تسريح بإحسان " .⁽²⁾

11- الغني الحميد : لقد ورد في موضع واحد في سورة النساء ، في قوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ { النساء : 131 } ومناسبة الفاصلة لموضوعها جاءت من أجمل المناسبات بالرغم أنه أمرهم بتقوى الله وعبادته وشكره إلا أنه سبحانه غني عنهم وعن عبادتهم ولا يحتاج لشكرهم ، فناسب أن يختم الآية بالغني الحميد فإن الختم بها يناسب حالة الاستغناء والإعراض من قبلهم⁽³⁾.

12- الشاكر العليم : وردت في سورة النساء في موضع واحد في قوله تعالى : ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ { النساء : 147} لما كان الحديث عن شكر الله تعالى والإيمان به ، وقدم الشكر على الإيمان ، جاءت الفاصلة مناسبة لذلك ، حيث قدم الشاكر على العليم ، لكونه يثيب على شكركم، وعلیم بحقیقة ایمانكم⁽⁴⁾..

(1) البحر المحيط ، أبي حيان ، مجلد 3 ، ص 384.

(2) التفسير الكبير ، الرازي ، مجلد 6 ، ص 70 .

(3) البحر المحيط ، أبي حيان ، مجلد 3 ، ص 382

(4) الأساس في التفسير، سعيد حوى ، مجلد 2، ص 1217

13- **العفو القدير** : وردت في سورة النساء في موضع واحد في قوله تعالى : ﴿ إِن تَبَدُّواْ خَيْرًا أَوْ تَخَفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوِّ فَإِنَّ اللّٰهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ { النساء : 149} لما رغب المولى جل وعلا عباده بالعفو ، جاءت الفاصلة مناسبة لما ندب إليه عباده بالعفو قال أبو السعود : " أو تعفو عن سوء مع ما سوغ لكم من مؤاخذه المسيء ، والتنصيص عليه مع اندراجه في إبداء الخير وإخفاؤه أنه مبالغ في العفو مع كمال قدرته على المؤاخذه " (1) .

وقال الإمام الزمخشري : " أي يعفوا عن الجانبين مع قدرته على الانتقام ، فعليكم أن تقتدوا بسنة الله (2) .

المطلب الثاني : الآيات التي لا تشتمل فواصلها على أسماء الله الحسنى وعلاقتها بموضوع الآية :

1- قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لَتَذَهَبُوا بِبَعْضٍ مَّا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ { النساء : 19} ومناسبة الفاصلة لموضوعها لما كان الحديث عن المعاشرة الزوجية وهذه المعاشرة تحتاج إلى الصبر جاءت الفاصلة في موقعها المناسب تحت على ذلك ، قال أبو السعود : " فإن كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهون خيراً كثيراً ليس فيما تحبونه " (3) .

2- قوله تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾ { النساء : 28} قال أبو السعود : فإن الجملة اعتراض تذييلي مسوق لتقرير ما قبله من التخفيف بالرخصة في نكاح الإماء ، وليس لضعف البنية مدخلة في ذلك ؛ وإنما الذي يتعلق به التخفيف في العبادات الشاقة .

وقيل المراد به ضعفه في أمر النساء خاصة ، حيث لا يصبر عنهن (4) .

3- قوله تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ

(1) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب القرآن الكريم ، محمد بن محمد المادي أبو السعود مجلد 2 ، ص 248 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت . .

(2) الكشاف ، الزمخشري ، مجلد 1 ، ص 291 .

(3) إرشاد العقل السليم ، أبو السعود مجلد 2 ، ص 499 . .

(4) المرجع السابق ، مجلد 2 ، ص 512 . .

- السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿ { النساء : 36 }
، فاصلة الآية في غاية المناسبة حيث نفى المولى جل جلاله محبته للمختال الفخور ،
؛ لأن المختال يتكبر عن إكرام أقاربه وأصحابه ، بل وربما يأنف من ذوي قرابته
إذا كانوا فقراء ، ومن جيرانه إذا كانوا ضعفاء ، ومن المساكين لاحتقارهم . (1)
4- قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ
فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ { النساء : 37} ، ومناسبة الفاصلة
لموضوعها ظاهرة بينة فلما كان الحديث عن اليهود وكتمانهم لصفات النبي ﷺ -
التي بينها الله تعالى في كتبهم ، كان ذلك من جانبهم كفراً بنعمة الله ، فجاءت
الفاصلة توضح ما أعده الله للكافرين من العذاب ، يقول أبو السعود : " بأن من هذا
شأنه فهو كافر بنعمة الله ، ومن كان كافراً بنعمة الله تعالى فله عذاب يهينه ، كما
أهان النعمة بالبخل والإخفاء " (2) .
5- قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ
أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ
اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ { النساء : 47} لما كانت الآيات تتحدث عن عقاب الله للأمم السابقة
فجاءت فاصلة الآية تبين أن سنة الله في عقاب الأمم قائمة إلى يوم القيامة
فانتبهوا وكونوا على حذر من هذا الوعيد (3) .
6- قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ
يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ { النساء : 48} لما كان الحديث عن الشرك فقد
كانت الفاصلة تبين أنه أعظم الإثم عند الله تبارك وتعالى (4) .
7- قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ
النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ { النساء : 69} ،
لما كان الحديث عن طاعة الله ورسوله ، وبيان مكانتهم العظيمة مع النبيين
والصديقين والشهداء ، جاءت ، فاصلة الآية لترغيب وتشويق المسلمين بهذه

(1) البحر المحيط ، أبي حيان ، مجلد 3 ، ص 256 .

(2) إرشاد العقل السليم ، أبو السعود مجلد 2 ، ص 520 .

(3) البحر المحيط ، أبي حيان ، مجلد 3 ، ص 279

(4) المرجع السابق ، مجلد 3 ، ص 280

المكانة ، قال أبو السعود : " والجملة تذييل مقرر لما قبله مؤكداً للترغيب والتشويق .

وقيل فيه معنى التعجب كأنه قال : وما أحسن أولئك رفيقاً⁽¹⁾ . وقال سيد قطب : " إنها اللمسة التي تستجيش مشاعر كل قلب ، فيه ذرة من خير ، وفيه بذرة من صلاح ، وفيه أثارة من التطلع إلى مقام كريم في صحبة كريمة ، في جوار الله الكريم .. وهذه الصحبة لهذا الرهط العلوي .. إنما هي من فضل الله ، فما يبلغ إنسان بعمله وحده وطاعته وحدها أن ينالها .. إنما هو الفضل الواسع الغامر الفائض العميم⁽²⁾ .

8- قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ { النساء : 76 } لما بين الله تعالى الهدف من جهاد المؤمنين والهدف من قتال الكافرين أمر المؤمنين بالجهاد كانت هذه الخاتمة في غاية المناسبة ، قال سيد قطب : وهكذا يقف المسلمون على أرض صلبة ، مسندين ظهورهم إلى ركن شديد ، تقتفى الوجدان بأنهم يخوضون معركة الله ، ليس لأنفسهم منها نصيب ، ولا لذواتهم منها حظ ، وليست لقومهم ، ولا لجنسهم ، ولا لقرابتهم وعشيرتهم منها شيء .. وإنما هي لله وحده ولمنهجه وشريعته وأنهم يواجهون قوماً أهل باطل ، يقاتلون لتغليب الباطل على الحق لأنهم يقاتلون لتغليب منهج البشر الجاهلية - وكل مناهج البشر جاهلية - وكل حكم للبشر من دون الله ظلم - على عدل الله ، الذي هم مأمورون أن يحكموا به بين الناس (كذلك يخوضون المعركة ، وهم يوقنون أن الله وليهم فيها ، وأنهم يواجهون قوماً الشيطان وليهم فهم إذن ضعاف) إن كيد الشيطان كان ضعيفاً) ومن هنا يتقرر مصير المعركة في حس المؤمنين ، وتحدد فيها قبل أن يدخلوها " ⁽³⁾ .

9- قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ { النساء : 125 } ، لما كان الحديث عن إتباع ملة إبراهيم - عليه السلام - ، جاءت خاتمة الآية مؤكدة لذلك ، قال الزمخشري : "

(1) البحر المحيط ، أبي حيان ، مجلد 2 ، ص 546 ..

(2) في ظلال القرآن سيد قطب ، مجلد 2 ، ص 699

(3) المرجع السابق ، مجلد 2 ، ص 709 .

فأدنتها تأكيد وجوب إتباع ملته ؛ لأن من بلغ من الزلفى عند الله أن اتخذه خليلاً كان جديراً بأن تتبع ملته وطريقته" (1) .

10- قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلِيبْتِغُونَ عَنْهُمْ
الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً ﴾ { النساء : 139} ، والجملة تعليل لما يفيد الاستفهام
الإنكاري من بطلان رأيهم وخيبة رجائهم (2).

(1) الكشف ، الزمخشري ، مجلد 1 ، ص 566 .
(2) انظر : روح المعاني ، الألوسي ، مجلد 1 ، ص 172

المبحث الثالث

الظواهر البلاغية في فواصل الآيات

المطلب الأول : بناء الفاصلة القرآنية :

أولاً : (إنَّ) في الفاصلة القرآنية :

1- (إنَّ) في الفاصلة القرآنية التي تشتمل على أسماء الله الحسنى :

المتتبع لفواصل الآيات في هذا القطع يجد أن حرف التوكيد (إن) قد ورد في إحدى وثلاثين موضعاً منها إحدى وعشرين موضعاً مع أسماء الله تعالى وعشرة مواضع في آيات لا تحتوي على أسماء الله الحسنى . و(إن) لها أهمية كبيرة وقال الإمام السيوطي موضعاً أهميتها وأنها تأتي على أوجه : حيث بين لها عدة فوائد :
أ) التأكيد والتحقيق وهو الغالب : قال عبد القاهر : والتأكيد بها أقوى من التأكيد بالله . وأكثر مواقعها تأتي جواب لسؤال ظاهر أو مقدر .

ب) التعليل أثبتته جبر وأهل البيان ومثله بنحو ﴿ وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ { المزمّل : 20 }

والمواضع التي وردت فيها إن مع أسماء الله الحسنى في فواصل الآيات كالتالي :

عدد المرات التي ذكرت فيها	رقم الآية	(إن) مع أسماء الله الحسنى
مرة واحدة	1	مع الرقيب
مرة واحدة	86	مع الحسيب
مرتين	24-11	مع العليم الحكيم
مرة واحدة	16	مع التواب الرحيم
ثلاث مرات	129-106-23	مع الغفور الرحيم
مرة واحدة	29	مع الرحيم
مرة واحدة	33	مع الشهيد
مرة واحدة	34	مع العلي الكبير
مرة واحدة	35	مع العليم الخبير
مرتين	127-32	مع العليم
مرة واحدة	43	مع العفو الغفور
مرة واحدة	56	مع العزيز الحكيم
مرة واحدة	58	مع السميع البصير
ثلاث مرات	135-128-94	مع الخبير
مرة واحدة	149	مع العفو القدير

وعند الوقوف على أقوال العلماء في تفسيرهم للآيات التي يوجد فيها (إن) نجد أنها تأتي للتعليل ، يقول الإمام ابن عاشور : " وشأن إن إذا قصد مجرد الاهتمام أن (إن) تكون قائمة مقام التفریع مفيدة للتعليل " (1). فهي تأتي للتأكد على معاني الأسماء والصفات ، يقول محمود شيخون : " فترى القرآن يؤكد صفات الله عز وجل ، حتى يستقر الإيمان بها في القلوب ، فنسمعه يقول مكرراً ومؤكداً في كثير مما يكرره (إن الله على كل شيء قدير) (إن الله واسع عليم) (إن الله عزيز حكيم) فهذا التأكيد يقرر هذه الصفات في النفس ، وإذا تكررت هذه الصفات في النفس انبثق منها العمل الصالح المبني على أساس من الإيمان المكين " (2).

2- (إن) في الفواصل التي لا تشتمل على أسماء الله الحسنى :

حيث جاءت (إن) في عشرة مواضع في فواصل الآيات التي لا تشتمل على أسماء الله الحسنى في سورة النساء : ومن ذلك قوله تعالى:

- ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ { النساء : 103 }

- ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ { النساء : 139 }

ومن الملاحظ على (إن) في فواصل الآيات التي تشتمل على أسماء الله الحسنى والتي لا تشتمل ، فإنها تأتي من الحسن بحيث لا يمكن الاستغناء عنها ، ولما لها من قدرة على ربط الكلام ببعضه ببعض

ثانياً : (كان) في الفاصلة القرآنية: -

وهي فعل ناقص متصرف ، يرفع الاسم وينصب الخبر ، ويأتي في القرآن على وجوه : " قال أبو بكر الرازي : كان في القرآن على خمسة أوجه : بمعنى الأزل والأبد ، كقوله : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ { النساء : 17 } ، بمعنى الماضي المنقطع وهو الأصل في معناها ، نحو : ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ { النمل : 48 } وبمعنى الحال نحو ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾ { النساء : 103 } ..

وبمعنى الاستقبال نحو قوله تعالى: ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾ { الإنسان : 7 } وبمعنى صار ، نحو قوله ﴿ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ { البقرة : 34 } (3).

(1) التحرير والتنوير ، الطاهر ابن عاشور ، مجلد 5 ، ص 345 .

(2) من أسرار البلاغة في القرآن ، محمود شيخون ، ص80، مكتبة الكليات الأزهرية ، الطبعة الأولى ، 1984م

(3) الإلتقان ، السيوطي ، جزء 2 ، ص 526 .

وعند الوقوف على (كان) في الفاصلة القرآنية نجد أنها وردت في أربعين موضعاً
في سورة النساء في الآيات التي تشتمل على أسماء الله الحسنى :-

ورود (كان) في فواصل الآيات التي تشتمل على أسماء الله الحسنى في سورة

النساء:

عدد المرات التي ذكرت فيها	(كان) مع أسماء الله الحسنى
مرة واحدة	مع الرقيب
مرة واحدة	مع الحسيب
سبع مرات	مع العليم الحكيم
مرة واحدة	مع التواب الرحيم
ست مرات	مع الغفور الرحيم
مرة واحدة	مع الرحيم
مرة واحدة	مع الشهيد
مرة واحدة	مع العلي الكبير
مرة واحدة	مع العليم الخبير
مرتين	مع العليم
مرتين	مع العفو الغفور
ثلاث مرات	مع العزيز الحكيم
مرتين	مع السميع البصير
مرة واحدة	مع المقيت
مرتين	مع الخبير
مرتين	مع المحيط
مرة واحدة	مع الواسع الحكيم
مرة واحدة	مع الغني الحميد
مرة واحدة	مع القدير
مرة واحدة	مع الشاكر العليم
مرة واحدة	مع السميع العليم
مرة واحدة	مع العفو القدير

ومن الجدول السابق يتضح ما يلي :-

أ- كان في الفاصلة القرآنية : وجود كان في الفاصلة القرآنية لا يمكن الاستغناء عنه

لذلك يقول الزركشي : "فحيث وقع الإخبار بـ (كان) عن صفة ذاتية ، فالمراد

الإخبار عن وجودها وأنها لم تفارقه " . ومن الآيات التي تشتمل على كان :

- قوله تعالى : ﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً

يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتِنًا {85} ﴾ { النساء : 85 }

قال الرازي : " إنما قال (وكان الله على كل شيء مقبلاً) تنبيهاً على أن كونه تعالى قادراً على المقدورات صفة كانت ثابتة له من الأزل ، وليست صفة محدثة ، فقوله (كان) مطلقاً من غير أن قيد ذلك بأنه كان من وقت كذا وحال كذا يدل على أنه كان حاصلًا من الأزل إلى الأبد " (1) .

- قوله تعالى : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ { النساء : 11 } يقول الألويسي : " والخبر عن الله تعالى بمثل هذه الألفاظ كما قال الخليل كالخبر بالحال والاستقبال ؛ لأنه تعالى منزّه عن الدخول تحت الزمان ، وقال سيبويه : القوم لما شاهدوا علماً وحكمة ، وفضلاً وإحساناً تعجبوا فقبل لهم : إن الله تعالى كان كذلك ، أي لم يزل موصوفاً بهذه الصفات ، فلا حاجة إلى القول بزيادة كان كما ذهب إليه البعض (2) .

ب- قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ { النساء : 1 } يقول : لا يراد بكان تقييد الخبر بالمخبر عنه في الزمان الماضي المنقطع في حق الله تعالى ، وإن كان موضوع كان ذلك . بل المعنى على الديمومة فهو تعالى رقيب في الماضي وغيره علينا (3) . فهذه الصفات ينفرد بها المولى عز وجل فهو سبحانه عز وجل على كل شيء قدير ، وهو على كل شيء حفيظ - وهو على شيء شهيد . ونحن ليس مع العلماء الذين ذهبوا إلى أنه تقديم الجار و المجرور على الفعل لرعاية الفواصل حيث قال أبو السعود : " وتقديم الجار والمجرور على الفعل لرعاية الفواصل " (4) ، وبمثله يقول الإمام الألويسي : وتقديم (بكل شيء) على بصير للفاصلة أو للحصر (5) .

(1) التفسير الكبير ، الفخر الرازي ، مجلد 5 ، ص 215 .

(2) روح المعاني ، الألويسي ، مجلد 3 ، ص 357 .

(3) البحر المحيط ، أبي حيان ، مجلد 3 ، ص 167 .

(4) إرشاد العقل السليم ، أبو السعود ، مجلد 3 ، ص 114 .

(5) روح المعاني ، الألويسي ، مجلد 16 ، ص 29 .

ج- قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ { النساء : 75 } قال أبو السعود : " قالوا فائدة إدخال كان في أمثال هذه المواقع ، التأكيد ببيان أنه منذ كان كان كذلك ، فالمعنى إن كيد الشيطان منذ كان كان موصوفاً بالضعف (1) .

ثالثاً : (السين) في الفاصلة القرآنية :

وهو حرف يدخل على الفعل المضارع فيخلصه إلى الاستقبال والاستمرار ، فهي حرف توسع ؛ لأنها تقلب الفعل المضارع من الزمن الضيق وهو الحال إلى الزمن الواسع وهو الاستقبال (2) ، كما أنها تأتي للتوكيد كما في قوله تعالى : سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا { النساء:162}

قال أبو السعود : " والسين لتأكيد الوعد ، حيث أوعد الأولون بالعذاب ، ووعد الآخرون بالأجر العظيم كأنه قال إثر قوله تعالى : ﴿ وَأَعَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ { النساء : 161 } لكن المؤمنون منهم سنؤتيهم أجراً عظيماً (3) .

رابعاً : (سوف) في الفاصلة القرآنية :

قال السيوطي أن (سوف) : " كالسين وأوسع زماناً منها عند البصرين ؛ لأن كثرة الحروف تدل على كثرة المعنى ، ومرادفة لها عند غيرهم . وتتفرد عن السين بدخول اللام عليها نحو ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ { الضحى : 5 } ثم يقول " والغالب على سوف استعمالها في الوعيد والتهديد ، وعلى السين استعمالها في الوعد (4) .

وقد يكون التوكيد بـ (سوف) كما في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَمْ يُقْرِئُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ { النساء : 152 } أتى بـ (سوف) في قوله (سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجُورَهُمْ) لتأكيد الوعد والدلالة على أنه كائن لا محالة وإن تراخى (5) .

خامساً : (لن) في فواصل الآيات :

وهي حرف نفي ونصب واستقبال ، والنفي بها أبلغ من النفي بلا فهي تأكيد النفي ، وادعى الزمخشري أنها تأكيد النفي كقوله : ﴿ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ﴾ { الحج

(1) إرشاد العقل السليم ، أبو السعود ، مجلد 2 ، ص 550

(2) الإيقان ، السيوطي ، جزء 2 ، ص 510

(3) إرشاد العقل السليم ، أبو السعود ، مجلد 2 ، ص 220

(4) الإيقان ، السيوطي ، جزء 2 ، ص 511

(5) إرشاد العقل السليم ، أبو السعود ، مجلد 2 ، ص 215 .

{ 73 } ، وقيل لو كانت للتأبيد لم تقيد باليوم في قوله ﴿ فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْ سِيَّآ ﴾ { مريم : 26 } ⁽¹⁾ ، ونجد أن (لن) جاءت للتأكيد في فواصل الآيات في سورة النساء في خمسة مواضع كالتالي :

- ﴿ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴾ { النساء : 52 }
 - ﴿ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴾ { النساء : 88 }
 - ﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ { النساء : 141 }
 - ﴿ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴾ { النساء : 143 }
 - ﴿ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ { النساء : 145 }
- سادساً : لام التأكيد في الفاصلة القرآنية:

وتسمى لام الابتداء أو المزحلقة ، قال السيوطي : " وفائدتها أمران : توكيد مضمون الجملة ولهذا زحلقتها في باب إن عن صدر الجملة كراهة توالي مؤكدين ، وتخليص المضارع للحال " ⁽²⁾ حيث وردت في سبعة مواضع في سورة النساء : من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴾ { النساء : 168 }

قال الزمخشري : " الهداية وهي اللطف على سبيل المبالغة التي تعطى اللام ، والمراد بنفيها نفي ما يقتضها وهو الإيمان الخالص الثابت ، والمعنى : أن الذين تكرر منهم الارتداد وعهد منهم ازدياد الكفر والإصرار عليه يستبعد منهم أن يحدثوا ما يستحقون به المغفرة ويستوجبون اللطف من إيمان صحيح ثابت يرضاه الله ؛ لأن قلوب أولئك الذين هذا ديدنهم قلوب قد ضربت بالكفر ومرنت على الردة ، وكان الإيمان أهون شيء عندهم وأدونه حيث يبدوا لهم فيه كرة بعد أخرى ، وليس المعنى أنهم لو أخلصوا الإيمان بعد تكرار الردة ونصحت توبتهم لم يقبل منهم ولم يغفر لهم .. ولكنه إستبعاد له واستغراب . ⁽³⁾

المطلب الثاني : التقديم والتأخير في الفاصلة القرآنية :

لقد قمت باتباع التقديم والتأخير في الفاصلة القرآنية فكان الأغلب فيه تقديم شبه الجملة على المسند ، فذهب كثير من العلماء إلى تعليل التقديم والتأخير لرعاية الفواصل ، فما ذهبوا إليه لم يعد مقبولاً ؛ لأن القرآن الكريم جاءت كلماته في مكانها المناسب لتدلل

(1) انظر : الإتيان ، السيوطي ، جزء 2 ، ص (540،541)

(2) الإتيان ، السيوطي ، جزء 2 ، ص 534

(3) الكشف ، الزمخشري ، مجلد 1 ، ص 572 .

على الإعجاز البياني ، يقول الإمام الزمخشري : " ولا تحسن المحافظة على الفواصل لمجردها إلا مع بقاء المعاني على سدادها على النهج الذي يقتضيه حسن النظم والتتامه كما لا يحسن تخير الألفاظ المونقة في السجع ، السلسة على اللسان إلا مع مجيئها منقادة للمعاني الصحيحة المنتظمة فإما أن تهمل المعاني ، ويهتم بتحسين اللفظ وحده غير منظور فيه إلى مؤداه على بال فليس من البلاغة في فتيل أو نكير (1) .

ومن الأمثلة على التقديم والتأخير ما يلي :

1- التقديم والتأخير في الفواصل :

قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾ { النساء : 163 } والذي يظهر أنه جمع بين عيسى وأيوب ويونس عليها السلام ؛ لأنهم أصحاب امتحان وبلايا في الدنيا وجمع بين هارون وسليمان عليهما السلام ؛ لأن هارون كان محب إلى بني إسرائيل ، معظماً مؤثراً ، وأما سليمان فكان معظماً عند الناس ، قاهراً لهم ، مستحقاً له ما ذكره الله تعالى في كتابه فجمعهما للتحبيب والتعظيم ، وتأخر ذكر داود لتشريفه بذكر كتابه ، وإبرازه في جملة مستقلة له بالذكر ولكتابه ؛ فما فاتته من التقديم اللفظي حصل به التضعيف من التشريف المعنوي (2) .

2- تقديم المتعلق على المسند :

وهو تقديم شبه الجملة على المسند : لقد تتبعت مواضع التقديم والتأخير في الفواصل المشتملة على الأسماء الحسنى وغيرها في سورة النساء ، وقد بلغت اثنين وعشرين موضعاً .

تقديم شبه الجملة (على كل شيء) :

وردت شبه الجملة السابقة في ثلاثة مواضع في سورة النساء : حيث وردت مقدمة على المسند في جميع المواضع وكان المسند دائماً صفة من صفات الله ، وهي التالية :

- كالشهاد في قوله تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾ { النساء : 33 }

(1) دراسة بلاغية في السجع والفاصلة القرآنية ، عبد الجواد محمد طبق ، ص 5 ، دار الأرقم ، الطبعة الأولى 1993م .

(2) البحر المحيط ، أبي حيان ، مجلد 3 ، ص 413 .

- والمقيت في قوله تعالى : ﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتِبًا ﴾ { النساء : 85 }
- والحسيب في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ {86} { النساء : 86 } .

يتضح من الآيات السابقة أن المسند دائماً يأتي اسماً من أسماء الله الحسنى ، فمثلاً في الآية الأولى (الشهيد) وفي الثانية (المقيت) وفي الثالثة (الحسيب) فذهب كثير من العلماء أن التقديم لرعاية الفاصلة ، وواضح أن هذا القول مجانب للصواب ، لأن التقديم هنا له أهمية خاصة فهو يفيد الاختصاص ، أي أن الله وحده هو الذي يختص بقدرته على كل شيء ، وواضح أن القرآن الكريم تأتي كل كلمة فيه في موضعها المناسب ، ومثل ذلك التقديم يبرز صفات الله على كمالها ، الذي يبرز بدوره الإعجاز البياني للقرآن الكريم .

تقديم شبه الجملة (بما تعملون) أو (بما يعملون) :

ولقد وقفت على الآيات التي تشتمل فواصلها على تقديم شبه الجملة (بما تعملون) أو (بما يعملون)

فالآيات التي تقدم فيها بما تعملون ، أو بما يعملون ، كانت تبرز أهمية العمل ، لأنها كانت تشتمل على أوامر ونواه في أغلبها، فعندما يتقدم المتعلق فيها ففي ذلك إشارة وتنبيه إلى أهمية الأعمال وأنها هي المقصودة في معنى الآية . فوردت شبه الجملة بما تعملون في ثلاثة مواضع : منها قوله تعالى :

- ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ . { النساء : 94 }
- ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ . { النساء : 128 }
- ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ . { النساء : 135 }
- ووردت بما يعملون في موضع واحد في قوله تعالى :
- ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ . { النساء : 108 }

المطلب الثالث : التكرار في فواصل الآيات :-

وبعد تتبع الآيات القرآنية بدقة والبحث عن أغراض التكرار البلاغية في سورة النساء اتضح ما يلي :

- ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ {النساء: 5} ، وتكرار قوله (وقولوا) لتأكيد أهمية القول المعروف بالنسبة للسفهاء .

- قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴾ {النساء: 45} فقد تكرر قوله تعالى (وَكَفَى بِاللَّهِ) مرتين في الفاصلة يقول الألويسي : " وتكرير الفعل في الجملتين مع إظهار الاسم الجليل لتأكيد كفايته عز وجل مع الإشعار بالعليلة " (1) ، ويقول أبو السعود : " وتكرير الفعل في الجملتين مع إظهار الجلالة في مقام الإضمار لاسيما الثاني لتقوية استقلالهما المناسب للاعتراض ، وتأكيد كفايته عز وجل في كلاً من الولاية والنصرة والإشعار بعليتهما ، فإن الألوهية من موجباتها لا محالة (2) . يقول الإمام ابن عاشور : " وجملة (وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا) تذييل لتطمئن نفوس المؤمنين بنصر الله ؛ لأن الإخبار عن اليهود لأنهم يريدون ظلال المسلمين وأنهم أعداء للمسلمين من شأنه أن يلقي الروح في قلوب المسلمين ، فكان قوله (وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا) مناسباً لقوله (ويريدون أن تضلوا السبيل) وكان قوله (وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا) مناسباً لقوله (بأعدائكم) أي فانه ينصركم " (3) .

- ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴾ {النساء: 75} ، وتكرار قوله (وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ)

(1) روح المعاني ، الألويسي ، مجلد 5 ، ص 45 .
(2) إرشاد العقل السليم ، أبو السعود ، مجلد 2 ، ص 295
(3) التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، مجلد 3 ، ص 432

المبحث الرابع

خروج الكلام عن مقتضى الظاهر

المطلب الأول : صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر في فواصل الآيات

أولاً : الالتفات لغةً واصطلاحاً :

1- في اللغة : من الفعل لفت ، وهو يشير إلى التحول والانصراف ، يقال لفت وجهه

عن القوم : أي صرفه ، ويقال : لفت فلان عن رأيه ، أي صرفته ، والتفت إليه :

صرف وجهه إليه⁽¹⁾ .

وقال ابن الأثير : الالتفات مأخوذ من التفات الإنسان بوجهه يمينا وشمالا ، وكذلك هذا

النوع من الكلام ؛ لأنه ينتقل إليه من صيغة إلى أخرى ، من الخطاب إلى الغائب ، أو

من الغائب إلى الحاضر⁽²⁾ . .

2- اصطلاحاً :

1- " هو نقل الكلام من أسلوب إلى آخر ، أعني من المتكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى

آخر منها بعد التعبير الأول " ⁽³⁾

ب - " هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنها بطريق منها

. أي هو التعبير عن معنى من المعاني بطريق التكلم أو الخطاب أو الغيبة بعد التعبير

عن ذلك المعنى نفسه بطريق آخر " ⁽⁴⁾

3- فائدة الالتفات : ومن فوائده : تطرية الكلام ، فنقل الكلام من أسلوب إلى آخر

فيه تطرية لنشاط السامع ، وصيانة للسمع من الملل لأن النفوس جبلت على حب

التنقل ، والسامة من الاستمرار على منوال واحد⁽⁵⁾ . يقول الزمخشري : " فإن

قلت لم عدل عن لفظ الغيبة إلى الخطاب ، قلت : هذا يسمى الالتفات في علم البيان

، وقد يكون من الغيبة إلى الخطاب ، ومن الخطاب إلى الغيبة ، ومن الغيبة إلى

التكلم ، وذلك على عادة افتتانهم في الكلام ، وتصرفهم فيه ، ولأن الكلام إذا نقل

(1) انظر : لسان العرب ، ابن منظور ، مجلد 13 ، ص 214.

(2) انظر : المثل السائر ، ابن الأثير ، مجاد 2 ، ص 167.

(3) الإيقان ، السيوطي ، جزء 3 ، ص 214.

(4) من بلاغة القرآن ، محمد علوان ونعمان علوان ، ص 87.

(5) الإيقان ، السيوطي ، جزء 3 ، ص 215

من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن نظرية لنشاط السامع و إيقاظاً للإصغاء إليه من إجراءاته على أسلوب واحد ، وقد تختص مواقعها بفوائد⁽¹⁾ .

4- وبعد الوقوف والتأمل والتدبر في آيات سورة النساء نقف على ما يلي من صور الالتفات:

1) من المخاطب إلى الغائب :

أ- قوله تعالى : ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ { النساء : 36 } الالتفات في قوله (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا) دلالة على أن الله تعالى يغضب على الإنسان الذي يفخر ويختال على من يحسن إليه قد يعيب بعض الناس التكبر والخيلاء عند الإحسان إلى الآخرين فقد حذر منه المولى أشد التحذير⁽²⁾

ب- قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ امْرَأَةً خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ { النساء : 128 } ، وفي خطاب الأزواج بطريق الالتفات ، التعبير عن رعاية حقوقهن بالإحسان ، ولفظ التقوى المنبئ عن كون النشوز والإعراض مما يتوقى منه ، وترتيب الوعد الكريم عليه من لطف الاستمالة والترغيب في حسن المعاملة⁽³⁾.

2) من الغائب إلى المخاطب :

أ- قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ { النساء : 64 } الالتفات في قوله : (وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ) تفخيماً لشأن الرسول وتعظيماً لاستغفاره ولو جرى على الأصل لقال واستغفرت لهم⁽⁴⁾.

ب- قوله تعالى : ﴿لَكِنَّ الرَّاْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

(1) الكشاف ، الزمخشري ، مجلد 1 ، ص 8.

(2) البحر المحيط ، أبي حيان ، مجلد 3 ، ص 256.

(3) إرشاد العقل السليم ، أبو السعود ، مجلد 2 ، ص 591

(4) انظر : صفوة التفاسير ، الصابوني ، مجلد 1 ، ص 266 .

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَوْلَيْكَ سُنُوتِهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا { النساء: 162 } الالتفات في قوله (أَوْلَيْكَ سُنُوتِهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا) الأصل أن يقول سيوتيتهم ، وخاطبهم بذلك تعظيماً لشأنهم (1).

ج- قوله تعالى : ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ { النساء: 164 } ، قال أبو السعود : " الأسلوب بالالتفات ، والمعنى أن التكليم بغير واسطة منتهى المراتب خص به موسى عليه السلام من بينهم ، فلم يكن ذلك قادحاً في نبوة سائر الأنبياء عليهم السلام (2).

د- قوله تعالى : ﴿ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ { النساء: 169 } إظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة ، وتأكيده استقلال الاعتراض التذييلي (3).

ه- قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلُ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ { النساء: 47 } وضع الاسم الجليل موضع الضمير بطريق الالتفات لتربية المهابة وتعليل الحكم (4).

ثانيا : وضع المفرد موضع الجمع :

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ { النساء : 69 } الالتفات في قوله : (وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) ، فوضع المفرد رفيقاً موضع الجمع رفقاء ؛ لأن الجميع كنفس واحدة لشدة تماسكهم واتصالهم ، لا ينفصل أحدهم عن الآخر ، فصاروا كالأفراد الواحدة " (5).

(1) انظر : التفسير المنير ، الزحيلي ، مجلد 6 ، ص 26 ..

(2) إرشاد العقل السليم ، أبو السعود ، مجلد 2 ، ص (608 ، 609)

(3) المرجع السابق ، مجلد 2 ، ص 514

(4) المرجع السابق ، مجلد 2 ، ص 514

(5) البحر المحيط ، أبي حيان ، مجلد 3 ، ص 301.

المطلب الثاني : الإظهار في مواضع الإضمار :-

لقد امتازت اللغة العربية بوفرة الأساليب التي تظهر بلاغة اللغة العربية ، ولقد جاء القرآن الكريم محاكياً للعرب بما يعرفونه من أساليب الخطاب ، ولكننا نجد أن القرآن الكريم أحياناً يأتي بأساليب جديدة كل ذلك لحكمة يقول الإمام الزركشي : " والأصل في الأسماء أن تكون ظاهرة ، وأصل المحدث عنه كذلك ، والأصل ، أنه إذا ذكر ثانياً أن يذكر مضمراً للاستغناء به عن الظاهر السابق " (1). فيأتي القرآن مظهراً للاسم في موضع الإضمار ؛ لأن الاسم الظاهر له تأثير أقوى على النفس من الاسم المضممر وبالمثال يتضح المقال :

1- قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ { النساء : 48 } وإظهار الاسم الجليل في قوله (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ) في موضع الإضمار ، لزيادة تقبيح الإشراف ، وتقطيع حال من يتصف به (2) .

2- قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴾ { النساء : 45 } وتكرير العلى في الجملتين مع إظهار الجلالة في مقام الإضمار لاسيما في الثاني لتقوية استقلالهما المناسب للاعتراض ، وتأکید كفايته عز وجل في كل من الولاية والنصرة والإشعار بعليتهما ؛ فإن الألوهية من موجباتهما لا محالة (3).

3- قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلَّمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ { النساء : 56 } وإظهار اسم الجلالة في قوله (إن الله كان عزيزاً حكيماً) والأصل فيه الإضمار لتعليل الحكم في الآية .. (4).

4- قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ { النساء : 58 } وإظهار الاسم الجليل في الآية لتربية المهابة وإدخال الروعة في ضمير السامع" (5).

(1) انظر : البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، مجلد 2 ، ص 484 ..

(2) إرشاد العقل السليم ، أبو السعود ، مجلد 2 ، ص 534

(3) المرجع السابق ، مجلد 2 ، ص 525

(4) روح المعاني ، الألوسي ، مجلد 5 ، ص 60 .

(5) انظر : البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، مجلد 2 ، ص 484 ..

- 5- قوله تعالى : ﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَفِّرُ إِلَّا نَفْسُكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفُرَ بِأَسِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴾ { النساء : 84 } وإظهار اسم الجلالة في قوله (والله أشد بأساً) في مقام الإضمار لتربية المهابة وتعليل الحكم ، واستقلال الجملة (1) .
- 6- قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ { النساء : 125 } وإظهاره عليه الصلاة والسلام في قوله (وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا) في موضع الإضمار ؛ لتفخيم شأنه ، والتتصيص على أنه الممدوح ، وتأکید استقلال الجملة (2) .
- 7- قوله تعالى : ﴿ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ { النساء : 12 } وفي قوله (وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ) إظهار اسم الجلالة في موضع الإضمار لإدخال الروعة وتربية المهابة (3) .
- 8- قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ { النساء : 17 } وقوله (وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) إظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار للإشعار بعلّة الحكم فإن الإلوهية منشأ لاتصافه تعالى بصفات الكمال (4) .

(1) إرشاد العقل السليم ، أبو السعود ، مجلد 2 ، ص 559 .

(2) المرجع السابق ، مجلد 2 ، ص 588 .

(3) المرجع السابق ، مجلد 2 ، ص 494 .

(4) المرجع السابق ، مجلد 2 ، ص 498 .

المطلب الثالث : الأغراض البلاغية للخبر والأمر والاستفهام في فواصل الآيات :-

- 1- الخبر : ومنه قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴾ { النساء : 45 } فالخبر تضمن معنى التحذير ، والمعنى : وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ أيها المؤمنون وما يريدونه بكم من الإضلال فاكثفوا بولايته ونصره ولا تتولوا غيره ولا تستتصرونه (1) .
- 2- الأمر : ويكون بتوجه الأمر إلى المخاطب بقصد استحقاره وإهانتة ومنه قوله تعالى : ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ { النساء : 138 } (2) .
- 3- الاستفهام : منه قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ { النساء : 82 } والاستفهام هنا يفيد الأمر حيث أن التدبر يعني النظر في أعقاب الأمور وتأويلات الأشياء ، وهذا أمر وبنظر الاستدلال (3) .

(1) فتح القدير ، الشوكاني ، مجلد 1 ، ص 474 .
(2) من بلاغة القرآن ، محمد علوان ونعمان علوان ، ص 35 .
(3) انظر : المحرر الوجيز ، ابن عطية ، مجلد 4 ، ص 164

الجامعة

ومن أهم نتائج البحث مايلي :-

- 1- اشتملت الفواصل القرآنية في سورة النساء على أساليب متعددة من التوكيد ، فمنها ما أكد بأن ومنها ما أكد بكان وباللام والسين .
- 2- أظهرت الدراسة كيف يجمع القرآن في فواصله بين الوفاء بحق المعنى وتناسب الفواصل .
- 3- إن الأسماء الحسنى تتحرك في الفاصلة القرآنية وفق نسق معين ، يتعلق بمعنى الاسم ودلالته .
- 4- إن الإظهار في مواضع الإضمار كان له وجوده في فواصل سورة النساء والذي من أبرز أغراضه أنه يعمل على تربية النفوس على المهابة والخوف من الجليل .
- 5- إن الإعجاز القرآني غير محصور في البيان فقط ، بل يشمل الإعجاز البياني وغيره مثل التأثيري والتشريعي والغبيي ...
- 6- إن التكرار ظاهرة بلاغية والتكرار الذي نعنيه هو الذي يبرز لنا في كل مرة أمورا جديدة .
- 7- إن السجع المنهي عنه هو السجع المتكلف الذي يكون المعنى تابعا له .
- 8- إن العلماء المعارضين لعلم المناسبة كانت معارضتهم قولية وليست عملية ؛ لأن الإمام الشوكاني وهو يعد من أبرز المعارضين ، نجده قد أورد الكثير من المناسبات بين الآيات في تفسيره .
- 9- إن الفاصلة القرآنية تأتي على أشكال متعددة ، منها ما يشتمل على أسماء الله الحسنى ومنها الذي لا يشتمل .
- 10- إن الفاصلة القرآنية تأتي متناسبة مع موضوع الآية .
- 11- إن القرآن الكريم خال من التكرار الذي هو فضل من القول ولا فائدة منه .
- 12- إن الكلمات تأتي في القرآن الكريم في مكانها المناسب بحيث لا يسد مكانها غيرها .
- 13- إن الكلمة القرآنية إضافة لما تعطيه من دلائل بيانية لها من القيم العلمية والتاريخية والاقتصادية الشيء الكثير .

- 14- إن علم المناسبات غير محصور في علاقة الآية بالآية فقط ، بل يشمل علاقة جزء الآية بالآية ، وفاصلة الآية لموضوع الآية ، وعلاقة السورة بالسورة .
- 15- إن علم المناسبة يحتاج إلى علماء يمتازون بالحس المرهف حتى يقفوا على سر ترتيب الآيات والسور .
- 16- إن لكل اسم من أسماء الله الحسنى معنى خاص يتعلق به ، ويزداد هذا المعنى عند تجاور اسمين من أسماء الله الحسنى .
- 17- إن للالتفات حضوره خاصة وأنه قد أنتج مجموعة من اللطائف البلاغية .
- 18- إنه لا ترادف في فواصل القرآن الكريم وكلماته ، والكلمات التي قد يظنها بعض الناس مترادفة حينما نتدبر فيها جيدا نجد أن لكل كلمة معناها الدقيق .
- 19- إنه لا طريق لمعرفة الآيات سوى النقل الصحيح عن الصحابة الذين سمعوا القرآن من النبي - صلى الله عليه وسلم - .
- 20- تبين لنا أهمية علم المناسبات وأسراره .
- 21- التعرف على أهداف ومقاصد سورة النساء .
- 22- التعرف على شروط المعجزة .
- 23- التعرف على معنى الإعجاز البياني لغة واصطلاحا .
- 24- التعرف على معنى الآية والسورة لغة واصطلاحا .
- 25- التعرف على معنى السجع والترادف والتكرار لغة واصطلاحا .
- 26- التعرف على معنى الفاصلة القرآنية لغة واصطلاحا .
- 27- التعرف على معنى الفاصلة القرآنية لغة واصطلاحا .
- 28- التعرف على معنى المعجزة لغة واصطلاحا مع الخروج بتعريف جامع للمعجزة .
- 29- التعرف على معنى المناسبة لغة واصطلاحا .
- 30- ظهر من خلال الدراسة أن ترتيب السور في القرآن الكريم ترتيبا توقيفياً .
- 31- ظهر واضحا مناسبة سورة النساء لما قبلها وما بعدها من السور .
- 32- ظهرت لنا جهود العلماء وآراؤهم المتباينة في إعجاز القرآن .
- 33- ظهرت لنا جهود العلماء وآراؤهم في الفاصلة القرآنية .
- 34- ظهرت لنا جهود العلماء وآراؤهم في علم المناسبات .
- 35- ظهرت وجوه الاتفاق والاختلاف بين معجزة النبي صلى الله عليه وسلم وبين معجزات الأنبياء السابقين .

36- كان للتقديم والتأخير حضوره في الفواصل القرآنية ، وقد أنتج مجموعة من الأغراض البلاغية .

37- لقد ظهر من خلال هذه الدراسة أهمية الفاصلة القرآنية .

أهم التوصيات :

بعد الوقوف على بعض أسرار الإعجاز البياني في الفاصلة القرآنية من خلال هذا البحث ، فإن هذا الجهد يحتاج إلى من يكمله ، خاصةً وأننا قد وقفنا على سورة واحدة من القرآن الكريم ، لذلك فإنني أوصي إخواني الباحثين بأن يكملوا المشوار ويقفوا على أسرار الفاصلة القرآنية في باقي سور القرآن الكريم .

أولاً : فهرس الآيات القرآنية الكريمة

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
سورة الفاتحة	
(3)	137،109، 94
(4)	137 ،94
(7)	147
سورة البقرة	
(1)	112،128، 65 ،47
(2)	112،130، 74، 65 ،47
(3)	65 ،47
(4)	65 ،47
(5)	65
(6)	66
(7)	66
(8)	66
(9)	66
(11)	99
(12)	99
(13)	99
(22)	86
(23)	35، 32،33،34
(25)	41،67
(26)	41
(27)	41
(28)	41
(29)	41
(34)	187
(35)	147
(61)	76
(96)	74
(126)	42
(127)	110
(137)	110
(144)	135
(150)	136
(159)	27
(160)	27
(165)	72

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
(178)	25
(179)	75
(186)	139
(212)	25
(216)	41
(217)	41
(218)	41
(221)	147
(222)	77
(229)	148
(233)	147
(248)	89
(253)	122
(255)	45
(256)	45
(257)	79 ،45
(258)	45
(259)	45
(260)	45
(269)	126
(279)	74
(285)	47
(286)	47
سورة آل عمران	
(7)	149
(8)	96
(13)	38
(14)	149 ،38
(15)	39
(18)	76
(23)	71
(24)	71
(26)	40،126،131
(28)	40،136
(29)	40
(30)	137
(31)	40،41
(33)	97

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
(49)	6
(55)	149
(75)	67
(112)	76
(121)	125
(138)	26
(169)	65
(170)	65
(171)	65
(172)	148
(200)	148
سورة النساء	
(1)	150 ،190 ،147،148،165
(3)	152
(5)	87،195
(6)	166
(11)	190 ،77،151،174
(12)	151،200،177
(13)	151
(14)	152،150
(16)	43،173
(17)	153 ،43،177،188،200
(19)	183
(23)	177
(24)	175
(25)	151 ،178
(26)	151،175
(28)	183
(29)	167
(32)	168
(33)	193
(34)	179
(35)	179
(36)	184،197
(37)	43،184
(38)	43
(39)	168
(40)	43
(42)	43
(43)	180 ،44

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
(44)	150
(45)	201,195,199,172
(47)	198,184
(48)	152,184,199
(52)	192
(56)	199,180
(57)	44
(58)	146,152,181,199
(64)	177,197
(69)	147,76,184,198
(70)	168
(72)	,83
(75)	195 ,191
(76)	185
(81)	156, 169
(82)	17 ,70,201
(84)	200
(85)	170 ,166,185,194
(86)	166, 194
(88)	192
(92)	154 ,175
(94)	171,194
(96)	155 , 178
(99)	176
(100)	155 , 178
(101)	44
(103)	188
(104)	154 , 148,175
(106)	178
(108)	172,194
(110)	178
(111)	154, 176
(115)	27,44
(116)	152
(125)	200, 185
(126)	173
(127)	168
(128)	197, 194 , 153,171
(129)	153,178
(130)	182

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
(131)	182
(132)	169
(133)	173
(134)	182
(135)	194 ، 172
(138)	201
(139)	186،188
(147)	182
(149)	183
(150)	44
(152)	155، 179،191
(156)	148
(157)	149
(158)	155 ، 149،180
(161)	191
(162)	191، 198
(163)	193
(165)	156، 181
(166)	155، 96،152
(168)	192
(170)	154 ،176
(171)	170 ،156، 148
(172)	148
(174)	28،45
(176)	151 ، 150،169
سورة المائدة	
(1)	149
(2)	40
(7)	99
(8)	99
(14)	86
(15)	28
(19)	27
(27)	67
(31)	3
(50)	97
(64)	86
(82)	66
(97)	40

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
سورة الأنعام	
(10)	96
(55)	27
(97)	100
(98)	100
(99)	100
(109)	122
(134)	3
(153)	79
سورة الأعراف	
(20)	72
(21)	72
(26)	72
(195)	78
سورة الأنفال	
(4)	72
(5)	72
(6)	27
(41)	76
(59)	3
(61)	110
سورة التوبة	
(2)	3
(3)	3
(33)	13
(40)	73
(46)	125
(72)	74
(74)	122

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
سورة يونس	
(38)	35
(53)	3
(94)	129
سورة هود	
(20)	3
(33)	3
سورة يوسف	
(1)	47
(2)	47
(3)	47
(49)	129
(85)	42
(86)	121
(91)	122
(111)	47
سورة ابراهيم	
(4)	27
(7)	130
(9)	129
(34)	100
(35)	42
(38)	105
(39)	105
سورة الحجر	
(87)	126
سورة النحل	
(1)	47
(2)	47
(6)	77
(8)	77
(11)	89
(18)	109، 101
(44)	27

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
(46)	3
(64)	27
(89)	27
(127)	47
(128)	47
سورة الإسراء	
(9)	74
(15)	122
(59)	89
(88)	61
(89)	61
(101)	27
سورة الكهف	
(1)	46
(2)	46
(15)	27
(109)	46
(110)	46
سورة مريم	
26	192
سورة طه	
(1)	137
(2)	137
(3)	137
(4)	105
(5)	105
(10)	62
(29)	106
(30)	106
(65)	7
(66)	7
(67)	95
(70)	117
(77)	7
(107)	126
(113)	64

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
سورة الأنبياء	
(10)	130
(68)	7
(69)	6،7
(79)	78
(107)	122
سورة الحج	
(1)	68
(7)	128
(14)	6
(51)	3
(73)	190
(75)	77
سورة المؤمنون	
(1)	46،130
(2)	46
(12)	96
(13)	96
(14)	96
(45)	28
(50)	89
(117)	46
سورة النور	
(2)	78
(20)	109
(30)	139
(34)	28
(35)	66
(52)	130
(57)	3
سورة الفرقان	
(1)	46
(32)	64
(67)	77
(77)	46

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
سورة الشعراء	
(48)	117
(70)	73
(71)	73
(77)	73
(78)	73
(87)	73
(88)	73
(100)	79
(101)	79
سورة النمل	
(6)	61
(7)	61
(8)	62
(16)	28
(19)	131
(48)	188
(64-59)	101
(66)	129
(79)	28
(86)	84
سورة القصص	
(8)	48
(20)	74
(29)	62
(38)	108
(70)	107
(71)	100
(72)	100
سورة العنكبوت	
(14)	129
(22)	106
(41)	98
(43)	98
(48)	13
(57)	3
(58)	83
(64)	75

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
سورة الروم	
(2)	16
(3)	16
(4)	16
(5)	16
(9)	17
سورة لقمان	
(23)	40
(28)	40
(34)	141
سورة السجدة	
(26)	98
(27)	98,99
سورة الأحزاب	
(10)	95
(35)	77
(43)	109
(56)	76
سورة سبأ	
(5)	121, 3
(35)	3
سورة فاطر	
(4)	74
(44)	3
سورة يس	
(37)	97
(69)	33
سورة الصافات	
(97)	86
(117)	27
سورة ص	
(39)	131
سورة الزمر	
(41)	83
(51)	3

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
سورة غافر	
(78)	89
سورة فصلت	
(46)	101
(51)	84
(53)	27
سورة الشورى	
(14)	127
(31)	3
سورة الزخرف	
(18)	28
سورة الجاثية	
(14)	101
(15)	101
(32)	74
سورة الأحقاف	
(32)	3
(35)	48
سورة محمد	
(1)	48
(28)	84
سورة الفتح	
(29)	84
سورة الحجرات	
(15)	126
سورة ق	
(1)	137، 94
(2)	94، 137
سورة الذاريات	
(22)	78
سورة الطور	
(1)	94، 137
(2)	94، 137
(3)	94
(4)	94
(34)	62

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
سورة النجم	
(23)	105
(24)	105
(25)	105
(26)	105
(33)	129
(34)	129
سورة القمر	
(54)	48
(55)	48،123
سورة الرحمن	
(3-1)	48،26
(4)	48،26
(17)	79
سورة الواقعة	
(40 ، 39)	77
سورة الحديد	
(3)	27
(9)	77
سورة المجادلة	
(11)	123
سورة الصف	
(1)	78
(4)	86
(9)	13
سورة التغابن	
(2)	78
(14)	119
سورة الطلاق	
(11)	28
(12)	78
سورة الملك	
(23)	79
سورة الحاقة	
(42 -40)	114
سورة المعارج	
(40)	79

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
سورة الجن	
(12)	3
سورة المزمل	
(16 ، 15)	73
(20)	186
سورة المدثر	
(31)	126
سورة القيامة	
(18)	26
(19)	26
(31)	71
(32)	71
سورة الإنسان	
(7)	187
سورة النبأ	
(5 ، 4)	133
سورة النازعات	
(25 - 15)	98 ، 106
(24)	106
(25)	98
(37)	111
سورة التكويد	
(2-1)	86
(18 - 15)	94
سورة الانفطار	
(1 ، 2)	86
سورة البروج	
(16)	6
سورة الأعلى	
(14)	128
(19)	77
سورة الغاشية	
(14 ، 13)	95
(16 ، 15)	95

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
سورة الفجر	
(4 -1)	94
(4)	95
(6)	128
(24)	75
سورة الليل	
(10 -5)	71
(13 -5)	106
(17 -14)	106
(17)	111
سورة الضحى	
(5)	190
سورة العلق	
(1)	139
(9)	111
سورة العاديات	
(11)	48
سورة القارعة	
(1،2)	48
سورة الفيل	
(5)	48
سورة قريش	
(1،2)	48
سورة الماعون	
(2،3)	39
(5)	39
(6)	39
(7)	39
سورة الكوثر	
(1)	39،124
(2)	39
(3)	39
سورة الكافرون	
(6 -1)	135
سورة الإخلاص	
(4 -1)	75

ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية الشريفة :

رقم الصفحة التي ورد فيها	طرف الحديث
26	" إن من البيان لسحراً "
33	عن أبي ذر قال : أنيس إن لي حاجة بمكة فاكفني حتى أتيتك ، قال : فقلت : ما يقول الناس له ؟ قال : يقولون إنه شاعر وساحر وكاهن ...
50	صليت مع النبي -ﷺ- ذات ليلة فافتتح البقرة ، فقلت : يركع عند المائة ، ثم مضى
50	وفي الحديث أن النبي -ﷺ- قال له : اقرأ بكذا وكذا ... وفي رواية إنه قال اقرأ والشمس وضحاها
51	دعا بعض من كان يكتب فيقول : ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ،
51	" ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال ... "
52	" اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه ، اقرأوا الزهراوين ،
52	أن النبي -ﷺ- كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما
53	" كيف تصوم ؟ قال : كل يوم قال : وكيف تختم ؟ قال : كل ليلة ،
54، 53	" قدمنا على رسول -ﷺ- في وفد ثقيف وفي الحديث : فقال لنا رسول الله -ﷺ- طراً على حزبي من القرآن ، فأردت ألا أخرج حتى أفضيه
54،	" أعطيت مكان التوراة السبع الطوال ، وأعطيت مكان الزبور المثنين ، أعطيت مكان الإنجيل المثاني وفضلت بالمفصل ...
81	: " لا يقل أحدكم خبثت نفسي ، ولكن ليقل لقست ...
81	" أمنت بكتابك الذي أنزلت ، ونبيك الذي أرسلت " ، فقال البراء ورسولك الذي أرسلت فقال -ﷺ- : ونبيك الذي أرسلت
111	سمعت رجلاً يقرأ (حم) إلى الثلاثين (يعني الأحقاف) فقرأ حرفاً ، وقرأ رجل آخر حرفاً لم يقرأه صاحبه ، وقرأت أحرفاً لم يقرأها صاحبي ، فانطلقنا إلى النبي -ﷺ- فأخبرناه فقال : لا تختلفوا فإنما هلك من كان قبلكم باختلافهم ، ثم قال : " انظروا أقرأكم رجلاً فخذوا ...
115	: أسجعُ كسجع الكهان "
117	" استحيوا من الله حق الحياء قال : قلنا : إنا يارسول الله لنستحي ..
117	: " أعبدوا الرحمن ، وأطعموا الطعام ، وأفشوا السلام ، تدخلوا الجنة
145	" لقد نزل على محمد بمكة وإني لجارية ألعب : بل الساعة موعدهم والساعة

ثالثاً : فهرس الأشعار

رقم الصفحة التي ورد فيها	عجز البيت
	(ا)
80	لنا الجففات الغر يلمعن في الضحى.....
109	وما هن إلا في الطوال طوالها.....
159	وهو الرقيب على الخواطر واللوا.....
156	إذن بتوبة عبده وفيولها.....
161	وهو الغفور فلو أتى بقرابها.....
161	لأتاه بالغفران ملء قرابها.....
159	وهو السميع يرى ويسمع كل ما.....
156	ويرى مجاري القوت في أعضائها.....
156	ويرى خيانات العيون بلحظها.....
160	وهو العفو فعفوه وسع الورى.....
162	وهو القدير وليس يعجزه إذا.....
161	وكذا يعلم ما يكون غدا وما.....
	(ة)
157	وهو الحسيب حماية وكفاية.....
	(س)
156	وهو البصير يرى دبيب النملة الس.....
	(ق)
80	ولدنا بني العنقاء وابني محرق.....
	(م)
159	وهو الشكور فلن يضيع سعيهم.....
	(هـ)
110	وكل توال في الجميع قياسه.....
110	وما بعد حرف المد فيه نظيره.....
110	كما وأتقى في الليل أفنى بنجمه.....
157	وهو الحكيم وذا من أوصافه.....
158	وهو الحلیم فلا يعاجل عبده.....
156	وكذلك التواب من أوصافه.....
161	وبكل شيء علمه سبحانه.....
	(و)
161	وكذاك أمر لم يكن لو.....
	(ي)
161	وهو العليم أحاط علما بالذي.....

رابعاً: فهرس الأعلام المترجم لها

رقم الصفحة التي ورد فيها	اسم العالم
51	ابن حجر العسقلاني
116	ابن سنان الخفاجي
131	ابن قتيبة
163	ابن قيم الجوزية
54	أبو جعفر النحاس
121،130	أبو هلال العسكري
122، 2، 49،118	أحمد بن فارس
189، 166، 165 ، 127، 125 ،40 194،	الألوسي
، 138 ،114 ، 61 ، 54 ، 30 ، 13	الباقلاني
55	البغوي
175 ، 167، 165، 69، 44، 40، 37 ، 178،	البقاعي
31، 28 ،14،19	الجرجاني
122،131، 82 ، 30 ، 10	الخطابي
133	الخطيب الإسكافي
، 128، 127، 82، 2	الراغب الأصفهاني
140 ، 62، 31، 15 ، 5	الرافعي
137، 116، 114 ، 93، 30 ، 28 ، 12	الرماني
69 ، 61، 51 ، 50، 37 ، 14 ،4 190، 138،186، 124 ، 76،111، 191،	السيوطي
116	ضياء الدين بن الأثير
49	عياض
159، 136	الغزالي
، 169، 166 ، 119 ، 68 ، 38 ، 33 ، 181 ، 179 ،175	الفخر الرازي
41، 16	محمد رشيد رضا
139 ، 63 ،18	محمد عبد الله دراز
41، 35	المراغي

خامساً : فهرس المصادر والمراجع

- 1- إتقان البرهان في علوم القرآن ، فضل عباس ، دار الفرقان ، عمان ، الأردن ، الطبعة الأولى ، 1997م .
- 2- الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق أحمد بن علي ، دار الحديث ، 2004م .
- 3- إحياء علوم الدين ، محمد الغزالي ، إحياء الكتب العربية ، بيروت ، لبنان .
- 4- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب القرآن الكريم ، محمد بن محمد العمادي أبو السعود ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- 5- الأساس في التفسير ، سعيد حوى ، دار السلام للطباعة والنشر ، الطبعة الثالثة ، 1991م .
- 6- أسرار ترتيب القرآن ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا ومرزوق علي إبراهيم ، دار الفضيلة .
- 7- أسماء الله الحسنى ، محمد متولي الشعراوي ، أخبار اليوم قطاع الثقافة ، القاهرة ، مصر .
- 8- الأسماء والصفات ، أبو بكر بن الحسين بن علي البيهقي ، تحقيق عبدالله بن عامر ، دار الحديث ، القاهرة .
- 9- أصول الدين ، عبد القاهر البغدادي ، مطبعة الدولة استانبول ، 1928م .
- 10- الإعجاز الفني في القرآن ، عمر السلامي ، نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله ، تونس ، 1980م .
- 11- إعجاز القرآن ، أبي بكر محمد بن الطيب الباقلائي ، تحقيق أحمد صقر ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة الرابعة .
- 12- إعجاز القرآن ، الدكتور فضل عباس ، منشورات جامعة القدس المفتوحة ، الطبعة الأولى ، 1996م .
- 13- إعجاز القرآن الكريم ، للدكتور فضل عباس وسناء عباس ، المكتبة الوطنية ، عمان ، الأردن ، 1991م .
- 14- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي ، منشورات دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة التاسعة ، 1973م .

- 15- الإعجاز في دراسات السابقين ، عبد الكريم الخطيب ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1975م .
- 16- الأعلام -خير الدين الزركلي -دار العلم للملايين- بيروت لبنان الطبعة الثامنة 1989م.
- 17- أنوار التنزيل وأسرار التأويل الشهير بتفسير البيضاوي ، أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- 18- البحر المحيط ، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان ، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 2001م.
- 19- بدائع الفوائد ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق سيد عمران وعامر صلاح ، دار الحديث ، القاهرة ، 2002م .
- 20- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، محمد بن علي الشوكاني ، جمع محمد بن محمد بن زبارة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1998م .
- 21- البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان ، محمود الكرمانى .
- 22- البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمد الزركشي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار التراث ، القاهرة .
- 23- بشير اليسر شرح ناظمة الزهر في علم الفواصل ، عبد الفتاح القاضي ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، 2001م .
- 24- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق الأستاذ محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ، بيروت .
- 25- البلاغة الاصطلاحية عبده قليقة ، دار الفكر العربي ، الطبعة الثالثة ، 1992م .
- 26- البلاغة فنونها وأفنانها ، فضل عباس ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، الطبعة العاشرة ، 2005م .
- 27- البيان في روائع القرآن ، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني ، الدكتور تمام حسان عالم الكتب ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1993م .
- 28- البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، دار الكتب العلمية ، بيروت.

- 29- تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1979م .
- 30- تأويل مشكل القرآن ، عبدالله بن مسلم ابن قتيبة ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار التراث ، الطبعة الثانية ، 1973م .
- 31- التحرير والتنوير ، الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس .
- 32- الترايدف في القرآن الكريم ، محمد نور الدين المنجد ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، 1997م .
- 33- التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، مصر .
- 34- التعريفات ، الشريف علي بن محمد الجرجاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ، 1983م .
- 35- تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل ، محمد جمال الدين القاسمي ، صححه محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .
- 36- تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ، محمد رشيد رضا ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية .
- 37- تفسير القرآن العظيم ، إسماعيل بن كثير القرشي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، 1980م .
- 38- التفسير الكبير ، الفخر الرازي ، دار الكتب العلمية ، طهران ، الطبعة الثانية .
- 39- تفسير المراغي ، أحمد مصطفى المراغي ، دار الفكر .
- 40- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، الدكتور وهبة الزحيلي ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1991م .
- 41- التفسير الواضح ، الدكتور محمد محمود حجازي ، دار التفسير للطبع والنشر ، القاهرة ، الطبعة العاشرة ، 1980م .
- 42- التناسب البياني في القرآن ، أحمد أبو زيد ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط ، سلسلة رسائل واطروحات ، رقم 19 .
- 43- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المسمى تفسير السعدي ، أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، المكتبة العصرية ، بيروت .

- 44- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق وتعليق : محمد خلف الله والدكتور محمد زغلول سلام ، دار المعارف ، الطبعة الرابعة .
- 45- جامع البيان في تفسير آي القرآن ، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .
- 46- الجامع لأحكام القرآن ، أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1988م .
- 47- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، السيد أحمد الهاشمي ، دار الكتب العلمية .
- 48- جواهر البيان في تناسب سور القرآن لأبي الفضل عبد الله محمد الصديق الغماري-مكتبة القاهرة الطبعة الثالثة 2006م.
- 49- دراسات في فقه اللغة ، صبحي الصالح ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة العاشرة ، 1983م .
- 50- دراسة بلاغية في السجع والفاصلة القرآنية ، عبد الجواد محمد طبق ، دار الأرقم ، الطبعة الأولى ، 1993م .
- 51- دلائل الإعجاز في المعاني ، أبو بكر عبد القادر عبد الرحمن الجرجاني ، صحح أصله الشيخ محمد عبده والشيخ محمد محمود الشنقيطي ، منشورات مكتبة القاهرة ، 1961م .
- 52- روح الدين الإسلامي ، عفيف طيارة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثانية عشر ، 1974م .
- 53- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، محمود أبو الفضل الألوسي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- 54- زاد المسير في علم التفسير ، ابن الجوزي ، تحقيق محمد بن عبد الرحمن عبد الله ، دار الفكر للطباعة والنشر .
- 55- سر الفصاحة ، أبي محمد عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1982م .
- 56- سنن ابن ماجة ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية .
- 57- سنن أبي داود ، تحقيق السيد محمد السيد وآخرون ، دار الحديث ، القاهرة ، 1991م .

- 58- سنن الترمذي ، تحقيق مصطفى الذهبي ، دار الحديث ، القاهرة ، 2005م .
- 59- سنن الدارمي ، أبو محمد عبدالله بن عبد الرحمن الدارمي ، تحقيق الدكتور مصطفى دياب البغا ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى ، 1991م .
- 60- شرح أسماء الله الحسنى ، ابن قيم الجوزية ، حمد أحمد بن شعبان بن أحمد ، مكتبة الصفا ، الطبعة الأولى ، 2006م .
- 61- شرح الأسماء الحسنى الثابتة في القرآن والسنة ، محمود عبد الرزاق الرضواني ، مكتبة دار الرضوان ، مصر ، الطبعة الأولى ، 2004م .
- 62- شرح السنة ، الإمام البغوي ، تحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرنؤوط ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1983م .
- 63- صحيح مسلم بشرح النووي ، تحقيق مجموعة من الأساتذة ، إشراف علي بلطه جي ، دار الخير للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1994م .
- 64- صفوة التفاسير ، الدكتور محمد علي الصابوني ، دار الصابوني ، القاهرة ، الطبعة التاسعة .
- 65- العقائد الإسلامية ، سيد سابق ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
- 66- العقيدة الإسلامية وأسسها ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الثانية ، 1979م .
- 67- عقيدة المسلم ، محمد الغزالي ، دار البيان ، الكويت ، 1970م .
- 68- الفاصلة القرآنية ، عبد الفتاح لاشين ، دار المريخ ، الرياض ، 1982م .
- 69- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني ، صححه عبد العزيز بن باز ، دار الحديث ، 2004م .
- 70- الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني مع شرحه بلوغ الأمان من أسرار الفتح الرباني ، أحمد عبد الرحمن البنا ، دار إحياء التراث العربي .
- 71- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، دار ابن حزم .
- 72- الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن ، محمد الشايخ ، مكتبة الكعبيان ، الرياض ، الطبعة الأولى ، 1993م .

- 73- الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكري ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2000م .
- 74- فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر ، نعيم الحمصي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، 1980م .
- 75- في رحاب التفسير ، عبد الحميد كشك ، المكتب المصري الحديث .
- 76- في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، الطبعة التاسعة ، 1980م .
- 77- القاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، 1980م .
- 78- القصص القرآني ، إبحاؤه ونفحاته ، فضل عباس ، دار الفرقان ، عمان ، الأردن ، الطبعة الأولى ، 1987م .
- 79- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجه التأويل ، محمود بن عمر بن محمد الزمخشري ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .
- 80- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي ، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة .
- 81- لسان العرب ، للإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور ، دار صادر ، بيروت .
- 82- مباحث في التفسير الموضوعي ، الدكتور مصطفى مسلم ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى ، 1989م .
- 83- مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة السابعة ، 1990م .
- 84- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن عبد الكريم ابن الأثير ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، 1995م .
- 85- مجمع البيان في تفسير القرآن ، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر ، بيروت .
- 86- مجمل اللغة أحمد بن فارس ، تحقيق عبد المحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1986م .

- 87- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد قاسم العاصمي النجدي ، 1997م .
- 88- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبي محمد عبد الحق بن عطية الغرناطي ، تحقيق أحمد صادق الملاح ، القاهرة ، 1974م .
- 89- مختصر تفسير ابن كثير ، محمد الصابوني ، دار الحديث ، القاهرة .
- 90- المزهرة في علوم اللغة العربية وأنواعها ، جلال الدين السيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1998م .
- 91- مسند الإمام أحمد ، إعداد علي حسن الطويل ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، 1993م .
- 92- معترك الأقران في إعجاز القرآن ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1988م .
- 93- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر للطباعة والنشر ، الطبعة الثالثة ، 1992م .
- 94- المعجم الوسيط ، الدكتور إبراهيم أنيس وآخرون ، الطبعة الثانية .
- 95- معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة الثانية ، 1969م .
- 96- مفتاح السعادة ومنثور ولاية العلم والإرادة ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرععي ابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- 97- المفردات في غريب القرآن ، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، تحقيق سيد كيلاني ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .
- 98- المقصد الأسنى في تفسير أسماء الله الحسنى ، أحمد بن فهد العباس الحلبي .
- 99- من أسرار البلاغة في القرآن ، محمود شيخون ، مكتبة الكليات الأزهرية ، الطبعة الأولى ، 1984م .
- 100- من أسرار التعبير في القرآن ، صفاء الكلمة ، عبد الفتاح لاشين دار المريخ ، الرياض ، 1983م .
- 101- من أسرار المغايرة في نسق الفاصلة القرآنية - محمد الأمين الخضري 1994م .
- 102- من بلاغة القرآن محمد علوان ونعمان علوان ، الطبعة الثالثة ، 2005م .
- 103- مناهل العرفان في علوم القرآن ، عبد العظيم الزرقاني ، دار الفكر .

- 104- المنجد في اللغة والأعلام ، دار المشرق بيروت ، الطبعة الثامنة والعشرون .
- 105- ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق محمد علي البجاوي ، دار الفكر .
- 106- النبأ العظيم ، الدكتور محمد عبد الله دراز ، دار القلم ، الكويت ، 1984م .
- 107- نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم ، سامي محمد احريز ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن .
- 108- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، برهان الدين أبي الحسن البقاعي ، تحقيق عبد الرازق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- 109- النهاية في غريب الحديث والأثر ، الإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير ، تقديم علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي ، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية ، 1423هـ .
- 110- النور الأسمى في أسماء الله الحسنى ، سليمان سامي محمود ، دار الصابوني ، القاهرة .

سادساً : فهرس الموضوعات
سادساً : فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
	الإهداء
(أ- و)	المقدمة
(22-1)	بين يدي الرسالة مدخل إلى الإعجاز القرآني
2	المبحث الأول : تعريف المعجزة .
6	المبحث الثاني : شروط المعجزة والفرق بين معجزة النبي صلى الله عليه وسلم - وبين معجزات الأنبياء السابقين .
10	المبحث الثالث : أقوال العلماء في أهم وجوه الإعجاز .
(87-23)	الفصل الأول علم المناسبة وعلاقته بالإعجاز البياني
24	بين يدي الفصل : خصائص الأسلوب القرآني
(36-26)	المبحث الأول : الإعجاز البياني تعريفه وأهميته وأقوال العلماء فيه
26	المطلب الأول : الإعجاز البياني لغة واصطلاحاً
29	المطلب الثاني : أهمية الإعجاز البياني
30	المطلب الثالث : أقوال العلماء في الإعجاز البياني
(48 -37)	المبحث الثاني : علم المناسبة وأشهر القائلين به
37	المطلب الأول : تعريف علم المناسبة لغة واصطلاحاً
37	المطلب الثاني : أهمية علم المناسبات
38	المطلب الثالث : أشهر من تكلم في علم المناسبات
42	المطلب الرابع : أنواع المناسبات .
(70 -49)	المبحث الثالث : المناسبة في ترتيب سور القرآن الكريم .
49	المطلب الأول : ترتيب السور في القرآن الكريم واختلاف العلماء فيه .
58	المطلب الثاني : علم المناسبة بين القبول والرد ..

الصفحة	الموضوع
(79-71)	المبحث الرابع : دور المناسبة في الإعجاز البياني .
71	المطلب الأول : مناسبة الآيات واضحة الارتباط وغير واضحة الارتباط .
73	المطلب الثاني : مناسبة الألفاظ في التعريف والتكثير .
76	المطلب الثالث : مناسبة الألفاظ في التقديم والتأخير .
78	المطلب الرابع : مناسبة الألفاظ في الأفراد والجمع .
(87-80)	المبحث الخامس : الكلمة القرآنية وخصائصها والقيم التي تعطيها:
80	المطلب الأول : الكلمة القرآنية وخصائصها.
85	المطلب الثاني : القيم التي تعطيها الكلمة القرآنية.
(142-88)	الفصل الثاني الفاصلة في القرآن الكريم
89	بين يدي الفصل : ترتيب الآيات والسور في القرآن الكريم
(108-93)	المبحث الأول : الفاصلة القرآنية وأنواعها وأسرارها
93	المطلب الأول : تعريف الفاصلة القرآنية لغة واصطلاحاً
94	المطلب الثاني : أنواع الفواصل في القرآن الكريم
95	المطلب الثالث : علاقة الفاصلة بسياقها أنواع
97	المطلب الرابع : الفاصلة القرآنية وعلم المناسبة
103	المطلب الخامس : من أسرار المغايرة في نسق الفاصلة القرآنية
(112-109)	المبحث الثاني : طرق معرفة الفواصل القرآنية وفوائد العلم بها
109	المطلب الأول : طرق معرفة الفواصل القرآنية
111	المطلب الثاني : فوائد معرفة علم الفواصل

الصفحة	الموضوع
(136-113)	المبحث الثالث : دعوى السجع والترادف والتكرار في الفاصلة القرآنية
113	المطلب الأول : دعوى السجع في الفاصلة القرآنية
118	المطلب الثاني : دعوى الترادف في الفاصلة القرآنية
130	المطلب الثالث : دعوى التكرار في الفاصلة القرآنية
(142-137)	المبحث الرابع : أشهر من كتب حول الفاصلة القرآنية
137	المطلب الأول : الفاصلة القرآنية عند العلماء القدامى
139	المطلب الثاني : الفاصلة القرآنية عند العلماء المحدثين
(200-143)	الفصل الثالث
	الظواهر البلاغية في فواصل سورة النساء
(155-144)	المبحث الأول : مقدمات حول سورة النساء
144	المطلب الأول : سورة النساء ومحورها والجو الذي نزلت فيه
149	المطلب الثاني : اختيار الفواصل القرآنية في سورة النساء
(185-156)	المبحث الثاني : مناسبة فواصل الآيات لموضوع الآية
156	المطلب الأول : الآيات التي تشتمل فواصلها على أسماء الله الحسنى وعلاقتها بموضوع الآية .
182	المطلب الثاني : الآيات التي لا تشتمل فواصلها على أسماء الله الحسنى وعلاقتها بموضوع الآية .
(194-186)	المبحث الثالث : الظواهر البلاغية في فواصل الآيات
186	المطلب الأول : بناء الفاصلة القرآنية
191	المطلب الثاني : التقديم والتأخير في الفاصلة القرآنية .
194	المطلب الثالث : التكرار في فواصل الآيات .

الصفحة	الموضوع
(200-195)	المبحث الرابع : خروج الكلام عن مقتضى الظاهر
195	المطلب الأول : صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر في فواصل الآيات
198	المطلب الثاني : الإظهار في مواضع الإضمار
200	المطلب الثالث : الأغراض البلاغية للخبر والأمر والاستفهام في فواصل الآيات
201	الخاتمة
(233-204)	الفهارس
204	أولاً : فهرس الآيات القرآنية
219	ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية
220	ثالثاً : فهرس الأشعار
221	رابعاً : فهرس الأعلام المترجم لها
222	خامساً : فهرس المصادر ومراجع
230	سادساً : فهرس الموضوعات
(2-1)	ملخص الرسالة اللغة الإنجليزية.....

Abstract

It is quite genuinely important to mention that Quran is a treasure that never ever ends. It has an awful lot of miracles. It is in essence considered to be a source of science as scientists made clear. It has a part that triggered lots of parts and fields. Whenever scientists think that they reached the end of this Quranic science they extraordinarily find out that they are still at the beginning in that it is a very huge science. Everyday scientists discover various aspects of Quranic miracles and challenges. However, the greatest aspect and the most completed one is the meaning challenge and miracle. This challenge of meaning is clearly found in each and every word, each and every chapter and in each and every verse.

What could be more worthwhile to be mentioned in this regard is the comma and its relations with the verse subject. Based on what has been mentioned, I started to conduct this study entitled "The Illustrative Miraculous Nature of Quranic Comma" which is a practical study on Alnesa chapter of the Holy Quran. This research is divided up into an introduction, preparatory chapter, three chapters and conclusion. In the introduction, I mentioned reasons why I selected this type of study, objectives, importance and the study approach. In the preparatory chapter, I clarified the meaning of Quranic miracle in terms of practice and language. In addition, I demonstrated the miracle conditions and the miracle's occasion when related to time. In the aftermath of that I defined the meaning miracle and illustrated its most popular classifications. I exhaustively clarified the occasion's judgment in Quran and Islamic law and its most famous scientists. Furthermore, there is clarification of the comma and the most famous scientists who wrote about it. At the end of the chapter of the research I wrote about general introductions on Alnesa chapter of the Holy Quran.

The first chapter of the research included the importance of the Quranic illustrative miracles. Then, I exhaustively demonstrated the occasion science when scientists are subdivided into pro-occasion ones and anti-occasion ones. In addition, the importance of the occasion in the Quranic illustrative miracle is referred to. At the end of the chapter, the importance of the Quranic word is referred to as well and it is impossible to the Quranic word to be replaced this is because of the fact that it has distinctive features and values.

Furthermore, in the second chapter, the comma is defined linguistically and practically. The way comma is known can be clearly found as well. Modern and ancient scientists comments on the comma and the benefits of its knowledge are included. Quite extravagantly, scientists comments and views on the comma's rhyme, synonyms and repetition are included.

Additionally, the third chapter of the research included a practical study on comma in Alnesa chapter of the Holy Quran and how comma is used as well. What is more, why commas are united when subjects vary is referred to. Study is made on commas related to names of Allah and commas relations with the verse subject. Alternatively, study is made on commas that are not related to names of Allah and those commas relations with the verse subject. The rhetoric aspects of the comma are deeply analyzed in terms of Quranic commas creation, pre and post use of the comma, repetition of verses commas, and in addition to the Arabic art known as the inner hidden word meaning. That includes clarification, outer meaning and rhetorical purposes of informative sentences, imperative sentences and interrogative sentences.

One of the most important aims of this study is to provide benefits throughout those study efforts for readers and researchers alike.